



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

# حلية الصالحين

في ظل منارة عالم معكروم الأخلاق  
للإمام زين العابدين علي بن الحسين

محاضرات

بمناخه المرجع الشريفي آية الله العظمى

السيد محمد باقر الحسبي الشيرازي



مكتبة آية الله العظمى  
السيد محمد باقر الحسبي الشيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# حليۃ الصالحين

کاتب:

صادق حسيني شيرازي

نشرت في الطباعة:

صادق حسيني شيرازي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١٦	حلية الصالحين
١٦	اشارة
١٦	مقدمة
١٧	دعاء مكارم الأخلاق
١٩	الصلاة على محمد وآله
١٩	الدعاء والاستعانة بالله
١٩	الدعاء والاستعانة بالله
١٩	الإنسان بحاجة إلى تسديد الله دوماً
٢٠	لزوم العمل إلى جنب الدعاء
٢٠	الأدب في الدعاء
٢١	العلاقة بين الإيمان واليقين والنية والعمل
٢٢	أكمل الإيمان
٢٢	أكمل الإيمان
٢٣	•صهر الأمير الميرداماد
٢٣	•الشيخ الأنصاري والشيخ خنفر رحمهما الله
٢٤	تعلم علوم أهل البيت عليهم السلام من شروط الإيمان الكامل
٢٤	أحسن الأعمال
٢٤	أحسن الأعمال
٢٤	من لباب النصائح
٢٥	توبة أحد كتاب بنى أمية
٢٦	ما المقصود بأحسن الأعمال؟
٢٧	العمل بالسنة أحسن الأعمال

- ٢٧ ..... نماذج عملية
- ٣٠ ..... أحسن الأعمال في ليلة عرفة ويومها والعيدين
- ٣٠ ..... توفّر النية
- ٣٠ ..... توفّر النية
- ٣١ ..... النية إطار العمل ومانحة لونه
- ٣٢ ..... لا عمل إلا بنية
- ٣٢ ..... ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة
- ٣٣ ..... النية قبل العمل وحينه وبعده
- ٣٣ ..... مثال من واقع الحياة
- ٣٤ ..... الخلود بسبب النية
- ٣٤ ..... أمثلة على النية الحسنة
- ٣٥ ..... لا بدّ من النية والتوكّل معا
- ٣٥ ..... لنعمل على توفير النية
- ٣٦ ..... تصحيح اليقين
- ٣٦ ..... تصحيح اليقين
- ٣٦ ..... اليقين بالله أفضل اليقين
- ٣٧ ..... اليقين باعث على الطمأنينة
- ٣٨ ..... من يصحّح اليقين غير الله عزّ وجلّ؟
- ٣٨ ..... استصلاح الفساد
- ٣٨ ..... استصلاح الفساد
- ٣٩ ..... الإصلاح بحاجة إلى قدرة الله تعالى
- ٣٩ ..... ما يُشغل الإنسان
- ٤٠ ..... العمل للأخرة
- ٤٠ ..... العمل للأخرة

- ٤٠ ..... سيرة النبي مما يسأل العبد عنه يوم القيامة
- ٤٢ ..... التفريغ لعبادة الله تعالى
- ٤٢ ..... التفريغ لعبادة الله تعالى
- ٤٣ ..... الهدف من الخلق
- ٤٣ ..... أفضل العبادة
- ٤٤ ..... بناء النفس والتفكير في الله عز وجل
- ٤٤ ..... أمثلة من الواقع
- ٤٤ ..... النعم المادية وسيلة اختبار ومقدمات وجود
- ٤٥ ..... الغنى وسعة الرزق
- ٤٥ ..... الغنى وسعة الرزق
- ٤٦ ..... الغنى والفقر درجات
- ٤٦ ..... نكتة لغوية
- ٤٧ ..... نكتتان بلاغيتان
- ٤٧ ..... دواعي الفقر
- ٤٨ ..... لا بد من السعي والتوكل معاً
- ٤٩ ..... العزة وعدم الابتلاء بالكبر
- ٤٩ ..... العزة وعدم الابتلاء بالكبر
- ٤٩ ..... العزة والدخول تحت القدرة
- ٥٠ ..... هيهات منا الذلة
- ٥٠ ..... أبو ذر مثلاً على عزة النفس
- ٥٠ ..... أمثلة على المفهوم الخاطي للعزة
- ٥١ ..... حاجة العقل لنور الوحي
- ٥٢ ..... ولا تبليتي بالكبر
- ٥٢ ..... الاعتبار بما جرى لعلماء السوء

- ٥٢ ..... العجب آفة العبادة
- ٥٢ ..... العجب آفة العبادة
- ٥٣ ..... معنى التعبيد
- ٥٤ ..... العبادة الصحيحة ما كانت مرضية عند الله تعالى
- ٥٤ ..... آفة العجب
- ٥٥ ..... الإفساد، واختيار الإنسان
- ٥٦ ..... لله الحجّة البالغة
- ٥٦ ..... ثلاث فوائد
- ٥٦ ..... عبادة الله فخر وشرف
- ٥٧ ..... إجراء الخير بلا منّ
- ٥٧ ..... إجراء الخير بلا منّ
- ٥٧ ..... الإسلام يريد الخير لجميع الناس
- ٥٧ ..... على يدى أو على يدى
- ٥٨ ..... المنّ يمحق عمل الخير
- ٥٨ ..... قصة فيها عبرة
- ٥٩ ..... معالى الأخلاق والعصمة من الفخر
- ٥٩ ..... معالى الأخلاق والعصمة من الفخر
- ٥٩ ..... وقفات مع مفردات الدعاء
- ٦٠ ..... الفرق بين معالى الأخلاق ومحاسنها
- ٦١ ..... بين الرفعة والعزة والحطّ والذلة
- ٦٢ ..... العزة الظاهرة والذلة الباطنة
- ٦٢ ..... العزة الظاهرة والذلة الباطنة
- ٦٢ ..... الله وليّ كلّ نعمه
- ٦٣ ..... أهمية التوازن فى النفس الإنسانية



- ٦٣ ..... أهمية التوازن في النفس الإنسانية
- ٦٤ ..... ضرورة السعى والدعاء
- ٦٤ ..... التأسي بالناجحين
- ٦٦ ..... الهدى الصالح وعدم الاستبدال
- ٦٦ ..... طريق الحق وعدم الزيغ
- ٦٨ ..... نية الرشد والثبات عليها
- ٦٨ ..... نية الرشد والثبات عليها
- ٦٨ ..... كيف نحصن تياتنا؟
- ٦٩ ..... أهل البيت هم المعيار لمعرفة الحق
- ٧٠ ..... الحذر من كل أنواع العيوب وإصلاحها
- ٧٠ ..... الحذر من كل أنواع العيوب وإصلاحها
- ٧٠ ..... العيوب العرفية من منافيات العدالة
- ٧١ ..... الحذر من القصور ومن الجهل المركب
- ٧١ ..... ولنا في علمائنا أسوة
- ٧٢ ..... لنكسب رضا إيماننا عجل الله تعالى فرجه الشريف
- ٧٣ ..... الفرق بين العيب والعائبة والنقص
- ٧٤ ..... الورع وترويض النفس
- ٧٥ ..... الورع وترويض النفس
- ٧٥ ..... صفة المتقين
- ٧٥ ..... من يرى الجنة لا يبالي بالصعاب
- ٧٦ ..... لننتهز الفرص من أجل بناء أنفسنا
- ٧٧ ..... الورع واجب في كل حال
- ٧٨ ..... حذار ألا نتصح بما ننصح
- ٧٨ ..... إبدال الشنآن والبغى إلى المحبة والمودة

- ٧٨ ..... إبدال الشنآن والبغى إلى المحبته والموده
- ٧٨ ..... ما المقصود بالشنآن، ومن هم أهل الشنآن؟
- ٧٩ ..... كيف نتعامل مع أهل الشنآن؟
- ٧٩ ..... دعم الدعاء بالعمل
- ٨٠ ..... الاقتداء بعلمائنا الأعلام
- ٨١ ..... أهل البغى وكيفية التعامل معهم
- ٨٢ ..... إبدال الطئنه والعداوه إلى الثقة والولاية
- ٨٢ ..... إبدال الطئنه والعداوه إلى الثقة والولاية
- ٨٢ ..... إبدال عداوه الأدينين إلى الولاية
- ٨٣ ..... معنى الولاية في الدعاء
- ٨٣ ..... ضرورة التدبیر في كلمات الدعاء
- ٨٥ ..... ما أعظم الذين وثقهم المعصومون صلوات الله عليهم
- ٨٦ ..... المعصومون يشهدوننا
- ٨٦ ..... بمقدور كل مؤمن أن يحوز ثقة المعصوم
- ٨٦ ..... إبدال العقوق والخذلان، وتطوير المداراه
- ٨٦ ..... إبدال العقوق والخذلان، وتطوير المداراه
- ٨٧ ..... نصره الأقرابين
- ٨٧ ..... مداراه الناس
- ٨٨ ..... الاستفادة من بلاغه المعصومين عليهم السلام
- ٨٨ ..... لتتعلّم من القرآن ومن أهل البيت
- ٨٨ ..... طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمين
- ٨٨ ..... طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمين
- ٨٩ ..... الأمن من الظالمين
- ٨٩ ..... قصه فيها عبره

- ٩٠ ..... الدعاء دعوة للتغيير وتحصيل ملكة العدالة
- ٩١ ..... دفع الظلم والمخاصمة
- ٩١ ..... الظفر بالمعاندين والمكر بالكائدين
- ٩١ ..... الظفر بالمعاندين والمكر بالكائدين
- ٩٢ ..... المكر على الكائدين
- ٩٢ ..... القدرة على المضطهدين
- ٩٣ ..... تكذيب القاصبين
- ٩٣ ..... السلامة من المتوعددين
- ٩٣ ..... السلامة من المتوعددين
- ٩٣ ..... عظة أخلاقية
- ٩٤ ..... لا بد من ترويض النفس
- ٩٥ ..... الفرق بين السداد والرشد
- ٩٦ ..... بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة
- ٩٦ ..... بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة
- ٩٦ ..... حلية الصالحين وزينة المتقين
- ٩٧ ..... بسط العدل
- ٩٧ ..... كظم الغيظ وحدوده
- ٩٨ ..... إطفاء النائرة
- ٩٩ ..... ضم أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين
- ٩٩ ..... ضم أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين
- ٩٩ ..... هل هما خصلتان أم خصلة واحدة؟
- ٩٩ ..... ضم بالحق وتفريق الباطل
- ١٠٠ ..... بين الصلاح والإصلاح
- ١٠١ ..... حذار من التسويف

- ١٠١ ..... إفضاء العارفة، وستر العائبة
- ١٠١ ..... إفضاء العارفة، وستر العائبة
- ١٠٢ ..... الاقتداء بسيرة العلماء
- ١٠٢ ..... الإسلام وستر العائبة
- ١٠٣ ..... ومن عبر القصص
- ١٠٥ ..... لين العريكة
- ١٠٥ ..... لين العريكة
- ١٠٥ ..... ألم الحسرة على تفويت الفرصة
- ١٠٦ ..... رسول الله أليهم عريكة
- ١٠٦ ..... خفض الجناح، وحسن السيرة
- ١٠٦ ..... خفض الجناح، وحسن السيرة
- ١٠٧ ..... خفض الجناح نية وسجية
- ١٠٧ ..... إمكان التغيير رغم صعوبته
- ١٠٨ ..... الأئمة سلام الله عليهم أفضل قدوة
- ١٠٨ ..... تأسى العلماء
- ١٠٩ ..... بنود خفض الجناح
- ١١٠ ..... حسن السيرة وقوة الشخصية
- ١١٠ ..... سكون الريح
- ١١٠ ..... مثال على الذين يميلون مع الريح
- ١١١ ..... الكذب والفجور
- ١١١ ..... الاعتبار بقصص الماضين
- ١١٢ ..... عوامل انكشاف السرية
- ١١٢ ..... مثال لحسن السيرة
- ١١٣ ..... طيب المخالفة والسبق إلى الفضيلة

- ١١٣ ..... طيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة
- ١١٣ ..... طيب المخالقة
- ١١٤ ..... أهل البيت سلام الله عليهم وطيب المخالقة
- ١١٤ ..... طيب المخالقة تنفع صاحبها
- ١١٥ ..... السبق إلى الفضيلة
- ١١٥ ..... قول الحق وإن عزّ
- ١١٥ ..... قول الحق وإن عزّ
- ١١٥ ..... ملاحظتان في البدء
- ١١٦ ..... لماذا القول وليس العمل؟
- ١١٦ ..... ما هو الحق؟
- ١١٧ ..... أفضل الحق
- ١١٨ ..... وفي الزهراء قدوة
- ١١٨ ..... استقلال الخير واستكثار الشرّ
- ١١٨ ..... استقلال الخير واستكثار الشرّ
- ١١٩ ..... بين الاستقلال والاستكثار
- ١٢٠ ..... استقلال الخير
- ١٢١ ..... استكثار الشرّ
- ١٢١ ..... هل يصدر الشرّ من الإمام ليستكثره؟
- ١٢٢ ..... دوام الطاعة
- ١٢٢ ..... قصة الابتلاء وعبرة الإجابة
- ١٢٣ ..... إغتنام الفرص
- ١٢٤ ..... أوسع الرزق وأقوى القوّة
- ١٢٤ ..... أوسع الرزق وأقوى القوّة
- ١٢٤ ..... بحث في الرزق

- ١٢٥ ..... نكته أدبية
- ١٢٥ ..... القوة والنصب
- ١٢٦ ..... الابتلاء بالكسل عن العبادة والعمى عن سبيل الله
- ١٢٦ ..... الابتلاء بالكسل عن العبادة والعمى عن سبيل الله
- ١٢٦ ..... الكسل عن العبادة
- ١٢٧ ..... الاقتداء برسول الله في الاهتمام بالعبادة
- ١٢٧ ..... الاستعداد للبلاء
- ١٢٨ ..... العمى عن سبيل الله
- ١٢٨ ..... أهل البيت سلام الله عليهم هم سبيل الله تعالى
- ١٢٨ ..... عدم التعرض لخلاف محبة الله
- ١٢٨ ..... عدم التعرض لخلاف محبة الله
- ١٢٩ ..... في معنى التعرض
- ١٢٩ ..... في معنى الخلاف
- ١٣٠ ..... في معنى حبّ الله تعالى
- ١٣٠ ..... ثلاثة مقترحات في شهر رمضان المبارك
- ١٣١ ..... المعرفة شرط
- ١٣١ ..... الحسبان نوعان
- ١٣٢ ..... العلم وحده لا يكفي
- ١٣٢ ..... زكاة العلم تعليمه
- ١٣٢ ..... الصولة بالله، والسؤال من الله، والتضرع إليه
- ١٣٢ ..... اشارة
- ١٣٣ ..... ١. الصولة بالله تعالى
- ١٣٣ ..... ١. الصولة بالله تعالى
- ١٣٣ ..... النموذج العملي للصولة

- ١٣٤ ..... الدعاء وحده لا يكفى
- ١٣٤ ..... ٢. السؤال من الله تعالى
- ١٣٥ ..... ٣. التضرع إلى الله تعالى
- ١٣٥ ..... الفهارس
- ١٣٥ ..... الفهارس
- ١٣٥ ..... فهرس الآيات
- ١٤٠ ..... فهرس الأحاديث
- ١٤٨ ..... فهرس المصادر
- ١٥٢ ..... بى نوشتها
- ١٧٢ ..... تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريات الكمبيوترية

## حليَّة الصَّالِحِينَ

## إشارة

اسم الكتاب: حليَّة الصَّالِحِينَ

المؤلف: حسيني شيرازي، صادق

الموضوع: فقه

اللغة: عربي

عدد المجلدات: ١

الناشر: سلسله

مكان الطبع: قم

تاريخ الطبع: ١٤٢٦

الطبعة: اول

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين. لقد تظافت الروايات الشريفة في الدعوة لحضور مجالس العلماء للاستفادة من علومهم والاسترشاد بتعاليمهم الروحية والفكرية والخلقية؛ فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مجالسة العلماء عبادة». وعن أمير المؤمنين سلام الله عليه أنه قال: «العقل ولادة، والعلم إفادة، ومجالسة العلماء زيادة».

كما حثت الروايات على تدوين العلم وتقييده بالكتابة، مثل قول النبي صلى الله عليه وآله: «قيدوا العلم» قيل: وما تقييده؟ قال: «كتابته». ومن بين تلك المجالس المليئة بالمعارف والعبر، مجالس سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظلّه، الذي طالما أتحف مستمعيه بالنكات الخفية والمعارف الدقيقة الكامنة في طيّ كلمات أهل البيت سلام الله عليهم وسيرتهم، فكانت مجالسه تُعَدُّ بحقّ منابع تروية كفيّلة بأن ترشد المؤمنين إلى الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام وتحثهم في السير على نهجهم، عقيدة وفكراً، وأدباً وخُلُقاً.

فمن منطلق العمل بالأحاديث الشريفة الداعية إلى الاستفادة من مجالس العلماء، وحرصاً على نشر ما حملته تلك المحاضرات من المفاهيم الإسلامية الأصيلة، باشر قسم التحقيق والترجمة في مؤسسه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بعون الله تعالى وتوفيقه بتنقيحها بعد تتبع مداليلها الروائية والتاريخية عبر مظانها، ثم إخراجها بهذه الحلة القشبية. فكانت (نفحات الهداية) المجموعة الأولى التي قدّمتها للقراء الكرام، والتي ضمت طائفة قيّمة من أحاديث سماحته التروية في مناسبات مختلفة.

ونستتبع في هذا الكتاب ما أفاض به سماحته من الإرشادات التروية والخلقية في ضوء دعاء «مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال» للإمام زين العابدين على بن الحسين سلام الله عليهما حيث تناول سماحته (خلال الفترة من ١٠ ذى القعدة ١٤٢٠هـ حتى ٢٧ رمضان ١٤٢٢هـ) بعض فقرات هذا الدعاء الشريف بالشرح والتحليل، متوخّياً بذلك استلهام الدروس والعبر منها، وذلك من خلال محاضرات الأخلاق التي كان يلقيها كلّ يوم أربعاء من كلّ أسبوع.

وفي هذه المناسبة تجدد المؤسسه شكرها لكلّ الذين ساهموا في تنقيح وإخراج هذا الكتاب، بالأخصّ الإخوة: عبد الرضا افتخاري،



والسيد خلدون العسكري، وعلاء حسين. سائلين الله العليّ القدير أن يسدّدنا وإياهم ويوفّقنا لتقديم المزيد لكلّ ما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المؤسّسة

## دعاء مكارم الأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أَكْمَلَ الْإِيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِيْنِي أَفْضَلَ الْيَقِيْنِ، وَانْتِهَ بِبَيْتِي إِلَى أَحْسَنِ النَّبَاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ. اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ بَيْتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِيْنِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَفِّنِي مَا يَشْغَلُنِي الْاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسَأَلُنِي عِندَهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيْمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلَا تَفْتِنْنِي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي وَلَا تَبْتَلِنِي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِي الْخَيْرَ وَلَا تَمَحِّقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَأَعِصِنِي مِنَ الْفَخْرِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تَوْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَّطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلَا تُخَيِّدْ لِي عِزًّا ظَاهِرًا إِلَّا أَخَيَّدْتَنِي لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقُدْرَتِهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتَّعْنِي بِهُدَى صَالِحٍ لَا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَهُ حَقًّا لَا أَرْيُغُ عَنْهَا، وَبَيْتَهُ رُشْدًا لَا أَشْكُ فِيهَا، وَعَمَّرْنِي مَا كَانَ عُمُرِي بِذَلِكَ فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمُرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبَكَ عَلَيَّ. اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ خَصْلَةَ تُعَابُ مِنِّي إِلَّا أَصْلَحْتَهَا، وَلَا عَائِيَةً أُوْتِبَ بِهَا إِلَّا حَسَّنْتَهَا، وَلَا أَكْرَوْمَةً فِي نَاقِصَةٍ إِلَّا أَتَمَمْتَهَا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بَغْضِهِ أَهْلَ الشَّيْءِ الْمَحْبَبِّ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوْدُءِ، وَمِنْ ظَنِّ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثَّقَفَةِ، وَمِنْ عِدَاوَةِ الْأَذْنَبِينَ الْوَلَايَةِ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَبْرُءَةِ، وَمِنْ خِذْلَانِ الْأَقْرَبِينَ النُّصَيْرَةِ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحِ الْمَقْءِ، وَمِنْ رَدِّ الْمَلَابِسِينَ كَرَمِ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلَاوَةِ الْأَمْنَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لِي يَدًا عَلَى مَنْ ظَلَمْنِي، وَلِسَانًا عَلَى مَنْ خَايَبَنِي، وَظَفْرًا بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْرًا عَلَى مَنْ كَايَدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَى مَنْ اضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيبًا لِمَنْ قَصَبَنِي، وَسَلَامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، وَوَفْقًا لِمَنْ لَطَاعَهُ مِنْ سَدَدَنِي، وَمُتَابَعَةً مِنْ أَرْشَدَنِي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أَعَارِضَ مَنْ غَشِيَنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِي مَنْ هَجَرَنِي بِالْبُرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَدْلِ، وَأُكَافَى مَنْ قَطَعَنِي بِالصَّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنْ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِي عَنِ السَّيِّئَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَطْمِ الْعَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّاتِرَةِ، وَصَمِّ أَهْلَ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْسَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَدِّ الثَّرَائِفِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السَّيْرِ، وَسَيِّكُونَ الرِّيحِ، وَطِيبِ الْمُخَالَفَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضْلِ، وَإِيْتَارِ التَّفْضُلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَالْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ، وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِثْقَالِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفَعْلِي، وَاسْتِكْتَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفَعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبُرْتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصَبْتُ، وَلَا تَبْتَلِنِي بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلَا بِالْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَلَا بِالْتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ، وَلَا مُجَامَعَةٍ مِنْ تَفَرُّقِ عَنكَ، وَلَا مُفَارَقَةٍ مِنْ اجْتِمَاعِ إِلَيْكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصِدُولُ بِحُكِّ عِنْدِ الصُّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمُسْتَكْنَةِ، وَلَا تَفْتِنْنِي بِالْإِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرَرْتُ، وَلَا بِالْخُضُوعِ لِسِوَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلَا بِالْتَّضَرُّعِ إِلَى مَن دُونِكَ إِذَا رَهَيْتُ، فَاسْتَحَقِّ بِذَلِكَ خِذْلَانَكَ وَمَمْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي مِنَ التَّمَنِّيِ وَالتَّطَنِّيِ وَالْحَسِيدِ ذِكْرًا لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكَّرًا فِي قُدْرَتِكَ، وَتَذَبُّرًا عَلَى عِدُوِّكَ، وَمَا

أَجْرِي عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظِهِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ أَوْ شِثْمٍ عِزْضٍ أَوْ شَهَادَةٍ بَاطِلٍ أَوْ اِغْتِيَابٍ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقًا بِالْحَمْدِ لَكَ، وَإِعْرَاقًا فِي الشَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَابًا فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْرًا لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافًا بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَاءً لِمَنِّكَ. اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا أَظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلَا أَظْلَمَنَّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلَا أَضِلُّنَّ وَقَدْ أَمَكَّنْتَكَ هِدَايَتِي، وَلَا أَفْتَرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وَسُعْيِي، وَلَا أَطْعِنَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وَجُدِي.

اللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتِ، وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اسْتَقْتْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثَقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلَا فِي عَمَلِي مَا اسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ. اللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدَى، وَالْهَمْنِي التَّقْوَى، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَرْكَى، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى. اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِي الطَّرِيقَةَ الْمَثَلِيَّ، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمْوَتٌ وَأَحْيَا.

اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْتَنِّبِي بِالْاِقْتِنَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِ الْعِبَادِ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ، وَ سَلَامَةَ الْمِرْصَادِ.

اللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخْلِصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُضِلُّهَا، فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمُهَا. اللَّهُمَّ أَنْتَ عِمْدَتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُتَّجِعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِيغَاثَتِي إِنْ كَرِهْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلْفُ، وَلِمَا فَسَدَ صِيْلَاحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ، فَاثْمُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَّةِ، وَقَبْلَ الضَّلَالِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَثُونَةَ مَعْرَةَ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِي أَمْنٌ يَوْمَ الْمَعَادِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الْإِرْشَادِ.

اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَادْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ، وَاعْزِدْنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْرِ لِمَحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَطْلِبْنِي فِي ذِرَاكَ، وَجَلِّبْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْنِي إِذَا اسْتَكَلْتُ عَلَى الْأُمُورِ لِأَهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتْ الْأَعْمَالُ لِأَرْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا. اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَجَّحْنِي بِالْكَفَايَةِ، وَسَمِّنِي حُسْنَ الْوِلَايَةِ، وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلَا تَفْتِنْنِي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدًّا كَدًّا، وَلَا تَزِدْ دُعَائِي عَلَيَّ رَدًّا، فَإِنِّي لَا أَجْعَلُ لَكَ ضِدًّا، وَلَا أَذْعُو مَعَكَ نِدًّا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرْفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلْفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبِرِّ كَهَيْهِ، وَأَصِيبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أَنْفَقُ مِنْهُ.

اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَثُونَةَ الْاِكْتِسَابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ اِحْتِسَابٍ، فَلَا اسْتِغْلَافَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ، وَلَا اِخْتِمَالَ إِضْرَارِ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ. اللَّهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجْرِنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْتَدِلْ حِرَاهِي بِالِإِقْتَارِ فَاسْتَرْزُقْ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِي شِرَارَ خَلْقِكَ، فَافْتِنِّ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلِي بِدَمِّ مَنْ مَنَعْنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ، وَفِرَاحًا فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْمًا فِي اسْتِعْمَالِ، وَوَرَعًا فِي إِجْمَالِ. اللَّهُمَّ اِحْتِمِ بِعَفْوِكَ أَجْلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَيَّ بُلُوغَ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي.

اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَثِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغُفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَأَنْهَجْ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ سَبِيلًا سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَأَفْضَلِ مَا صِلَيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٌّ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَبَهُ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَهُ، وَفِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِيَاثَانِي أَكْمَلَ الْإِيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَأَنْتَهُ يَبِيْتِي إِلَى أَحْسَنِ الْيَتَاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ.. اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ يَتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

?الصلاة على محمد وآله

?الدعاء والاستعانة بالله

?أكمل الإيمان

?أحسن الأعمال

?توفر التية

?تصحيح اليقين

?استصلاح الفساد

## الصلاة على محمد وآله

يفتح إمامنا زين العابدين سلام الله عليه دعاءه بالصلاة على محمد وآله، بل يجعلها مفتاحاً لكل فقره من فقراته كما ترى وذلك للمأثور عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أن الصلاة على محمد وآله تعتبر من الأسباب الرئيسية لاستجابة الدعاء، وقد ورد ذلك في روايات متواترة عن مختلف فرق المسلمين؛ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: كل دعاء محجوب عن الله حتى يصل على محمد وأهل بيته.

وهذه حقيقة تكوينية واقعية وإن كانت أسرارها خفية بالنسبة لنا، كما في بعض الأمور الواقعية في هذا الكون والتي نؤمن بها؛ لإدراكنا لها، وإن كنا لا نحسها بالحواس، كالجاذبية مثلاً.

لقد ربط الله سبحانه وتعالى بين إجابة الدعاء وبين الصلاة على النبي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام. والمظهر لذلك ومقام إثباته الروايات المصرحة بذلك والتي تكشف أن من أسباب إجابة الله تعالى للدعاء أن يفتح بالصلاة على محمد وآله، كما في الحديث المتقدم.

إذاً فهذا تعليم وإرشاد لنا من الإمام عليه السلام، وهو في الوقت نفسه وقبل أن يكون تعليماً، عمل من الإمام بالواقع الذي يعلمه ويعرفه.

## الدعاء والاستعانة بالله

### الدعاء والاستعانة بالله

بعد أن افتتح الإمام دعاءه بالصلاة على محمد وآله، انتقل عليه السلام إلى مقام سؤال حوائجه من الله تعالى مبتدئاً بهذه الكلمات الأربع: (بلغ يايماني أكمل الإيمان) أي أنا لا أستطيع الصعود والبلوغ يايماني إلى أكمل الإيمان من دون عونك وتسديك يا رب، وأنت الكفيل بذلك فأعني.

### الإنسان بحاجة إلى تسديد الله دوماً

مهما بلغ الإنسان من المراتب العالية سواء الدينية أو الدنيوية فهو بحاجة إلى عون الله تعالى وتسديده. حتى الذين توفرت فيهم ملكة العدالة بأعلى درجاتها وأصدق معانيها، واجتنبوا في مقام العمل كل المحرمات، وأتوا بكل الواجبات، وكان عندهم فوق ذلك كله ورع كامل، ليسوا بقادرين على النهوض والارتقاء من دون أن يعينهم الله تعالى على ذلك ويأخذ بأيديهم؛ لأن الشهوات المختلفة من شأنها أن تحول ولو شيئاً دون ذلك.

إن الإنسان محاط بالشهوات شاء ذلك أم أبى، والتفت أم تغافل. فقد يتأمل الإنسان فيلتفت إلى مختلف شهواته، وقد يغفل فلا يلتفت. إن الله سبحانه وتعالى أودع فينا الشهوات لكي يختبرنا ويميز الخبيث من الطيب.

قد ينجح المرء في كبح بعض شهواته، كالمتراضين الذين يحققون ذلك ببعض الممارسات، ولكن ماذا يفعل الإنسان حيال الشهوات التي لا تعد ولا تحصى؟ وإن استطاع الإنسان أن يخفف من غلواء بعضها بالترويض والتمرين فإن هذا وحده لا يكون كفيلاً بكبح بعضها الآخر الذي يمكن أن يثقله ويشده إلى الأرض؛ وإليك مثلاً واحداً على تنوع الشهوات وشدة ابتلاء الإنسان بها: يقول بعض الفقهاء: إن الرياء قد يكون بترك الرياء!! مثلاً: قد يطيل شخص ركوعه وسجوده ويحسن القراءة ويتظاهر بالخشوع بسبب وجود شخص آخر ملتفت إليه. فهذا هو الرياء المتعارف.

وقد يعتمد إلى خلاف ذلك إذا علم أن الملتفت إليه إنسان ذكّي يعرف من حاله فيما لو أطال وحسن من ظاهر صلاته أنها ليست صلاته العادية وأنه يرائي فيها فيأتي بصلاة عادية لكي لا يقول عنه الناظر إنه مرء. وهذا هو المقصود من قولهم: إن الرياء قد يكون في ترك الرياء، أي في ترك التظاهر بالخشوع وما أشبه.

هكذا هو الحال في الشهوات فهي تحيط بنا من كل صوب وجانب. ولعل أكثر الناس يفهمون هذه الأمور جيداً وإن لم يستطيعوا التعبير عنها بشكل جيد.

إن مثلنا في هذا الطريق مثل الإنسان البدين أو الشخص الذي يحمل أثقالاً كثيرة، فهو لا يستطيع تسلق الجبال أو القفز والوثوب بسهولة، وربما هوى وسط الطريق.

مهما كان الإنسان ذكياً وواعياً ونشطاً، مستوعباً لأطرافه وما يحيط به، غير أنه لا يستطيع أن يصنع شيئاً مع ما عليه من ثقل الشهوات وهو ثقل واقعي غالباً ما يحول دون الإنسان ورقية ما لم يُعنه الله تعالى ويأخذ بيده، وهذا بحاجة إلى الدعاء؛ قال سبحانه وتعالى: قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ. والإمام السجّاد عليه السلام يرشدنا في هذا الدعاء ويعلمنا أن نطلب من الله تعالى أن يأخذ بأيدينا ليلبغ بنا أكمل الإيمان.

### لزوم العمل إلى جنب الدعاء

قد يجرى الإنسان ألفاظ الدعاء على لسانه فقط، فيكون دعاؤه سطحياً. وقد ينطلق الدعاء من أعماقه، وهذا أفضل من الأول بلاشك، ولكنه أيضاً لا يكفي، بل لا بد أن يكون إلى جانب الدعاء والخشوع سعى من قبل الإنسان نفسه لتحصيل ما يطلب من الله مستفيداً مما أعدّه الله سبحانه وتعالى للعباد، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر.

### الأدب في الدعاء

ثم إن هاهنا نكتة مهمة تتطلب المزيد من الالتفات، وهي أن يهتم الإنسان بجمال العبارة وصياغتها وصبها في وعاء جميل؛ فإن الإمام لم يغفل عن هذا الجانب حتى حين يدعو الله سبحانه وتعالى، بل تمة نكات لغوية نجدتها في كلمات الإمام سلام الله عليه ذات آفاق فوق الإدراك المتعارف، ولكننا نشير إلى نكتة واحدة فيها وهي البلاغة والبراعة في استعمال الألفاظ؛ فالإمام لم يقل مثلاً: «وبلغ بإيماني أكمل الإيمان وبيقيني إلى أكمل اليقين وبنيتي إلى أكمل النيات وبعملتي إلى أكمل الأعمال» بل أبدل الفعل في كل جملة كما أبدل صيغة التفضيل فيها، فاستعمل سلام الله عليه من الأفعال: (اجعل، انته)، ومن صيغ التفضيل: (أفضل، وأحسن) ولم يقتصر على «بلغ» و «أكمل» في باقى الجمل.

صحيح أن هناك واقعية وراء هذه التعبيرات والألفاظ، ولكن في التغيير تجميل للعبارة أيضاً، والجمال في كل أمر محمود، كما روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنه قال: إن الله جميل يحب الجمال.

إن الإمام في حالة دعاء وتضرع ومناجاة مع الله تعالى. إنه في حالة سؤال وطلب من الربّ الجليل، وليس في مقام الحديث مع الناس، ومع ذلك نراه لم يغفل هذا الجانب، بل أولاه الأهمية أيضاً، فهو يغيّر التعبير ويقلل من التكرار لملاحظة تستوجب ذلك، فلم يكرر

مثلاً كلمة «بلغ» أو «الكمال» بل استعمل المترادفات مع ملاحظة الفروق الدقيقة بينها؛ الأمر الذي يدل على أن المطلوب من الإنسان الداعي أن يصبّ دعاءه في قوالب جميلة حينما يسأل الله تعالى.

### العلاقة بين الإيمان واليقين والنية والعمل

ثمة نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها قبل التعرّض إلى جمل هذه الفقرة والترابط فيما بينها، وهي أنه ليس كل من كان قريباً من النور يمكن أن يستفيد منه، ما لم يكن أهلاً للاستفادة، كما هو الحال في القريب من البحر الفرات فإما أن ينهل من درره وعطاياه ويرتوي من عذب مائه أو يغرق فيه ويكون من الهالكين.

وهكذا هو الحال فيمن كانوا قريبين من أهل البيت سلام الله عليهم والذين عاشوا في عصرهم، حيث قُيِّض لكثير منهم أن غنم وفاز في الدارين، حتى جاء في بعضهم المدح والدعاء عن المعصوم بينما تاه البعض الآخر في ضلالته وتردّى في غوايته رغم أنه كان قريباً من المعصوم أو معاصراً له.

ونحن اليوم عندما نقرأ أدعيتهم عليهم السلام ونستلهم العبر من أقوالهم، فهذا يعني أننا قريبون منهم، وإن كنا لا نرى أشخاصهم ونعيش في غير عصرهم، أما من لم يطلع على أدعيتهم ولم ينهل من معين علومهم، فليس بمستوى أن يوفق إلى الخير لأنه لم يتعرّف عليهم ولم يعرف قدرهم وعظمتهم التي يقصر البيان عن وصفها.

ففي هذه الفقرة من دعاء مكارم الأخلاق وحدها على سبيل المثال لا الحصر يكمن مفتاح كل خير؛ فالإمام يطلب من الله تعالى من الإيمان أكمله، ومن اليقين أفضله، ومن التيات والأعمال أحسنها، ولاشك أن هذه الخصال صنعت عظاماً كآبى ذر وسلمان وحبيب بن مظاهر والشيخ المفيد والسيد بحر العلوم والمقدّس الأردبيلي وأمثالهم.

بعد هذه المقدمة نقول:

لعلّ هذا الترتيب الوارد في هذه الفقرة من دعاء الإمام عليه السلام (الإيمان، اليقين، التّية الحسنه ثم العمل الحسن) يبيّن نوعاً من التسبب الخارجي الواقعي. فبنسبة درجات الإيمان يكون المجال مفتوحاً أمام النسبة المناسبة من اليقين، وبنسبة درجات اليقين يكون المجال مفتوحاً أمام النسبة المناسبة من التّية الحسنه، وبنسبة درجات التّية الحسنه يكون المجال مفتوحاً للنسبة المناسبة من العمل الحسن.

ومن دون اكتمال هذه الحلقات الأربع لا يتحقّق التكامل. فالإيمان وحده غير كاف بل لابد له من اليقين، واليقين وحده غير مجدٍ من دون التّية الحسنه، والتّية الحسنه لا معنى لها إن لم تترجم إلى عمل حسن.

فهذه العناصر الأربعة تكمل بعضها بعضاً ويدعو بعضها لبعض. فالإيمان يدعو إلى اليقين، واليقين يدعو إلى التّية الحسنه، والتّية الحسنه تدعو إلى العمل الحسن. ولكن حيث إنّ هناك جواذب ومؤثرات ضخمة وقويّة تثقل من حركة الإنسان نحو التكامل وتبطئه، اقتضى الأمر أن يُعمل الإنسان كلّ قدراته وطاقاته من أجل أن يجمع بين هذه العناصر كلّها.

ومن هنا يمكن أن نفهم موقف مسلم بن عقيل رضوان الله عليه وعدم إقدامه عندما عُرض عليه أن يفتك بابن زياد، مبيّناً ذلك بقوله: لحديث حدّثني الناس عن النبي صلى الله عليه وآله: أن الإيمان قيد الفتك.

وعلى النقيض من ذلك ما حكاه الكتاب العزيز عن بعض الكافرين الذين لم يردعهم يقينهم عن الجحود والإنكار للحقّ، كما في قوله سبحانه: **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ، وَهُوَ مَا يَعْنِي أَنَّ يَقِين بَعْضُ الْكَافِرِينَ فِي أَمْرٍ مَا قَدْ يَفُوقُ يَقِين بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَهُ، فَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ، وَمَنْ تَمَّ فَلَا قِيمَةَ لِيَقِينِهِمْ هَذَا.**

ولا ينصرف لذهن أحد منكم أن اليقين المشار إليه في الآية الكريمة إنّما هو مجاز. بل هي كلمة مستعملة في معناها الحقيقي، ولكنّه يقين أبتّر لا يتبعه نية ولا عمل، ولذلك يؤول إلى الجحود والكفر.

إنّ العلاقة بين العناصر الواردة في هذه الفقرة من الدعاء تشبه ما يصطلح عليه أهل العلم بالعلاقة بين أجزاء المركب الارتباطي؛ أي بعضها مرتبط ببعض. فإذا فقد جزء منها فقد الكلّ، وإذا عرض لبعضها مانع فكأنما عرض للكلّ. فإذا وجدت في النفس نية صدقتها الجوارح، ويكون التصديق هذا متناسباً مع النية قوة وضعفاً.

ولتقريب المطلب أذكر هذا المثال:

أتذكر مولدّة الكهرباء القديمة في مدينة سامراء وفقنا الله جميعاً لزيارة مشاهد الأئمة سلام الله عليهم فيها وفي غيرها وكيف أنّها كانت ضعيفة، فكان الزوّار الذين يفدون إلى سامراء لا يشاهدون حتى المنارة أثناء الليل، وكانوا يقولون عن المصايح التي تعمل على هذه المولدة إنّها لا ترى إلا نفسها!!

فكلّما كانت المولدة قوية كانت الإضاءة الصادرة منها مثلها، أمّا إذا كانت ضعيفة فلا يمكن أن نتوقّع منها إلا النور الضعيف الذي لا يكاد يبين ما حوله.

وهكذا الحال بالنسبة لانعكاس الإيمان والحالات النفسية للإنسان على أعماله وتصرفاته. فذو النفس الكريمة لا تبخل يده، ومن كان شجاع النفس لا يصفّر وجهه، وصاحب اليقين لا تحطم المشكلات أعصابه، ومن كانت نيته خالصة لله لا يعير لمدح الناس أو ذمهم أدنى أهميّة.

ولئن خفيت عنّا بعض الآثار فإنّها لا تخفى على الله تعالى فإنّه يعلم ما في نفوسنا، كما يعلم كلُّ منّا ما في نفسه؟! بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره؟

## أكمل الإيمان

## أكمل الإيمان

إنّ الإمام سلام الله عليه لم يستعمل كلمة «أبلغ» بل قال: «بلغ». ومن الواضح أنّ هذه الصيغة يستفاد منها معنى التدرج الذي يدلّ على أنّ التغيّر لا يحصل دفعة واحدة وإن كانت المراتب تختلف من شخص لآخر بل الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخير عادة.

روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: إذا سعدت روح المؤمن إلى السماء تعجبت الملائكة وقالت: عجباً كيف نجا من دار فسد فيها خيارنا؟!.

وهذا معناه أنّ المؤمن عمله نادرة. فالفرد كلّما حاول أن يصبح إنساناً جيداً واجهته صعوبات كثيرة تحاول أن تشنيه، وربما أثنته. وليس ذلك لضعف في عطاء الله تعالى، بل لتقصير من جانب الإنسان نفسه؛ فإنّ شهواته قد تبلغ من الكثرة والقوّة ما تتطلّب جهداً إضافياً للسيطرة عليها. ونيل المعنويات والتغلب على الشهوات يتطلّبان دائماً قوّة أكثر وعزماً أكبر مما هو مطلوب في سبيل نيل الشهوات، ولذلك ترى الناس عادة ما يبلغون المقصود في تحقيق شهواتهم أكثر مما يبلغون في كسب المعنويات.

فكما أنّه لا خلاف في صعوبة الالتزام بالمعنويات، فكذلك لا خلاف في أنّه كلّما أراد الإنسان أن يحتلّ مساحةً أوسع من المعنويات كلفه ذلك جهداً أكبر، حاله في ذلك حال من يريد الحصول على مساحةً أوسع في الماديات؛ فإنّ ذلك يتطلّب منه بذلاً أكثر. فمثلاً: تكون كلفه شراء بيت سعته ألف متر، أكثر مما هو مطلوب لبيت مساحته مئة متر فقط.

وإذا عرفنا أنّ الشهوات المحيطة بالإنسان كثيرة جداً، أدركنا مدى صعوبة صراعه مع المغريات التي يمكن أن تجذبه لتحول دون ارتقائه سلّم المعنويات التي من خلالها يروم الوصول إلى أكمل الإيمان. ولهذا نرى المؤمنين في تفاوت بدرجات الإيمان كما جاء في قوله تعالى: هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ؟

رؤى عن أبى عمرو الزبيرى أنه قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: إن للإيمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: «نعم».

إنه لفوز عظيم أن يبلغ الله تعالى بإيماننا أكمل الإيمان ولو فى آخر ساعة من العمر، فنكون ممن حباهم الله تعالى بحسن العاقبة. وفيما يلى نذكر نماذج من الذين سعوا للإيمان الكامل:

### ● صهر الأمير الميرداماد

يُنقل أن بنت الأمير فى إحدى مدن إيران كانت عائده إلى بيتها فى وقت متأخر من ليله شاتيه، إذ صادفت فى طريقها مدرسه دينيه، ففكرت أن تلجأ إليها حتى الصباح، طلباً للأمان، ولم يكن فى المدرسه فى تلك الليله إلا طالب علم أعزب ينام فى إحدى الغرف وحيداً فريداً. فلما طرقت الباب فوجئ الطالب بشايه تطلب اللجوء فى المبيت عنده حتى الصباح؛ فأدخلها الطالب حينئذ حجرتة على وجل! ونامت آمنه مطمئنه حتى الصباح، ثم غادرت إلى بيت أبيها الأمير.

عندما سألها أبوها الأمير عن مكان مبيتها ليله أمس حكى له القصة. فشك الأمير وأرسل خلف طالب العلم ليستوضح الأمر، فتبين له بعد ذلك أن هذا الطالب منعه تقواه من أن يتكلم معها فضلاً عن أن يدنو منها أو غير ذلك!

وعندما أراد الأمير أن يشكر الطالب اكتشف أن إحدى أصابعه قد أحرقت حديثاً، فسأله عن السبب فقال: تعلم أتى شاب وأعزب، واتفق أن نامت فى غرفتي ابنتك وهى امرأة شايه ولم يكن معنا أحد غيرنا، فأخذ الشيطان يوسوس لى، فخفت أن أفشل فى مقاومته، فكانت فى غرفتي شعله نبطيه، فبدأت أقرب إصبعى من النار كلما وسوس لى الشيطان وقديماً قيل: والجرح يسكنه الذى هو ألم فصرت أسكن ألم الشهوه بألم الاحتراق، وبقيت هكذا إلى الصباح حتى نجانى الله من الوقوع فى فخ الشيطان وما توسوس به النفس الأماره بالسوء.

وعندما سمعت الفتاه ذلك قالت: هو كذلك، لأنى كنت أشم رائحه شواء، ولم أكن أعلم أن هذا المسكين إنما كان يشوى إصبغه!

وقيل: إن الأمير زوجه إياه بعد ذلك لما رأى من جلده وتقواه.

وهذا الشاب هو أحد علمائنا الأعلام الذى عرف فيما بعد بـ «ميرداماد» أى صهر الأمير.

### ● الشيخ الأنصارى والشيخ خنفر رحمهما الله

كان الشيخ الأنصارى رحمه الله طالب علم ثم أصبح مدرساً فمرجعاً عامّاً للتقليد يرجع إليه الملايين من المسلمين وتجبى إليه الأموال الكثيره، وعندما مات لم تزد تركته على سبعة عشر توماً مع أنه كان يعيل زوجته وأطفالاً وكذلك أمه التى كانت تعيش معه، كما كان يأتيه الضيوف من كل مكان.

وكان يعاصر الشيخ الأنصارى عالم جليل القدر يدعى الشيخ محسن خنفر، وكان رحمه الله أكبر سنّاً منه وإن كان دونه فى المنزله العلميه.

مرض (الشيخ خنفر) أخريات أيام حياته مرضاً ألزمه داره، فأخبر الشيخ الأنصارى بذلك؛ فتألم ودعا له، ولما أعوز الشيخ خنفر بعض المال أرسل له الشيخ الأنصارى كيساً من الذهب وكانت عمده الأموال يومئذ الذهب والفضه، وكانت تجبى فى أكياس لكى يأخذ حاجته منه.

وفعللاً فإن الشيخ خنفر لم يكن ليأخذ أكثر من دينار وثلاثه أرباع الدينار أى مثقالاً من الذهب وثلاثه أرباع المثقال ثم أرجع الباقي وقال: أبلغوا شكرى للشيخ مرتضى وأخبروه أنني أخذت كفايتي!

وعندما توفى الشيخ خنفر بعد مدّه وجيزه تبين أن ما أخذه كان فعلاً بمقدار حاجته لما تبقى من حياته.

فإذا كانت كل تلك الأموال الضخمة ترد على الشيخ الأنصارى ولكنه لم يترك أكثر من سبعة عشر تومانا، وأن الشيخ خنفر قد اكتفى بما يسدّ عوزه، أفلا يعنى هذا أنهما رحمهما الله تعالى قد ارتقيا درجات رفيعة في سلم أكمل الإيمان؟

لاشك أن هذا يتطلب عملاً كبيراً يسبقه عزم أكيد وتوكل على الله، لأن المغريات والشهوات ليست بالقليلة، ومنها شهوة المال والاكتمال، والرئاسة والحكم، والتفوق والغرور، والجهل والتظاهر بالعلم... .

إذا فلتتوجه إلى الله تعالى ونطلب منه أن يبلغ بإيماننا أكمل الإيمان، وأن نتعظ بالعلماء الأتقياء؛ فإنهم لم يبلغوا تلك المرتبة الرفيعة دفعة واحدة، بل على القاعدة هم أيضاً طلبوا أن يبلغ الله بإيمانهم إلى الكمال، فأعانهم الله تعالى وأخذ بأيديهم، بعد أن استوفوا شروط ذلك في الورع والتقوى والاجتهاد، فهو سبحانه باسط اليدين بالعطية.

فإذا كان الله لا يمنعنا عطاءه، وخلقنا ليرحمنا لا ليمنعنا، فلماذا لا نسعى ونهتم قليلاً ثم نضعف سعينا لكي يشملنا فيض الله تعالى ونكون من الذين بلغ بإيمانهم أكمل الإيمان؟ وأول شروط الإيمان الكامل هو الالتزام بالواجبات والكف عن المحرمات.

### تعلم علوم أهل البيت عليهم السلام من شروط الإيمان الكامل

• روى عن أبي الصلت أنه قال: سمعت أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيا أمرنا. فقلت له: كيف يحيى أمركم؟ قال عليه السلام: يتعلم علومنا ويعلمها الناس.

وإذا كان علماء اللغة والأدب يقولون: إن الجمع المضاف يفيد العموم، كان معنى العبارة: «يتعلم كل علمونا». وهذا الكلام موجه بالدرجة الأولى لنا نحن طلاب العلم.

فكل من تتوفر فيه شروط الاستطاعة يكون عليه لزاماً أن يتعلم علوم أهل البيت سلام الله عليهم ليعلمها الناس فيهدوا بهديهم سلام الله عليهم.

? ينقل الشيخ شريف العلماء في بعض دروسه مناقشات السيد مهدي بحر العلوم رحمه الله مع بعض علماء اليهود والنصارى وكيفية إفحامهم لهم. فإذا لم يكن عند السيد بحر العلوم من علوم أهل البيت سلام الله عليهم فهل كان يتمكن أن يناقش علماء اليهود والنصارى ويفحهمهم.

فلنقتد بأهل البيت سلام الله عليهم ولنقتف آثارهم، ولنعمل بالواجبات ومن أهمها تعلم علومهم سلام الله عليهم وتعليمها للناس؛ عسى الله تعالى أن يأخذ بأيدينا إلى أكمل الإيمان ببركة محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم.

### أحسن الأعمال

### أحسن الأعمال

قال الإمام عليه السلام: وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَأَنْتَ بِنَيْتِي إِلَى أَحْسَنِ النَّيَاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ.

لقد تحدثنا في ما تقدم عن أكمل الإيمان، وكان من المفروض أن يجرى الحديث الآن عن أفضل اليقين وأحسن النيات كما يقتضيه السياق ولكن بما أننا سنتعرض لموضوع التوبة واليقين عند قول الإمام في الجملة التالية: اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نَيْتِي، وَصَيِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْرِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي. لذا سنتناول الآن قوله سلام الله عليه: وبعملي إلى أحسن الأعمال؛ لنرى ماذا يقصد الإمام ويعنى بـ «أحسن الأعمال» التي ينبغي للمؤمن أن يطلبها من الله تعالى وأن يجعلها غاية عمله؟

### من لباب النصائح



روى الحسين بن أبي العلاء قال: خرجنا إلى مكة نيف وعشرون رجلاً، فكنت أذبح لهم في كل منزل شاء، فلما أردت أن أدخل على أبي عبد الله عليه السلام قال لي: يا حسين وتذلّ المؤمنين؟! قلت: أعوذ بالله من ذلك.

فقال عليه السلام: بلغني أنك كنت تذبح لهم في كل منزل شاء؟! قلت: ما أردت إلا الله.

فقال: أما كنت ترى أن فيهم من يحب أن يفعل فعالك فلا يبلغ مقدرته ذلك فتتقاصر إليه نفسه. قلت: أستغفر الله ولا أعود.

وهذا العمل كما هو واضح لا إشكال فيه ولا شبهة، ولولا بقیة الروایة لقلنا إنه من أفضل الأعمال وأحسنها. فما أفضل إطعام المؤمنین وهم في طريق الحج إلى بيت الله الحرام؟! إذا كان الإطعام في حد ذاته عملاً مستحباً فكيف بإطعام المؤمنین؟ وكيف إذا كانوا في طاعة الله تعالى؟

إنّ الحسين بن أبي العلاء لم يكن إنساناً عادياً بل كان قريباً من نور الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وكان يريد بعمله وجه الله تعالى، كما يظهر من جوابه للإمام سلام الله عليه. وعدم إنكار الإمام لصنيعه والاكتفاء بعبابه يدل على صدق نيته. لقد أراد الإمام من هذه النصيحة أن يلفت نظر الحسين بن أبي العلاء إلى ما ينبغي له وهو أن يتحرى «أحسن الأعمال» وأن يعلم أن بلوغه لذلك يتطلب وعياً دقيقاً وعوناً من الله تعالى.

فمع أنّ الإطعام الذي قام به كان عملاً حسناً، خاصية وأنه كان لله تعالى، ولكنّه في الوقت نفسه لم يكن أحسن الأعمال؛ كما وضّحه الإمام بقوله: أما كنت ترى أن فيهم من يحب أن يفعل فعلك فلا يبلغ مقدرته ذلك فتتقاصر إليه نفسه. فربما كان في هؤلاء الذين تطعمهم من يحب أن يفعل الشيء ذاته، أي يقوم هو بإطعام المجموع ولو مرة واحدة، كما تقوم أنت بذلك، لمكان الفعل ومحبوبيته، ولكن لم تكن لديه القدرة المالية على ذلك، فيحس حينئذ بالضعف أو الضعة أو شيء من ذلك.

لا شك أنّ ما كان من فعل الحسين بن أبي العلاء لم يكن من الإذلال المقصود، وإلا رده الإمام ونهاه. ثم إنّ الإمام ههنا ليس في مقام النهي عن منكر ما هو بصدد الإرشاد إلى أحسن الأعمال، فكان الأولى بالمنفق هنا أن يلتفت إلى هذه النكته الدقيقة التي أشار إليها الإمام ويعالجها بطريقة ذكية كأن لا يظهر أنّ الإطعام كلّ منه.

وهذا يعدّ من لباب النصائح، وقل من يتحملها إلا من أوتى حظاً من العلم والأخلاق. ولذلك نلاحظ أنّ الحسين بن أبي العلاء أدرك مقصود الإمام فوراً وقال: «أستغفر الله ولا أعود» أي سوف أكف عن الإطعام بنحو يشعر الآخرين بشيء من القصور أو الإذلال، وما أشبه.

حقاً لولا أهل البيت سلام الله عليهم لما عبد الله حقّ عبادته، كما روى عن الإمام الصادق سلام الله عليه: لولانا ما عبد الله. فلتنوّف قليلاً ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب فقد روى عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قوله: ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم؛ فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه ولنعتبر بقصص المسترشدين؛ ومنها القصة التالية:

### توبة أحد كتاب بنى أمية

عَرِنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمَزَةَ قَالَ: كَانَ لِي صَيْدِيٌّ مِنْ كِتَابِ بَنِي أُمِيَّةٍ فَقَالَ لِي: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ. فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ سَلَّمَ وَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي كُنْتُ فِي دِيوَانِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَأَصَيْبْتُ مِنْ دُنْيَاهُمْ مَالاً - كَثِيراً وَأَعْمَضْتُ فِي مَطَالِبِهِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْلَا - أَنْ بَنِي أُمِيَّةٍ وَجِدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ وَيَجْبِي لَهُمُ الْفِيءَ وَيُقَاتِلُ عَنْهُمْ وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ لَمَا سَلَبْنَا حَقَّنَا، وَلَوْ تَرَكَهُمْ النَّاسُ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا وَجَدُوا شَيْئاً إِلَّا مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ.

قَالَ: فَقَالَ الْفَتَى: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَهَلْ لِي مَخْرَجٌ مِنْهُ؟ قَالَ: إِنْ قُلْتَ لَكَ تَفْعَلُ؟ قَالَ: أَفْعَلُ. قَالَ لَهُ: فَاخْرُجْ مِنْ جَمِيعِ مَا اكْتَسَبْتَ فِي دِيْوَانِهِمْ؛ فَمَنْ عَرَفْتَ مِنْهُمْ رَدَدْتَ عَلَيْهِ مَالَهُ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ تَصَدَّقْتَ بِهِ، وَأَنَا أَضْمَنُ لَكَ عَلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا الْجَنَّةَ. قَالَ: فَأَطْرَقَ الْفَتَى رَأْسَهُ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لَهُ: قَدْ فَعَلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَمْزَةَ: فَرَجَعَ الْفَتَى مَعَنَا إِلَى الْكُوفَةِ فَمَا تَرَكَ شَيْئًا عَلَيَّ وَجِهَ الْأَرْضَ إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى ثِيَابَهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيَّ بَدَنَهُ. قَالَ: فَفَسَمْتُ لَهُ قِسْمَةً وَأَشْتَرَيْتُنَا لَهُ ثِيَابًا وَبَعَيْنَا إِلَيْهِ بِنَفَقَةٍ. قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَيْهِ إِلَّا أَشْهُرٌ قَلِيلٌ حَتَّى مَرَضَ، فَكُنَّا نَعُودُهُ...

ومعنى قول الرجل «وأغمضت في مطالبه» أى لم أتحز أصله أمن حلال أم حرام.

وهذا الإغماض هو أحد مصاديق الزلل التى يمكن أن يتعرض لها كل إنسان، وقد يكون فى العلم أيضاً كما لو احتال المدرس ولم يعط الدرس حقّه أو لم يتثبت فيما يلقيه على الطلبة فيتحدث بشيء لا يعرفه أو لا يتقنه، وهكذا الحال بالنسبة للطالب إن لم يستوفِ المباحثه حقّها، وكذا غيره.

وهذا الفتى عندما قال له الإمام: «تخرج من كل مالك» أدرك أن هذه الكلمة حقيقة وليست مجازاً، ولذلك «أطرق رأسه طويلاً ثم قال: قد فعلت». وعندما رجع إلى الكوفة خرج من كل أمواله حتى الثياب التى كانت عليه! ولذلك اشترى له أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ثياباً وأعطوها له مع بعض المال لكى يعيش، ثم مات بعد ذلك بفترة قصيرة!

والغريب أن الذى جاء بالرجل إلى الإمام الصادق سلام الله عليه وصار سبباً لتوبته هو على بن أبى حمزة البطائنى، وهو من أصحاب الإمام الصادق والإمام موسى بن جعفر سلام الله عليهما ومن وكلاهما ولكنه انحرف بعد ذلك وكان أحد الثلاثة الذين أبدعوا مذهب الوقف!

فيجدر مراجعته كتب السير؛ ففيها دواعى الاعتبار بحال أمثال هذين الرجلين، فذاك الذى كان عاملاً لبنى أمية كيف اهتدى، وهذا الذى كان من أصحاب الأئمة كيف انحرف!

إذاً علينا أن نلتفت إلى ما نعمل وأن لا يكون عملنا مصلحاً من جانب ومفسداً من جانب آخر، وعلينا أن نطرد الوسواس لأنها من الشيطان، فلا نترك العمل الذى بدأناه بل نصلحه ونتقنه، وأن نستلهم فى هذا الطريق كل الدروس والعبر ونستفيد من النصائح والحكم التى وصلتنا عن النبى صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت سلام الله عليهم.

وهذا الأمر بحاجة إلى قليل من الالتفات والتأمل، فلا ندع العمل ولا نندفع وراءه دون وعى، بل نكون كما أرادنا الله تعالى أمّة وسطاً. وعلينا فى كل حال أن لا نغفل عن حبال الشيطان، الذى أجراه الله تعالى فىنا مجرى الدم فى العروق، فلنكن منه ومن حباله على حذر.

## ما المقصود بأحسن الأعمال؟

لقد وُجّه هذا السؤال إلى الإمام زين العابدين عليه السلام كما وُجّه إلى سائر الأئمة المعصومين سلام الله عليهم فأجاب كل إمام بما يتناسب وظرف السؤال وطبيعته، ولربما أجاب أحدهم صلوات الله عليهم بأكثر من إجابة حسب الموقف والمناسبة التى تقتضيه. فمثلاً هناك روايات تقول: إن الصلاة أحسن الأعمال، وأخرى تقول: إن صلة الرحم أحسن الأعمال. إذاً ما المقصود حقاً بأحسن الأعمال؟ سيما وأن كلمة «أعمال» وردت بصيغة الجمع المحلى بالألف واللام وهى صيغة تفيد العموم، فيكون المقصود منها «كل الأعمال».

يجمع الفقهاء عادةً بين روايات كهذه إما على المعنى الإضافى أى النسبى، أو على اعتبار درجات الحسن والتفاضل؛ لأن الأئمة سلام الله عليهم كانوا يجيئون أحياناً بمقتضى حال الشخص السائل، أى على نحو ما يصطلح عليه العلماء بالقضية الخارجية.

توضيح ذلك: الإجابات المختلفة عن أحسن الأعمال فى كلمات المعصومين سلام الله عليهم إما أن تحمل على درجات الأفضلية المطلقة، وإما أن تحمل على الأفضلية النسبية، أى إن العمل الفلانى أحسن عمل بالنسبة لكذا موقف أو لفلان من الناس، والعمل

الآخر أحسن بالنسبة لشخص آخر أو موقف آخر. وما أكثر الموارد المشابهة لذلك في الكتب الفقهية والتي عولجت بأحد هذين النحويين.

## العمل بالسنة أحسن الأعمال

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قل، والمقصود بالسنة هنا معناها الأعم وتشمل الفريضة، لأن السنة قد تطلق ويراد بها معناها الأخص وهي ما يقابل الفريضة كما في كثير من المستحبات، وقد تطلق ويراد بها المعنى الأعم فتشمل الفريضة. وهذا بحث علمي استدلالى وله شواهد كثيرة.

فيكون معنى الحديث: إن على كل إنسان أن يعرف ما هي مسؤوليته الشرعية فيعمل بها، لأنها هي أحسن الأعمال بالنسبة إليه. فأفضل الأعمال بالنسبة لصاحب العيال شحيح المال هو الاكتساب الحلال للحصول على المال والإنفاق على من تجب عليه نفقتهم. وأفضل الأعمال لمن يرى العالم منغمساً في الضلالة أن يبادر لتعلم علوم أهل البيت سلام الله عليهم ويعلمها الناس، كما في صحيحة عبد السلام بن صالح الهروي المذكورة سابقاً.

وأفضل الأعمال للذي بينه وبين رحمه قطيعة أن يصلهم ويحسن إليهم، ولا تكون صلاة الليل مثلاً أحسن الأعمال بالنسبة إليه؛ وهو قاطع لرحمه، وإن كانت حسنة في نفسها.

عندما يقال إن أفضل الأعمال صلة الرحم، فمعناه أن على الشخص الذي بينه وبين رحمه قطيعة أن يبادر لصلتها قبل القيام بأي عمل آخر، لأنها أفضل عمل يطلبه الله تعالى منه، فهي أحسن من صلاة الليل ومن الدراسة ومن قراءة القرآن من باب الأولوية وهذا معنى: أفضل الأعمال ما عمل بالسنة.

فهذا الحديث المروي عن الإمام السجاد سلام الله عليه يعدّ قرينةً ودليلاً على أن التباين في الروايات المتعددة عن المعصومين سلام الله عليهم في تبين أحسن الأعمال إنما لأجل اختلاف القضايا الخارجية، وليس تبايناً حقيقياً.

وفيما نحن فيه حيث يعلمنا الإمام السجاد سلام الله عليه أن نسأل الله تعالى ونطلب منه أن ينتهي بعملنا إلى أحسن الأعمال يجب علينا أن نبحث في التزاماتنا التي ينبغي فعلها سواء كانت واجبة أو مستحبة لمعرفة الأولوية فيها، لنضمن بعد ذاك الوصول إلى أحسن الأعمال ونسعى إلى تحقيقها. فمن يحب شيئاً ويطلبه من الله تعالى لا بد أن يسعى إليه، كما أن من يطلب معيشة أفضل يسعى نحوها؛ فمن عرف مثلاً أن الأجرة في مكان ما دينار وفي مكان آخر ديناران، لا يتردد في الذهاب إلى المكان الثاني مادام يبحث عن أحسن مستوى للدخل.

## نماذج عملية

• لما دخل مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه الكوفة سكن في دار سالم بن المسيب فبايعه اثنا عشر ألف رجل. فلما دخل ابن زياد الكوفة انتقل مسلم من دار سالم إلى دار هاني في جوف الليل ودخل في أمانه، وكان يبايعه الناس حتى بايعه خمسة وعشرون ألف رجل.

فعزم على الخروج، فقال له هاني: لا تعجل. وكان شريك بن الأعور الهمداني جاء من البصرة مع عبيد الله بن زياد فمرض فنزل دار هاني أياماً، ثم قال لمسلم: إن عبيد الله يعودني وإنني مطاوله الحديث فاخرج إليه بسيفك فاقتله، وعلامتك أن أقول اسقوني ماء، ونهاه هاني عن ذلك فلما دخل عبيد الله على شريك وسأله عن وجعه وطال سؤاله ورأى أن أحداً لا يخرج فخشى أن يفوته فأخذ يقول:

ما الانتظار بسلمي أن تحيوا حيوا سليمي وحيوا من يحييها

فتوهم ابن زياد وخرج.

فلما خرج ابن زياد دخل مسلم والسيف في كفه. فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: خصلتان أما إحداهما فكراهية هانى أن يُقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حدّثنيه الناس عن النبي صلى الله عليه وآله: إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن. حقاً ما أعظم هذه الكلمات الثلاث؟! أجل إنها ثلاث كلمات فقط، ولكن الدنيا تزول في يوم ما، وتبقى هذه الكلمات خالدة. فكما أن الإنسان المقيّد بالسلسلة لا يستطيع التصرف بحريّة لأنها تقيدته وتمنعه من الحركة فكذلك الإسلام يمنع الإنسان المؤمن من الفتك، فإذا فتك فذلك يعنى أنه قد تحرّر من الإسلام ولم يعد متقيداً به. وبهذا يكون مسلم رضوان الله عليه قد اتخذ الموقف الأمثل الذى ينبغى له، أى عمل بما تقتضيه السنّة، فكان موقفه هذا أحسن الأعمال.

صحيح أن مسلماً قد قوت فرصة سياسية ذهبية لقلب المعادلة لصالحه وصالح الإمام الحسين عليه السلام من الناحية المادية والدينية وإن لم تكن كذلك حسب المفهوم الإسلامى، لأن سياسة الغدر بعيدة عن روح الإسلام إلا أنه رضوان الله عليه لم يفوت ما هو أعظم منها في الدارين؛ فتمسك بما حفظه عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فالغلبة المادية من خلال الغدر والفتك ليس فيها بقاء لروح الإسلام الذى هو فوق الماديات وتوابعها، وما عمله مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه كان عملاً بالسنّة وهو أحسن الأعمال.

• كما أن هناك رواية صحيحة السند، عن الحسن بن محبوب يقول: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لَنَا جَاراً مِنْ هَمْدَانَ يُقَالُ لَهُ الْجَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَجْلِسُ إِلَيْنَا فَنَذُكُرُ عَلَيّاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَضْلَهُ فَيَقَعُ فِيهِ، أَفْتَأْذُنُ لِي فِيهِ؟ قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّبَّاحِ أَوْ كُنْتَ فَاعِلًا؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ لَنْ أَذُنْتَ لِي فِيهِ لِأَرْضِيَدْنَهُ، فَإِذَا صَارَ فِيهَا أَقْتَحَمْتُ عَلَيْهِ بِسَيْفِي فَخَبَطْتُهُ حَتَّى أَقْتَلَهُ. قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّبَّاحِ هَذَا الْفُتْكَ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الْفُتْكَ، يَا أَبَا الصَّبَّاحِ إِنَّ الْإِسْلَامَ قَيْدَ الْفُتْكَ.

فالقِتال والِدِفَاع عَنِ النَّفْسِ وَالمِبَارَزَةُ فِي المِيدَانِ أُمُورٌ مَفهُومَةٌ مِنْ قِبَلِ الْإِسْلَامِ، أَمَّا الغِدْرُ فَلا يَجُوزُ أَبَدًا. أَجَلُ إِنَّ الحَرْبَ خِدْعَةٌ وَالمُخْدَعَةُ جَائِزَةٌ فِي الحَرْبِ، وَلَكِنِ الغِدْرُ غَيْرُ الخِدْعَةِ. فَالمُخْدَعَةُ تَصَحُّ وَالحَرْبُ قَائِمَةٌ، أَمَّا أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا- جَاءَ لزيارتك أو حضر مجلسك فهذا ليس من شيم الإسلام.

ويمكن تصوّر الخدعة أثناء الحرب كخلق أجواء خاصّة في صفوف العدو بالصراخ وغيره، كما حدث في حرب الجمل، عندما صاح الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه بأعلى صوته والحرب محتدمة: يا محمد بن أبى بكر، انظر إذا عرقب الجمل فأدر ك أحتك فوارها، وكانت عائشة تقود الجيش المعادى؛ فتصوّروا أنّ عائشة إما سقطت وإما أوشكت على السقوط، فتفرّقوا عنها وانهزم الجيش. فهذه تسمى خدعة، أمّا الغدر فهو أن تعطى الأمان لخصمك ثم تفتك به، وهذا ما لا يقره الإسلام.

صحيح أن ابن زياد كان من أشرّ الناس على أهل البيت سلام الله عليهم، ولكنه لم يأت إلى بيت هانى بصفته محارباً بل جاء عائداً؛ ولذلك لم يبادر مسلم لقتله غيلةً، وهاهنا تكمن عظمة مسلم التي يقف حتى التاريخ إجلالاً لها.

• نقل أحد تلاميذ السيّد الوالد رحمه الله قال: ذهبت يوماً إلى السيّد قبل الدرس، وقلت له: عندى سؤال مهم، وأرجو منكم أن تجيبوا عليه.

قال السيّد: تفضل، إسأل.

قلت: سيّدى، إذا علمت أنك ستفارق الدنيا بعد ساعة أو يوم، فماذا أنت فاعل خلال هذه المدّة القصيرة الباقية من عمرك؟ فأجابنى السيّد على الفور ودون أدنى تأمّل أى على خلاف عاداته التي عُرف بها في أوساط المحيطين به، وهى أنّه لا يجيب على أى سؤال بسرعة بل كان يتأمّل ولو قليلاً ثم يجيب؛ الأمر الذى يكشف عن أنّه كان قد فكّر سابقاً في هذا الأمر، ولذلك كان جوابه حاضرّاً عنده قائلاً: أعمل هذا الذى أنا مشغول به الآن - وكان جالساً يطالع كتاب الجواهر متهيناً للإلقاء الدرس وكان الوقت قبيل وقت

إلقاء درسه كما قلنا.

فقد يكون هذا هو أفضل الأعمال بالنسبة إلى مرجع تقليد، أعنى مطالعة الأحكام الشرعية والتوفّر عليها ليتسنى له الإجابة على أسئلة الناس واستفتاءاتهم، فضلاً عن تدريس الطلبة وتعليمهم، فهذه من الواجبات المهمة، فيكون ما أجاب به رحمه الله هو العمل بالسنة أي العمل بالمسؤولية وهو أفضل الأعمال كما يقول الإمام زين العابدين سلام الله عليه.

• كان محمد بن مسعود العياشي أحد علماء العامية، ألف كتباً عديدةً تأييداً لمذهبه، وكان الشيعة يومذاك أقلية من ناحية العدد، ولكن كان هناك شباب من علماء الشيعة الذين لم يذكروهم التاريخ والذين سيكشف عنهم حتماً وعن دورهم في يوم القيامة - استطاعوا أن يغيروا فكر العياشي ويحولوه عن مذهبه ويجعلوه شيعياً من أتباع أهل البيت سلام الله عليهم، حتى ذكر أصحاب السير والتراجم أنّ مسعود العياشي (الأب) كان من التجار الكبار وورث منه ابنه محمّد هذا ثلاثمئة ألف دينار أي أكثر من طنّ من الذهب أنفقها كلها في سبيل العلم ونشر مذهب أهل البيت سلام الله عليهم.

لاشكّ أنّ الشخص الذي كان وراء تغيير عقيدة العياشي قد عمل بأحسن الأعمال حين استطاع أن يغيّر عالمًا ويهديه، مع أنّ العالم لا يتغيّر بسهولة، فليس هو كالإنسان العادي يتغيّر في جلسه أو جلستين، مضافاً إلى أنّ تغيير العالم يعني تغيير العالم، لأنّ العالم إذا صلح، صلح العالم. أفلا يكون تغيير العياشي وأمثاله من أفضل الأعمال؟!

• كان المرحوم السيد البروجردى رحمه الله، يدرّس الأصول في مسجد «عشق على» عصرًا، وفي أحد الأيام وبينما السيد يلتقى الدرس من على المنبر وجه أحد التلاميذ الحاضرين إشكالاً على الموضوع الذي كان يطرحه السيد. فأجاب السيد على الإشكال، ولكن التلميذ استشكل مرّة أخرى، وأجاب السيد أيضاً، ولكنه احتدّ هذه المرّة في كلامه بعض الشيء، فسكت التلميذ.

يقول السيد الخونساري: كنت قد أتممت صلاة المغرب في اليوم نفسه ولم أصلّ العشاء بعد عندما جاءني خادم السيد البروجردى وقال لي: «يطلب منك السيد أن تحضر عنده الآن». أسرعرت إلى السيد فرأيت التأثير بادياً عليه وكان واقفاً عند باب مكتبته متعجلاً قدومي؛ فقال لي: لقد صدرت حدّة في كلامي مع ذلك التلميذ الذي استشكل عليّ اليوم وأريد منك أن تأخذني إليه قبل أن أصلّي المغرب والعشاء لأعتذر منه، فلم يكن ما قد صدر منّي تجاهه صحيحاً.

يقول السيد الخونساري: قلت للسيد: ان الشيخ (التلميذ) يؤمّ جماعة المصلّين في المسجد الفلاني ثم يذكر بعد ذلك بعض المسائل الشرعية للناس ويجب على أسئلتهم، فهناك أمامنا زهاء ساعتين ريثما يذهب الشيخ إلى بيته، فلأذهب الليلة وحدي إلى بيته وأخبره بالأمر وأرتّب معه موعداً لزيارته غداً، لكي نذهب سوياً إلى منزله.

وهكذا حدث، فلقد أخبرت الشيخ بالأمر ليلاً، وفي الصباح الباكر ذهبت إلى حرم السيدة المعصومة عليها السلام كما جرت عادتي على ذلك، ثم رجعت إلى البيت وإذا بي أرى السيد البروجردى مستقلاً عربته، مستعداً أمام بيتي ينتظرني، وكان رحمه الله كبير السن لا يستطيع المشى بسهولة، فركبت معه العربّة وانطلقنا إلى بيت الشيخ الذي ما إن سمع طرق الباب حتى أسرع إلى فتحه ورحّب بالسيد كثيراً. كيف لا وقد كان طالباً بين يديه والسيد يومذاك كان مرجعاً عامّاً للشيعة، وكان الشيخ من مقلّديه.

يقول السيد الخونساري: عندما دخل السيد أمسك بيد الشيخ وهمّ بتقبيلها لولا أنّ الشيخ سحب يده بقوة ممتنعاً!!

قال السيد البروجردى: اعذرني على شدّتي في الكلام معك أمس، فما كان ينبغي لي أن أفعل ذلك!

فقال له الشيخ: أنت سيدنا ومولانا ومرجع المسلمين وأنا أحدهم، وتوجّهك هذا إلّي يعدّ فضلاً منك عليّ.

ولكن السيد البروجردى كرّر قوله بطلب العفو والصفح.

وهنا نسأل: إذا صدر من الإنسان شيء لم يكن أو شعر أنّه لم يكن في محلّه، ألا- يجدر به العمل بما وافق السنة؟ فإن عمل به فهو أحسن الأعمال وإلا- فلا. ولو لم يكن السيد البروجردى رحمه الله ممتلئاً بعلوم أهل البيت سلام الله عليهم لما وُفق لهذا التوفيق ببلوغ أحسن الأعمال؛ الأمر الذي يجعلنا ندرك مدى أهميّة الحديث المتقدّم المرويّ عن الإمام الرضا سلام الله عليه والذي يقول فيه: يتعلّم

علومنا ويعلمها الناس.

## أحسن الأعمال في ليلة عرفة ويومها والعيدين

للإمام الحسين سلام الله عليه دعاء في يوم عرفة كما هناك دعاء للإمام السجاد وآخر للإمام الصادق سلام الله عليهما، ومن وفق لقراءة هذه الأدعية الثلاثة بتدبر فقد نال خيراً كثيراً؛ لأنها كنوز عظيمة في الحقيقة. وقد ذكر المرحوم الشيخ عباس القمي صاحب كتاب مفاتيح الجنان من هذه الأدعية الثلاثة دعاء الإمام الحسين سلام الله عليه، أما الأدعية الأخرى فقد وردت في كتب الزيارات والأدعية الأخرى.

وعمدة الأعمال في يوم عرفة وليلتها ويوم العيد وليلته سواء كان عيد الأضحى أو عيد الفطر هي أن يتعلم المرء فيها علوم أهل البيت سلام الله عليهم ويعلمها الناس، ومن جملة علومهم تلك الأدعية التي أشرنا إليها آنفاً، كما يستحب في ليلة عرفة ويوم العيد أيضاً أن يضم إلى تلك الأدعية كما جاء في بعض الروايات قراءة زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه لما فيها من علوم آل البيت عليهم السلام ولغناها بمعارف التوحيد والنبوة والعدل والإمامة والمعاد، علاوة على بيانها صفات الله الثبوتية والسلبية، وما يجوز إطلاقه على الله وما لا يجوز. فهذه الأدعية والزيارات المرويّة عن أهل البيت سلام الله عليهم هي أوسع باب وأقوم طريق لمعرفة الله تعالى والاهتداء إلى أصول دينه الحنيف.

لذا ينبغي لنا أن نتعلم هذه الأدعية والزيارات لكي نفهم عبرها أصول الدين وأحكامه، ولا نكتفي بالقراءة فقط. فمن عكف على تعلمها وتدبر في آفاقها لا بد وأن تتغير حالته نحو الأفضل ويسمو في آفاق العلم والمعرفة.

فهناك بعض الناس قد يصاب بآفة التكبر والغرور لمجرد أنه تعلم كلمتين أو درس مرحلتين أو طالع كتابين أو حفظ بعض المصطلحات، في حين ترى مرجعاً بمستوى السيد البروجردى رحمه الله مثلاً لا يهدأ له بال قبل أن يذهب ويعتذر من تلميذه لمجرد أنه احتدّ معه في الكلام، ويرى أن هذا الاعتذار أوجب الأعمال عليه وأحسنها، حتى أنه فوت على نفسه فضيلة أداء الصلاة في أول وقتها وعدّ وقت طلب العذر مقدماً عليها.

وهذا الاستعداد للاعتذار عند السيد البروجردى مع مكانته العلمية والاجتماعية، لم يأت اعتباطاً بل هو نتيجة تربية وخلفية ضخمة أوجدت فيه هذه الحالة؛ فهل نحن مستعدون إن اقتنعنا بصدور خطأ منا في حق شخص ما أن نعمل الشيء نفسه الذي عمله السيد البروجردى مع أننا لم نبلغ مكانته؟ أسأل الله تعالى أن يجعلنا كذلك وأن يوفّقنا ببركة أهل البيت سلام الله عليهم للتخلّي بأحسن الأعمال.

## توفر النية

## توفر النية

مهما أوتى الإنسان من الإحاطة في البلاغة والدراية إلا أنه يبقى على سواحل بحار معاني كلمات أهل البيت سلام الله عليهم لأنهم أرومة اللغة وسادات الأدب والبلاغة؛ ومن الأمثلة على ذلك كلمات الإمام السجاد سلام الله عليه في هذا الدعاء.

ما يبدو لنا في هذا المجال أن الإمام السجاد عليه السلام يمزج المعاني هنا بعضها ببعض ويُشرب بعض الألفاظ بمعاني ألفاظ أخرى؛ هذا الإشراب الأدبي للفظ بمعنى لفظ آخر يجعله قابلاً وقابلاً للمعنيين معاً.

تستعمل مفردة وفر في اللغة تارة متعدية وأخرى لازمة، وكلُّ بلحاظ يختلف عن الآخر. تقول: (وفّر المال) أى كثر واتسع، وتقول (وفّر الشيء) أى كمله واجعله وافراً. كما يستعمل التوفير بمعنى الصيانة والحفظ أيضاً.

وقد استعمل الإمام هذه الكلمة بشأن التَّيَّة لأنَّ ما يطلبه الإمام من الله تعالى هو المراتب العالِيَّة من الشَّيء وليس أصل الشَّيء كما في طلبنا نحن. فإنَّ الإمام يطلب هنا توفير التَّيَّة بمعنى الوصول بها إلى الكمال وثبوتها، لا بمعنى إيجادها في نفسه. إنَّ الثَّبات على التَّيَّة أصعب شيء على النفس لأنَّها متذبذبة بالنسبة إلى التَّيَّة ذبذبة غريبة، ومثاله التذبذب الذي يحصل لنا في الصلاة. فربما تبدلت تَيَّة بعضنا في الصلاة الواحدة أكثر من عشرين مرة! فقد يبدأ الشخص صلاته بتَيَّة تنسجم وقول أمير المؤمنين سلام الله عليه: إلهي ما عبدتُك خوفاً من ناركَ ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك، فيبدأ تكبيرته بهذه التَّيَّة، ولكن بمجرد أن يُتمَّ التكبير تهجم على ذهنه الأفكار، فإذا كان خطيباً مثلاً فكَّر في المجلس الذي ينتظره، وإذا كان تاجراً فكَّر في تجارته وهكذا. فهل هذا هو المراد من التكبير؟! هل كبر الخطيب ليبدأ الإعداد لمجلسه مثلاً؟ إنَّ الإعداد للمجلس أمر حسن ولا بأس به، ولكن ليس أثناء الصلاة.

إنَّ مسألة الثَّبات على التَّيَّة تعتبر بحدِّ ذاتها مسألة صعبة جداً. فإنَّ الإنسان مهما أوتى من توفيق وإخلاص حتى لو استمرَّ عليه سبعين سنة فإنه لا يؤمن من تزلزل التَّيَّة في نفسه، لأنَّ الإنسان كما هو معلوم مكبل ومشدود بغرائز وأهواء مختلفة. وقد ورد في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث القدسية والروايات الشريفة أنَّ جمهرة عظيمة وكبيرة من الناس يدخلون جهنم والعياذ بالله لعدم ثبات نيَّاتهم؛ قال تعالى: {مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ}.

ولذلك يطلب الإمام من الله تعالى إكمال التَّيَّة وإبعاد النقص فيها، ويطلب كذلك صيانتها، فهي معرَّضة للتأثيرات المختلفة، الأمر الذي يجدر بنا بعد انعقاد نوايانا في نفوسنا أن نطلب من الله تعالى توفيرها وصيانتها من أخطار الشيطان والشهوات وتأثيراتها المختلفة. ولذلك فإنَّ الإمام لم يقل: «وَقَرَّ نَيْتِي» بل قال: وَقَرَّ بَلطفك نَيْتِي. فهذه الباء هي باء السببية، أي ليتدخَّل لطفك يا إلهي في توفّر نيتي، وإلا فإنِّي غير مستحقّ لولا لطفك ورحمتك. فما هو المراد من اللطف هنا؟

إنَّ كلَّ كلمة من كلمات هذا الدعاء يعدّ كتاباً حقاً، ولو عرضت هذا الدعاء وحده على شخص لا يعرف أهل البيت وكان أديباً وعارفاً بالمعاني ومنصفاً مع نفسه لغيّر نظره وتحوَّل إلى أهل البيت عليهم السلام! اللطيف: صفة من صفات الله تعالى وأسمائه، وفي اللغة له عدَّة معانٍ، ومن تلك المعاني: الرفيق أي صاحب الرفق. ومن معاني اللطف: التوفيق والعصمة. وغير مستبعد أن يريد الإمام كلا المعنيين.

فكأنَّ الداعي يقول: يا إلهي أنت رفيق بعبادك (ترفق بهم) فبرفقك يا إلهي وَقَرَّ نَيْتِي، ويا إلهي أنت الموقِّق والمعاصم لعبادك توفِّق وتعصم وَقَرَّ مشيئتك، فبتوفيقك يا إلهي اعصم نيتي.

لقد أودع الله تعالى في الإنسان من الطاقات ما هي كفيلاً بتصحيح مساره، لكنَّه الإنسان كثيراً ما يضعف عن صيانته نيتته وحفظها عن الزيف والتذبذب، فتراه يعجز عن الصعود والارتقاء بها إلى درجات الكمال العليِّ؛ ولذا يقول الإمام السَّجَّاد عليه السلام: اللهم وَقَرَّ بَلطفك نَيْتِي. أي يا إلهي خذ بيدي واصعد بِنَيْتِي، فلا أستطيع الارتقاء من دون عونك.

### النَّيَّة إطار العمل ومانحة لونه

والنَّيَّة إطار العمل، فالعمل لا لون له، مثل الماء الصافي الذي لم تخالطه أجزاء ترابية أو شوائب أخرى. فلو كان الماء صافياً جداً ووضيَّب في إناء زجاجي شفاف، حينها لا يتمكن الإنسان أن يبصر حدَّ الماء من بعيد بسهولة، خصوصاً إذا كان ساكناً لا تموج فيه، وذلك لأنَّ الماء في الأصل لا لون فيه وإتِّما يكتسب لون الإناء الذي يوضع فيه أو لون الشَّيء الذي يمتزج معه، أو غير ذلك. فالعمل كالماء بصفائه، وإنَّ النَّيَّة هي ذلك الشَّيء الذي يمنحه لونه.

فمثلاً- زيد يدرِّس، ولكن المهمَّ هو الهدف الذي يدرِّس من أجله فإنَّ كان إلهياً قلنا إنَّ عمله إلهي، وإلا كان له لون آخر. وهكذا الحال مع كلِّ عمل سواء كان تدرِّساً أو دراسةً أو خطابةً أو تأليفاً أو بناء مسجد أو أيَّ عمل آخر.

• مثال آخر: شخص شتمك، ولكنك حلمت عليه، فالحلم شيء صعب وجميل في نفس الوقت، ولكن الأصعب من الحلم تأطيره بنية إلهية. أما إذا كان الدافع لاستعمالك الحلم أن تقوى مكانتك بين الأصدقاء أو يقال عنك حليم، أو تعلن للناس من خلاله أنك قوى الإرادة، فهذا يختلف عن حلم لعلمه أن الله يحب الحلم ويدعو إليه، ولكل حساب.

### لا عمل إلا بنية

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل إلا بإصابة السنة. وهناك أحاديث كثيرة بهذا المضمون، ذكر بعضها الحرّ العاملى رحمه الله فى كتابه. و «لا» هنا نافية للجنس؛ لأن اسمها مبنى على الفتح، وهى تختلف فى أدائها ومدلولها عن «لا» المشبهة ب «ليس» فى كون النافية للجنس تنفى جنس الشئ وهو العمل فى المقام، وهذا معناه أن العمل واللاعمل سيان إن لم يكن العمل مصحوباً بنية حسنة، وليس المقصود نفي الحقيقة والواقع الخارجى بل نفي الاعتبار. فمن واصل الدراسة لمدة عشرين أو ثلاثين سنة حتى بلغ مرحلة الاجتهاد، إنما يعبر عن وجود همة صاحبها رجل مثابر، إذا فكيف لا يعد كل ما بذله من جهد عملاً؟! وهكذا من بذل إطعاماً أو ألقى خطاباً استوجب مدح الناس وإعجابهم، كيف يقال عمّا صدر عنه أنه لم يكن عملاً؟ لا شك أن المقصود هو نفي الاعتبار وليس الحقيقة. وتوضيحه بمثال:

لو أن شخصاً ألف كتاباً ضخماً وأتعب نفسه فى تأليفه ثم قدّمه لعالم والتمسه أن يكتب له تقريراً، ولكن العالم اكتشف بعد مطالعته الكتاب أنه لا قيمة له من الناحية العلمية والموضوعية واعتذر لصاحبه عن كتابة التقرير قائلاً: إن هذا ليس بكتاب أصلاً! فماذا يفهم؟ هل نفي الواقع المادى الملموس للكتاب ككتاب مؤلف من أوراق كتبت عليها عبارات وخطوط، أم نفي توفر الكتاب على الشروط التى يستحق بها أن يسمى كتاباً كما ينبغى.

إذا ما كتبه الكاتب فى المثال هو كتاب، وفى الوقت نفسه ليس بكتاب. هو كتاب خارجاً وحقيقته، ولكنه ليس كتاباً اعتباراً، أى وفق الشروط التى يعتبرها أهل الفن.

إذا أتضح هذا المثال نقول: هكذا يجب أن نفهم مراد الأحاديث الشريفة التى تقول إنه لا عمل إلا بنية.

والخوف كلّ خوف أن يأتى اليوم الذى ينتشر فيه هذا اللاعمل. فلكل فرد منّا مئات الملايين من الأعمال فى حياته، لأنّ العمل ليس منيراً أو تأليفاً أو تدريساً أو بناءً حسينية فحسب، بل كلّ نظرة وكلّ نفحة، وكلّ تأمل وتفكر وكلّ لمسة وهمسة ولمزة وخلصه، وكلّ استماع ونجوى وتعبير، ولا بدّ أن تحصي هذه الأعمال كلّها عند الله تعالى وتنتشر يوم القيامة، ليكشف عن عدد هائل من اللاعمل بعدد مصاديق الأعمال المجردة عن النية الحسنة.

### ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة

وهذا تتميّة الحديث، وإن لم يكن مورد بحثنا الآن، ولكن لا بأس بإشارة إليه لأهميته. ولعل أقرب مثال يوضح هذا المعنى قد تجسّد فى أولئك الذين عادوا الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وشهروا سيوفهم فى وجهه بنية التقرب إلى الله تعالى! فكيف يتصوّر قبول عمل من شهر سيفه فى وجه الإمام على عليه السلام وهو ميزان الأعمال يوم القيامة؟! أى بمودة على عليهم السلام توزن أعمال العباد ليعرف ثقلها، ويتحقّق قول الله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ؟ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ؟ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ؟ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ؟»

أيعقل أن يجعل الله تعالى علينا عليه السلام ميزاناً ومعياراً لأعمال الخلاق وفيصلاً بين الحقّ والباطل، يدور الحقّ معه حيثما دار، ثم يرضى بمحاربتة وإشهار السيف بوجهه؟!!



ورغم ذلك نرى قوماً كان هذا فعلهم. ولذلك يذكر المؤرخون أنه عندما طعن أحد الخوارج يوم النهروان، مشى في الرمح وهو شاهر سيفه إلى أن وصل إلى طاعنه فضره فقتله وهو يقرأ؟: وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى؟ طه: ٨٤. فهذا عنده تيه وعمل ولكن عمله وتيته لم يصيبا السنه، فيكون عمله بذلك من مصاديق اللاعمل.

### النية قبل العمل وحينه وبعده

يظهر من مضمون الأحاديث والروايات أن النية تؤثر في العمل سواء كانت قبل العمل أو حينه أو بعده لا فرق، سوى أن فسادها بعد العمل يفسده دون أن يبطله. والفقهاء رضوان الله عليهم قد فصلوا الأمر وقالوا: إن النية إذا كانت فاسدة حين العمل أى كان العمل لغير الله كما لو كان رياءً مثلاً فهذه النية الفاسدة تفسد العمل وتبطله، ولكنها إن فسدت بعد العمل فهي لا تبطل العمل بل تفسده فقط. ولا يتناقض هذا الفهم مع مفهوم الروايات المتقدمة فضلاً عن منطوقها بل هو فهم يفرق بين البطلان الذى يعنى لزوم إعادة العمل وبين الإفساد الذى يعنى عدم القبول.

فلو أن شخصاً صدر منه الرياء أثناء الصلاة، فلا شك حينئذ بفساد الصلاة وبطلانها في الحالتين، الأمر الذى يستوجب إعادة في الوقت، والقضاء خارج الوقت إن فاته.

ولكن لو فرضنا أن الشخص لم تكن هذه نيته ولكنه بعد أن أتم الصلاة حدثته نفسه بالرياء والتظاهر، وعمل بذلك، فتحدث لغيره عن صلاته وخشوعه فيها، فهنا يقول الفقهاء إن الصلاة وإن فسدت فهي لا تبطل، ويعنون بذلك عدم بطلانها الظاهري، وهذا المعنى مساوق لعدم وجوب إعادة أو القضاء.

أما الروايات التى تقول باشتراط حسن النية حتى بعد العمل فهي ناظرة إلى القبول، ولذلك فإن هذه الصلاة تساوق العدم من حيث الأجر والقبول وإن لم تستلزم إعادة في الدنيا لسقوط التكليف بالفراغ منها قبل حصول الخلل في النية. أما الخلل الحاصل حين العمل فهو محلّ بالركنين الصحّة والقبول معاً، ولذلك عدّ من رائي أثناء صلاته كمن صلى بلا وضوء أو مستدبر القبلة أو مع النجاسة غير المعفو عنها وما أشبهه، ومن ثمّ فتجب عليه إعادة، والقضاء إن لم يعد في الوقت، بل تجب على ورثته قضاؤها إن لم يقضها، على التفصيل المذكور في الكتب الفقهية.

### مثال من واقع الحياة

واشتراط النية وصحتها في قبول العمل من الأمور التى جرت عليها سيرة العقلاء في حياتهم العملية، والأمثلة ليست عزيزة في هذا المجال، فكثيرة هى الأمور التى قد يتعب الإنسان نفسه عليها، ثم يفترط بها ويتلفها بسهولة وربما باندفاع لأنه يرى أنّها كانت عديمة الفائدة، وإن شككت كماً ضخماً في الواقع الخارجى.

نقل لى أحد العلماء رحمه الله قال: لقد ألّفت مجموعة من الكتب خلال عشرين سنة ثم بدا لى بعد ذلك أنّى غير راغب فيها - من الناحية الدينية طبعاً وليس السياسية - ولا أريد بقاءها عندى، ففكرت بطريقة للتخلص منها، لأننى لا أستطيع إحراقها بسبب وجود أسماء الله تعالى وآيات قرآنية وروايات للمعصومين فيها، يقول: ففكرت أن أعطيها لشخص لكى يرميها في النهر ولكنى خشيت أن لا يرميها في الماء أو أن يبقى منها ما قد يدركه أحد ويستخرجه، فرأيت أن أفضل طريقة هى أن أدفنها في حفرة أحفرها في داخل بيتى، فاستأجرت حفّاراً ليحفر لى بئراً فى موضع من البيت، وبعد أن حفر مقداراً أعطيته أجرته وطلبت منه أن ينصرف. وعندما خرج

من البيت أسرعت بوضع الكتب في الحفرة وفتحت عليها الماء ثم أهلت التراب حتى اختفت ثم سوّيت ما عليها!

هكذا يفعل الله مع أعمالنا الباطلة، يقول تعالى؟: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّثُورًا.؟ حقاً ما آلمه من عذاب، ذلك عذاب اليوم الآخر الذى يهون عنده كل أنواع العذاب فى دار الدنيا، لأنّ الإنسان المؤمن سيرتاح بالموت من عذاب الدنيا وهمومها،

ولكن لا راحة من العذاب الأخرى لسواه، سيان النفسى منه والجسدى.

إن المفتاح بيد الإنسان وإن لم يخل الأمر من صعوبة ولكنه ممكن، غايته أنه يتطلب إرادة وتوكلاً على الله تعالى. والنتيجة تؤطر العمل فى كل حال. فهى تؤطر الخطابة والتدريس والبذل والإطعام، وهى تؤطر عمل المرجع والمؤلف والمبلىغ وإمام الجماعة والقاضى، كما تؤطر العمل فى سائر المجالات.

### الخلود بسبب النية

يقول العلامة المجلسى: ومن هذا يظهر سرّ أن أهل الجنة يخلدون فيها بنيتهم، لأنّ النية الحسنه تستلزم طينه طيبه، وصفات حسنه، وملكات جميله تستحقّ الخلود بذلك؛ إذ لم يكن مانع العمل من قبله فهو بتلك الحاله مهياً للأعمال الحسنه والأفعال الجميله، والكافر مهياً لصدّ ذلك، وبذلك الصفات الخبيثه المستلزمه لتلك النية الرديئه استحقّ الخلود فى النار. توضيحه: إنّ المؤمن الثابت على الإيمان مهما مدّ الله فى عمره أقام على الطاعة فهذه نيته، والعاصى المصرّ على العصيان مهما عاش فى الدنيا استمرّ على عصيانه، وهذا عزمه.

### أمثلة على النية الحسنه

• للشيخ عباس القمى رحمه الله كتب عديده منها «مفاتيح الجنان» وله كتاب عميق المحتوى كتبه باللغه الفارسيه وتمت ترجمته مؤخرأ إلى اللغه العربيه، أسماه «منازل الآخرة» وهو حقاً يعبر عن محتواه.

كان أبوه (محمد رضا) رجلاً عادياً، ومن الكسبه الأخيار، فكان ملتزماً بالحضور فى مسجد الإمام الحسن العسكري سلام الله عليه المعروف فى مدينه قم المقدسه، حيث كان هناك خطيب قد تأثر بخطابه وبوعظه وإرشاده؛ فقد كان خطيباً جيداً، وفى نفس الوقت كان من الذين يخدمون أهل البيت سلام الله عليهم عن هذا الطريق.

أمّا الشيخ عباس القمى فلم تكن حرفته الأصلية الخطابه بل كان مؤلفاً محققاً، ولكنه مع ذلك كان يصعد المنبر أحياناً، وكان المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائرى (زعيم الحوزه العلميه) يدعوه لارتقاء المنبر فى مدينه قم، كما كان السيد حسين القمى رحمه الله يدعوه أحياناً ليصعد المنبر فى بيته فى مدينه مشهد المقدسه. وكان غالباً ما يأخذ معه كتاباً بيده ويقرأ منه، لأنه كان يخشى الزيادة والنقيصه ويتورع فى ذلك.

كان محمد رضا يسأل ابنه «الشيخ عباس» مراراً: لماذا لا تزيد من معلوماتك وتصعد المنبر مثل الخطيب الفلانى الذى أحضر مجلسه فى مسجد الإمام العسكري سلام الله عليه، فهو خطيب جيد يحضر منبره جمهور كثير وهو يقرأ من كتاب معه يحوى مواظ وحكمأ وحكايات مؤثره؟

وكان الكتاب الذى يطالع فيه ذلك الخطيب هو كتاب «منازل الآخرة» للشيخ عباس القمى، ولكن الشيخ مع ذلك لم يخبر أباه أبداً أنّ هذا الخطيب إنّما يقرأ من كتاب «منازل الآخرة» وأنّه من تأليفى.

وهذه الحاله تكشف عن الإخلاص فى النية.

• للشيخ ابن فهد الحلّى رحمه الله تأليفات كثيره منها كتاب «عدّه الداعى» كنت سابقاً قد سمعت عن الكتاب ورأيت بعض ما نُقل عنه، ولكنى لم أكن قد رأيت الكتاب نفسه. وعندما حصلت عليه، بعد أن جاءنى به شخص فى أول الليل، أخذت فى قراءته وسهرت بذلك الليل كله تقريباً، فشعرت بتأثير مطالبه علىّ مع أنّى كنت قد سمعت بمعظمها، حتى إنّهُ يمكننى القول أنّى لم أجد شيئاً جديداً سوى جملة واحده لا تزيد على سطر واحد.

وكعادة طلاب العلوم الدينيه الذين يبحثون دائماً عن جذور الأشياء وأسبابها، فكّرت عند نفسى عن السبب الذى يكمن وراء كل هذا

التأثير الذى وجدته من وراء هذا الكتاب رغم أن معظم مطالبه لم تكن جديدة لى فلم أصل إلا إلى أمر واحد فقط وهو أن المؤلف كتب كتابه هذا بتية خالصة!

لقد كان الشيخ ابن فهد الحلى رحمه الله من الفقهاء الأتقياء وصاحب كرامات وقد نقلت عنه أشياء نادرة وأمور مبتكرة ولعلها فريدة. ولقد كانت تيته موفرة وخالصة لدرجة أن عمله فى كتابه هذا على وجه الخصوص، يؤثر فى النفوس رغم مرور مئات السنين عليه!

• لما أظفر الله تعالى أمير المؤمنين سلام الله عليه: بأصحاب الجمل قال له بعض أصحابه: وددت أن أخى فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك. فقال سلام الله عليه: أ هوى أخيك معنا؟ قال: نعم. قال: فقد شهدنا، ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا، أقوام فى أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان.

### لا بد من التية والتوكّل معا

إن التية هى الأساس فى العمل، وهى إطار العمل كما أسلفنا، والاختيار يبقى بيد الإنسان، ولكن بما أنه مكبل ومشدود إلى الأرض فهو بحاجة إلى تأييد ربانى. نضرب لذلك مثلاً:

إن الذين يتسلقون الجبال يمسكون بحبل أحد طرفيه مثبت فى أعلى الجبل، فالمتسلق منهم وإن تراه يصعد بعزيمته وجهده وفكره وأعصابه إلا أنه مع ذلك لا بد له من وجود ذلك الجبل لأن أدنى زلّة منه قد تودى بحياته أو تهشم عظامه، إذا ما هوى. فلا العزيمة وحدها كافية دون الجبل ولا الجبل وحده كاف دون العزيمة، لأن من لا عزيمة وقوة له لا يستطيع التسلق وإن كان هناك جبل، كما أن الإرادة والعزيمة غير كافيتين دون الجبل لأن الطريق صعب ومحفوف بالمخاطر، وأن أدنى غفلة أو زلّة تنتهى بصاحبها إلى التحطم والهلاك.

وهكذا الحال بالنسبة للتية ونجاحها، فإنها تتطلب إرادة وعزيمة وتصميماً من العبد، وتوكلاً منه على الله تعالى إلى جانب ذلك. فإن التوكّل وحده دون إرادة واختيار من العبد لا يكفى، كما أن اعتماد العبد على إرادته وحدها دون مدد من الله هو أيضاً غير مضمون النتائج.

وتلك الوسيلة التى تعين العبد على تسلق درجات المعرفة والكمال والفلاح، هى التية والتوكّل على الله تعالى.

• كان أبو حمزة الثمالى شخصية عظيمة، ويكفى أن واحدة من حسناته روايته الدعاء المعروف بدعاء أبى حمزة الثمالى، الذى كان يدعو به الإمام زين العابدين سلام الله عليه فى أسحار شهر رمضان المبارك.

روى أن سبطه حسيناً روى عن أبيه، عن أبى حمزة أنه قال: «والله إننى لعلى ظهر بعيرى بالبيع إذ جاءنى رسولٌ فقال: أجب يا أبا حمزة! فجت وأبو عبد الله عليه السلام جالس، فقال: إننى لأستريح إذا رأيتك.

هذه كلمة عظيمة جداً، فالإمام الصادق سلام الله عليه كان له أصحاب كثيرون، فلماذا كان يستريح لأبى حمزة بالخصوص؟ هل كان سلام الله عليه يستريح لشكله أو منطقته أو لسانه أو ماله أم كان يستريح لإخلاصه؟ لاشك أن إخلاص أبى حمزة هو الذى رفعه إلى هذه الدرجة العظيمة، وأن الإمام كان يستريح لخلوص تيته.

### لنعمل على توفير التية

فلنتجاوز هذه العقبة الكؤود عقبه التذبذب فى التية ولنؤطر أعمالنا بتية خالصة مادمننا على الطريق، نؤمن بالله واليوم الآخر، ونؤدى سائر الفروض والواجبات، وندرس وندرس العلوم الدينية ونعظ الناس ويؤلف بعضنا الكتب لهدايتهم أو لبيان معالم الدين، لأننا مع الأسف نرى أن بعض الناس بعيدون حتى عن أوليات الدين الحنيف، لذا يلزم أن نبذل جهداً متميزاً فى الوصول إلى أحسن التيات. غاية الأمر أنه يحتاج إلى تركيز وتصميم وتوسيل بالله تعالى واستشفاع بأهل البيت سلام الله عليهم. فإن العمل الخالص هو الذى لا تريد أن

يمدحك عليه أحد كما أشار إليه الأئمة المعصومون سلام الله عليهم وإن كان هذا أمراً صعب المنال ولكنه ممكن. بعد ساعات أو أيام أو شهور أو سنين كل حسب أجله سنتقل إلى الدار الآخرة، حينها نتأسف لعدم استثمار حياتنا وأعمارنا في العمل بإخلاص، وأن عمدة همنا كان منصباً في التظاهر بأعمالنا وذواتنا.

صحيح أنه ينبغي في بعض الموارد أو يستحب بل قد يجب أن يظهر الإنسان نفسه، ومثاله: أن تكتب اسمك على الكتاب الذي تؤلفه ليعرف أنه لك فيؤخذ بما فيه إن كنت ممن يوثق بكلامه. ولكن ليكن كتابة اسمك من أجل التوثيق لا لكي ترى نفسك وتظهر ذاتك لأجل التفاخر وما أشبه.

وهذا الأمر يتطلب انتباهاً مستمراً وتوكلاً على الله تعالى، فرب غفلة أدت إلى سقوط مميته! كالذين يقودون سياراتهم في طرق ذات منعطفات ومزالق خطيرة تتطلب منهم انتباهاً ويقظة وحذراً لكي لا تؤدي بهم الغفلة إلى خسارة أعمارهم أو البقاء معوقين طيلة حياتهم!

## تصحيح اليقين

### تصحيح اليقين

إن أعلى درجات العلم عند الإنسان هو اليقين. فقد يسير الإنسان على طريق ما بهدف الوصول إلى غايته، وفي الوقت نفسه يكون شاكاً في سلامة هذا الطريق ومدى صوابه، ومع ذلك يصل إلى مرامه ومقصوده إن استعمل الاحتياط. وقد يسير الإنسان على الظن، فيكون احتمال نجاحه أكبر. ولكن مهما قوى الظن فإنه لا يبلغ مرحلة اليقين، لأن اليقين أعلى مرتبة في العلم يمكن أن يبلغها الإنسان. بيد أنه حتى اليقين كثيراً ما ينكشف أنه كان خلاف الواقع، فهناك حالات كثيرة من اليقين يتبين أن الإنسان كان مخطئاً فيها. وهذا الانكشاف قد يكون بعد آن وقد يكون بعد مرور أشهر، وقد لا يتحقق إلا بعد مرور سنوات - وهناك أمثلة كثيرة على هذا الأمر - وأحياناً قد لا ينكشف زيف يقين ما إلا في الآخرة والعياذ بالله، وهذه هي الطامة الكبرى.

## اليقين بالله أفضل اليقين

روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنه قال: إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار.

فهناك من يعبد الله تعالى عبادة العبيد، حيث يدفعه خوفه من النار للامتثال، فلا يكذب ولا يظلم ولا يرتكب ما حرم الله تعالى؛ خوفاً من نار جهنم، ويقوم بالطاعات والواجبات للسبب نفسه، فهو يصلي ويصوم ويتصدق على الفقراء لتحاشي الوقوع في العذاب. وهذه مرتبة من اليقين أيضاً وإن كان سببها الخوف، ولكنها مقبولة على كل حال، والالتزام بهذا الحد لا بأس به، وما أسعد الناس لو التزموا بهذا الحد وبهذا المقدار. ولكن إذا ما قورنت هذه الحالة وهذا المقدار بمن يعبد الله لأنه أهل للعبادة فإنها ستبدو ناقصة أو كالأعور في مقابل من له عينان صحيحتان. فالأعور لا يمثل الحالة الفضلى ولكنه أحسن من الأعمى على كل حال، ولا مناقشة في الأمثال. وهناك من يعبد الله تعالى طلباً لثوابه وطمعاً في الجنة التي حشوها البركة.

[أو أكبر النعم في الجنة رضوان الله تعالى؛ يقول تعالى؟: وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ بمعنى أن علم أهل الجنة بأن الله راض عنهم يعد من أكبر النعم. لتوضيح أكثر نقرب الموضوع بمثال:

لو أنك كنت تحترم شخصاً ما ولنفرض أباك وكان يكرمك ويعطيك المال بل يعطيك من وقته واهتمامه، ولكنك لا تعلم هل هو راض عنك حقاً، فإنك إذ ذاك لا تشعر بالقيمة الحقيقية لما يقدمه لك، ولكن إذا كنت تعلم بأنه راض عنك فسيكون رضاه أهم شيء وأكبر مكسب عندك. والأب مثال في المقام وإلا فقد يكون من تحب صديقاً عزيزاً أو غيره.

وهكذا الحال في شعور المؤمن باللذة في الجنة، فإن أكبر مكافأة له هي شعوره برضى الرب تعالى عنه.]

ولكن تبقى هذه الحالة (العبادة طمعاً في الجنة) أيضاً عبادة تجار

كما عبر عنها الإمام عليه السلام وهي أدنى مرتبة من عبادة الأحرار التي لا تنبع من خوف ولا طمع بل من يقين بأن الله تعالى يستحقّ العبادة.

روى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله: إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا- طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.

ولتوضيح المطلب نذكر مثلاً: إذا كان لمرجع دين خادماً وصديقاً ومقلّداً، أما الخادم فتراه يُجدد في عمله مخافة أن يُطرد ويُبدل بآخر إن لم يؤدّ مهمته على الوجه المطلوب لأنّ الهدف الذي كان يتوخى منه لم يتحقق. فهو يعمل بجد ولا- يتخلف عن الحضور في الأوقات المطلوبة للخدمة مخافة الطرد أو الاستغناء عنه.

أمّا الصديق فتراه يحاول أن يحبب أو يقرب نفسه للمرجع أيضاً، ولكن بدافع مختلف عن الأول، لأنه لا يتغنى مالا من وراء ظهوره بالمظهر اللائق الذي يجعل المرجع يرتاح إليه. بيد أنه هو أيضاً ربما يكون يبحث عن منفعة وإن لم تكن المنفعة مادية بصورة مباشرة، كما لو كان يحاول أن يكسب ثقة المرجع أكثر فأكثر ليكون من مقربيه؛ لينال حظوة أو مكانة اجتماعية، ومن ثم يكون مؤثراً في المجتمع، أو ذا كلمة مسموعة قد يستطيع من خلالها أن يحصل على فوائد مادية أو فتوية.

بينما المقلد لم يقلد المرجع خوفاً ولا طمعاً بأي نفع مادي أو اجتماعي وإنما قلده لأنه رآه أهلاً لذلك. فإذا قال المرجع إن الصلاة كذا قال سماعاً وطاعة، وإذا قال الخمس كذا نفذ مقالته بلا تردد.

فطاعة المقلد لأقوال المرجع والامتثال لأوامره نابعة من نظرتة للمرجع في أنه ممن يجب تنفيذ أقواله وامتثال أوامره فهو مرجعه المتخصص في الشؤون الشرعية، وليس خوفاً من طرده كالخادم أو الأجير ولا طمعاً في كسب الدنيا من ورائه كبعض الأصدقاء. هكذا هو حال الأئمة عليهم السلام في علاقتهم بالله، فهم لا يعبدونه سبحانه خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته وإنما رأوه أهلاً للعبادة فعبدوه.

### اليقين باعث على الطمأنينة

الإنسان الذي يؤمن بالغيب وعنده يقين بأن المقادير كلها بيد الله تعالى، ينعم براحة بال دائمة وطمأنينة واستقرار؛ لأنه يعتقد بأن كل ما يصيبه إنما هو بقضاء من الله وقدره؛ قال تعالى: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا. ولكن هذا لا يعني أن لا يعمل الإنسان بالشروط والأسباب الطبيعية التي أمره الله تعالى بها، مبرراً فشله بعد ذلك بأنه مكتوب عليه من الله سبحانه.

فلو أن طالباً تقاعس عن الدراسة ولم يصبح متعلماً رغم مرور السنين، فهذا لا يمكنه القول إن الله عز وجل كتب عليه الجهل والتخلف. فإن الله تعالى كتب أن طريق الرقي العلمي هو الجهد والاجتهاد، ولا بد من سلوكه للوصول إلى الهدف، ولا شك أن من لا يسلك الطريق لا يصل إلى الغاية. والشيء نفسه يصدق على كل مجالات الحياة الفردية والاجتماعية، فكما أن الله تعالى سنّ قوانين تشريعية مثل: كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ؟ وغير ذلك من الفروض والواجبات أو النواهي والمحرمات مثل: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَيْزُرِ؟ وغيرها، فكذلك هنالك لله عز وجل سنن تكوينية يستتبع التخلف عنها شقاءً لازماً، مثل: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ؟

إذاً على الإنسان أن يعمل بالأسباب الظاهرية، فإن لم يوفق مع ذلك يستسلم إلى تقدير الله ويردد قوله تعالى: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا؟

## من يصحح اليقين غير الله عز وجل؟

الظاهر من عبارات الإمام السجّاد سلام الله عليه في هذه الجملة والتي قبلها أنّه عندما طلب توفير التّيه ذكر السبب الذي يتم به توفّرها وهو لطف الله تعالى فقال: اللهم وقرّ بلطفك يتي، ولكّنه عندما طلب تصحيح اليقين - وهو أهمّ ما يبنى عليه الإنسان العاقل حياته - أوكل الأمر في تعيين السبب والوسيلة إلى الله تعالى نفسه، فلم يقل بلطفك أو أيّ صفة من صفاتك يا إلهي بل قال: بما عندك أي بالصفة التي تراها أنت يا إلهي؛ ولا يتوهم أنّ الإمام لم يذكر السبب ههنا من جهة أنّه قد لا يكون بمستوى أفهامنا فإنّ سلام الله عليه ليس بصدد التفسير والبيان، بل هو في حالة سؤال من الله تعالى ولكن ليثبت حقيقة ويكشفها لنا وهي: أنّ موضوع تصحيح اليقين مشكل جدّاً، لأنّ الإنسان إذا كانت نيته غير صالحة فهو يعلم بذلك، ولكن أنّي له أن يعلم أنّ يقينه غير صحيح وهو على يقين؟! ولفظة «ما» الموصولة - كما نعلم - تستعمل للعاقل وغير العاقل، للمفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث على السواء، فهي أعم لفظاً.

هل يستطيع أن يصحح اليقين الخاطيء غير الله تعالى؟ إنّ الإنسان في شدة قوته هو في منتهى الضعف، فكيف في ضعفه؟ ولذلك يعلمنا الإمام صلوات الله عليه أن نتوسّل في مثل هذه الحالات إلى الله تعالى، فنقول: اللهم صحّح بما عندك يقيني، فكان اختياره سلام الله عليه لكلمة «بما عندك» في غاية الدقّة والروعة.

أي: يا إلهي أنا لا أعرف أسلوب تصحيح اليقين، فأنت الذي تصحّح لي بما عندك يقيني، لأنّ المرء عندما يكون متيقناً بشيء فمعناه أنّه متيقن بصحّته فكيف يصحّحه؟ أجل، إنّ الله سبحانه قادر على أن يبدّل يقين الإنسان إن كان زائفاً إلى اليقين الصحيح. فزبّ شخص اعتمد على صديق له ووثق به ثقة مطلقه، فأودعه أسراره وكشف له عن أموره خاصّتها وعمّتها، ثمّ تبين له بعد ذلك أنّه كان يتجسّس عليه وينقل أخباره إلى أعدائه! والعكس بالعكس.

فمن ذا الذي يصحّح يقين الإنسان والحال هذه؟ لا شكّ لا أحد غير الله عز وجلّ، ولا طريق لذلك إلا الدعاء! قال تعالى?: قُلْ مَا يَغْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ؟

إنّ الإنسان الذي لا يدعو الله تعالى لا يستحقّ العناية الإلهية، ومن لا يستحقّ العناية فليس من الحكمة أن يُعطاها. إنّ الطفل مهما كان عزيزاً عند أبويه فإنّهما لا يعطيانه صكاً نقدياً كبيراً ليلعب به مع الصبية في الطرقات، لأنّه غير مدرك لقيّمته، وقد يباغته شخص ويسرقه منه. فإذا كان الأبوان حكيمين فإنّهما لا يعطيانه الصكّ مهما بكى وألحّ، إذ ليس من الحكمة إعطاؤه. وهكذا الإنسان غير المستحقّ لعناية الله تعالى، ليس من الحكمة أن يعطاها.

ولذلك نرى الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين يتضرّعون إلى الله عز وجلّ في دعائهم، تضرّعا لا يبلغه سواهم، وهم الذين خلقهم الله تعالى في الذرّوة وطهرهم من كلّ رجس، والروايات في هذا المجال كثيرة وما وصلنا لا يشكّل إلا نزراً يسيراً لأنّ أكثر عبادتهم عليهم السلام كانت في الخفاء، وهذا هو شأن من يعبد الله عز وجلّ حقّ عبادته لمّا وجده أهلاً للعبادة.

فحال الأئمة المعصومين سلام الله عليهم مع المولى تعالى شأنه؛ هو أنّهم رأوه أهلاً للعبادة، فبالغوا في عبادته ودعائه والتضرّع إليه، وما ظهر لنا في هذا المجال عنهم صلوات الله عليهم لا يمثّل إلا القليل النادر مما لم يظهر أو لم يُنقل.

## استصلاح الفساد

### استصلاح الفساد

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: واستصلح بقدرتك ما فسد منّي.

الاستفعال في اللغة وُضع في الأصل لطلب وقوع الفعل، ولكّنه قد يأتي بمعنى الإفعال، كما في قول الإمام «استصلح» فهو بمعنى

«أصلح» وكما في دعاء التوبة المروي عنه عليه السلام: «يا من استصلح فاسدهم بالتوبة».

## الإصلاح بحاجة إلى قدرة الله تعالى

في هذا الدعاء يطلب الإمام سلام الله عليه من الله تعالى أن يتدارك أمر الإصلاح بقدرته. وهذا الطلب يوحى أن هذا المجال (أى إصلاح ما فسد من الإنسان) صعب جداً، بحيث يتطلب تدخل القدرة الإلهية.

الإنسان معرض للفساد فقد يقع فيه وقد لا يقع، والكلام هنا عن فعلية الفساد ووقوعه، لأن الإمام يقول: «ما فسد منى» لا ما يقتضى أن يفسد، وليس كل فاسد يمكن إصلاحه بسهولة، علماً أن كلمة «ما» الموصولة في قوله سلام الله عليه: (ما فسد منى) تفيد العموم والسعة والشمول، فتشمل ما فسد من أمور الدنيا والآخرة، ومن البدن والنفس، وكذا في المسائل المالية والنفسية والاجتماعية وغيرها.

ولا يخفى أن الإمام هنا بصدد تعليمنا وإرشادنا، فمعنى قوله سلام الله عليه هو: إن الإنسان لا يقوى على إصلاح ما فسد منه دون الاعتماد على قدرة الله تعالى وتوفيقه، فكل منا يمكنه أن يكون من خيار الناس، كما يمكن أن يكون من شرارهم والعياذ بالله فهؤلاء الأشرار الموجودون في المجتمع والذين بقوا كذلك حتى آخر عمرهم كانوا أناساً أيضاً، ولكنهم لم يريدوا الإصلاح، ولا استعانوا بقدرة الله تعالى لإصلاح ما فسد منهم، فاستمروا على ما هم عليه.

إن إصلاح الفاسد بحاجة إلى الدعاء، ولذلك يقول الإمام سلام الله عليه: «واستصلح بقدرتك ما فسد منى».

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَفِّنِي مَا يَشْغَلُنِي الْإِهْتِمَامَ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَدَاً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيَمَا خَلَقْتَنِي لَهُ.

? ما يشغل الإنسان

? العمل للآخرة

? التفريغ لعبادة الله تعالى

## ما يشغل الإنسان

هناك أمور ومسؤوليات تقع على عاتق الإنسان، منها ما هو كفائى ومنها ما هو عينى وهو مرادنا فى البحث. فالعينى هو الأمر الذى لا يسقط عن الإنسان بإتيان الغير له كالصلاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى بعض أقسامه، والزكاة والخمس. لكن من العينى ما يكون الغرض منه التحقق، فلو قام به شخص سقط عمن وجب عليه.

مثلاً: شخص قدم من بلاد نائية إلى الحوزة العلمية من أجل تلقى الدراسة، وبينما هو منغمس فى الدراسة ومرتقب للامتحانات إذ يأتيه الخبر أن أباه قد ابتلى بمرض ما وأنه بحاجة ماسة إلى دواء يجب أن يبحث عنه مهما كلف الأمر ويوصله إليه بأسرع ما يمكن، فهذا واجب عينى ولكن لا يشترط أن يقوم به المكلف نفسه، بل يجوز أن يقوم به غيره نيابة عنه.

ههنا لا شك أن هذا الأمر سيشغل بال هذا الطالب واهتمامه، لأنه أوجب عليه حتى من تحصيل العلم بل من كل العبادات، لتراحم الأمر بين ما يخشى عدم دركه؛ لفواته، وبين ما يمكن دركه؛ لعدم فواته. لذا يكون الواجب المطلوب منه تحقيق الأمر وإيصال الدواء المعين إلى أبيه على أى نحو كان، حتى لو استأجر شخصاً أو التمس من صديق أن ينوب عنه بذلك، ولا يشترط أن يقوم الطالب بالبحث عن الدواء وحمله إلى أبيه بنفسه إلا إذا انحصر الطريق به، فحينها يقوم به.

فى مثل هذه الحالة إذا كان الفرد حائراً لا يجد من يكلفه للقيام بهذه المهمة، فهو من جهة يشعر بأن ما عرض له هو أمر لابد من استجابته، لأنه واجب عليه شرعاً وعرفاً وعقلاً وعاطفة، ومن جهة أخرى يرى أنه إن قام بالواجب بنفسه فسوف يتأخر عن دراسته ربما لمدة عام كامل. وبينما هو مهتم ومنشغل فى هذا الأمر وخوف فواته، ومتأثر لأنه سيتأخر عن دراسته فيما لو استجاب له بنفسه، يتجه

حينها إلى الله تعالى فيقول: إلهي أنت أدري بيتي وبحالي فاكفني هذا الأمر الذي يشغلي الاهتمام به عن أمر هو الآخر محبوب لديك، وهو تلقى العلم الذي طويت لأجله كل هذه المسافات، فقيض لي من يكفني أمر استحصال الدواء وإيصاله حتى لا أنشغل بسببه عن دراستي.

ويتفق في الأثناء أن يحصل الدواء وأن يلاقى شخصاً من أبناء منطقته يروم السفر إليها فيوافق على إيصال الدواء، والأمر في كلا الحالين متعلق بإرادة الله تعالى، ولذلك ينبغي للإنسان المؤمن أن يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى في هذه الحالات، وما أكثرها في الحياة وفي مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وعلى مستوى الفرد والجماعة، فإن الإنسان في الغالب مبتلى طيلة حياته بطريقتين بينهما تزاوج، وكلاهما مهمتان، أحدهما يكون على النحو الأول، أي الذي لا بد للإنسان أن يقوم بأدائه بنفسه كالدراسة وطلب العلم فهل يمكن أن تتيب شخصاً في الدراسة عنك ثم تصير عالماً؟ لا يمكن هذا بالطبع والآخر على النحو الثاني الذي يمكن إيعازه إلى شخص آخر يقوم به بالوكالة والنيابة.

وبما أن الله تعالى مسبب الأسباب، لذا يطلب منه الإمام سلام الله عليه أن يكفيه الأمر الذي يشغله بأي نحو شاء، حتى يتفرغ للأمر الضروري التي لا بد من قيامه بذاته لأدائها، ولا ينشغل عنها بالأمر التي يمكن لغيره أن يقوم بها نيابة عنه أو أصالة، فضلاً عن الأمور التي لم يُخلق من أجلها ولا يُسأل عنها يوم القيامة.

فبعد أن طلب الإمام من الله تعالى أن يكفيه ما يشغله الاهتمام به، توجه إليه بالسؤال مباشرة أن يعينه لكي يصرف الوقت الذي حصل له بسبب ذلك في الأمور التي سيُسأل عنها يوم القيامة.

وإذا ما عرفنا أن الدعاء وحده لا يكفي بل لا بد للإنسان من السعي نحو ما يدعو ويسأله من الله؛ لقوله تعالى: وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى،؟ كما أن السعي من دون الدعاء لا ينفع؛ لقوله عز وجل: قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ،؟ إذا عرفنا ذلك تبين لنا أن علينا التفكير والسعي إلى جانب الدعاء دائماً لأن نصرنا أعمارنا في ما خلقنا الله تعالى من أجله وما هو سائلنا غداً عنه.

## العمل للآخرة

## العمل للآخرة

يقول الإمام صلوات الله وسلامه عليه بعد ذلك: واستعملني بما تسألني غداً عنه. أي: وفقني لأن أتفرغ للأعمال التي ستسألني عنها غداً. ويبدأ الغد عند كل إنسان من ساعة موته ويستمر حتى الآخرة والدار التي يقول الله تعالى عنها: هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.؟ فلا بد أن تحضر جواباً حين يسألك الله سبحانه وتعالى في اليوم الآخر، ومعلوم ما هي تلك المسائل التي يجب أن تعنى بها والتي ستسأل عنها غداً. فلن تُسأل: لماذا لم تأكل الأطيب أو تلبس الأنعم أو تركب الأسرع أو تختار ما هو أعلى للعيش وأجمل؟ إنني لم أر في الأدلة الشرعية أنا ستسأل يوم القيامة أسئلة من هذا القبيل.

روى عن الإمام الرضا سلام الله عليه أنه قال: لو وجدت شاباً من شبان الشيعة لا يتفقه في دينه لضربته. وكلمة الفقه في تعابير أهل البيت سلام الله عليهم يراد بها معنى أوسع وأشمل من المعنى الاصطلاحي للفقه، لأنه في الاصطلاح الأخير هو العلم الذي يعنى بالأحكام العملية كالعبادات والمعاملات ونحوها أما في المصطلح الروائي فيقصد به تعلم كافة مسائل الإسلام الذي تمثل الأحكام العملية جزءاً منه.

كما أن قول الإمام (لضربته) تعبير مجازي، وإلا فلم يعهد أن أحداً من الأئمة سلام الله عليهم ضرب أحداً لذلك، وإنما استخدم الإمام سلام الله عليه هذا التعبير لبيان أهمية هذا الأمر وأنه مما يُسأل عنه العبد يوم القيامة.



ومن جملة ما يسأل عنه العبد المسلم يوم القيامة سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ومدى الاقتداء به والعمل وفق ما أرشد إليه القرآن الكريم؛ قال الله تعالى؟: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟

بل من الواجبات على كل مسلم أيضاً الدفاع عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله إزاء الذين يكذبون عليه صلى الله عليه وآله. فما أكثر المتطاولين على قداسته صلى الله عليه وآله من الذين يفترون الأكاذيب بحقه، سواء كانوا من غير المسلمين أم من الذين يزعمون أنهم مسلمون.

إن الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد معرفته سيرته هي من أهم ما نُسأل عنها يوم القيامة؛ لأن الله تعالى يقول؟: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ فكيف يتسنى للمرء أن يقتدى ويتأسى بالرسول صلى الله عليه وآله وهو لا يعرف سيرته وسنته في كيفية تعامله مع أصحابه أو مواجهة أعدائه، وكيف كان يتصرف مع المنافقين، وكيف كان مع أسرته؟ وهكذا في سائر المعاملات، فضلاً عن علاقته مع الله تعالى في عبادته؟ وهكذا في طريقة أكله وشربه ونومه ويقظته وصلاته وصيامه، وجميع فعالة وخصاله. لاشك أن ما وصلنا من تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسيرته قليل جداً، بل لعلنا أستطيع القول إنه لو جمعتم كل ما في كتب التاريخ والسير والآثار وغيرها لما حصلت على معشار سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله. لكن مع ذلك ينبغي لنا أن نصمم على الاقتداء به صلى الله عليه وآله في كل ما وصلنا مهما قل قياساً بما لم يصلنا.

• لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قمة في الأخلاق حتى أن الله تعالى مدحه في قوله عز وجل؟: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ؟

• رغم أن القرآن الكريم قد صرح في مورد واحد قد يكون استثنائياً بخيار ضرب المرأة، إلا أنه لم يُسمع أن النبي صلى الله عليه وآله قد صدر منه هذا الفعل بحق أي من زوجاته التسع، مع أنه كانت فيهن من هي من خيرة نساء العالمين كخديجة سلام الله عليها، وكان منهن المتوسطات في الفضل، وكان فيهن من تظاهرت عليه، على ما صرح به القرآن الكريم في آيات عديدة، منها قوله تعالى؟: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ؟ أي تشداً إحداكما ظهرها بالثانية فتتآزران ضده صلى الله عليه وآله؟، فإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ. ومع كل ذلك لم يُنقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله استعمل الضرب مع أي من زوجاته ولا مرة واحدة.

• ثم كتاب لكاتب مسيحي طالعه قبل أكثر من عشرين سنة، أرخ فيه لأعظم مئة شخصية في التاريخ على زعمه. وذكر في المقدمة أنه رتب الشخصيات حسب الأهمية، فالشخصية الأولى في كتابه هي أعظم الشخصيات في نظره على الإطلاق. ولكن الملفت للانتباه أنه أورد اسم السيد المسيح بعد نبينا صلى الله عليه وآله! وعندما سئل عن السبب مع كونه رجلاً مسيحياً، قال: أنا لم أرتب التسلسل حسب عقيدتي بل حسب أهمية الأشخاص ونجاحهم، وإني أرى أن محمداً أعظم من السيد المسيح عليه السلام لأن محمداً صلى الله عليه وآله استطاع أن يبث في أتباعه روحاً امتدت عبر القرون المتعاقبة، وكلما ضعف الإسلام في الدنيا كان هناك أشخاص من أتباعه ممن اتصلوا بتلك الروح العظيمة يقومون بتجديد الإسلام.

ولعل هذا يتطابق مع ما ورد في الأحاديث النبوية كما في قوله صلى الله عليه وآله: يَحْمَلُ هَذَا الدِّينَ فِي كُلِّ قَرْنٍ عَبْدٌ يُنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْعَالِينَ وَانْتِحَالَ الْجَاهِلِينَ كَمَا يَنْفَى الْكَبِيرُ حَبْثَ الْحَدِيدِ.

إذاً ينبغي أن يتجسد فينا معنى التأسي الحق برسول الله صلى الله عليه وآله. والاجر للتأسي برسول الله أن يتصرف كما لو كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يشهده ويراه، لا كما يحلو له وما تملى عليه شهواته أو كما توجهه بيته فيميل يميناً ويساراً، ولا أن يبتدع سلوكاً من عنده، بل عليه أن يطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بحذافيرها.

روى أن جماعة من الصحابة كانوا قد حرموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل. فأخبرت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج إلى أصحابه فقال: أترغبون عن النساء؟ إني آتيت النساء وأكلت بالنهار وأنا بالليل. فمن رغب عن سنتي فليس مني. لو عرضت سيرة النبي صلى الله عليه وآله على العالم بنحو موضوعي جاد، لأقبل عليها الملايين، لأن الناس في الغالب غير معاندين.

وأكثر المعاندين لم يكونوا كذلك إلا على أثر غسل الدماغ الذي تعرّضوا له بسبب الكمّ الهائل من المواضيع المختلفة المدسوسة؛ ومسؤوليتنا تفرض علينا المساعدة في تطهير هذه الأدمغة من تلك الرواسب العالقة بها.

نقل لي أحد الأصدقاء قال: وجّه شخص عبر الشبكة المعلوماتية (الإنترنت) نقداً لاذعاً لبند من بنود الإسلام، وترك عنوان بريده (الإلكتروني) للردّ عليه، وكان نقده مصحوباً بالسبّ والشتائم، فانبرى له أحد المؤمنين في الردّ عليه ردّاً علمياً موضوعياً خالياً من التجريح ومستنداً إلى المصادر. يقول راوي القصة: فكتب الأول في اليوم الثاني جواباً يبيّن فيه أنه يعتذر عما بدر منه في هذا المجال لأنه كان قد تشوّش فكره بسبب تلك الإثارات الفاسدة، وأنه لم يكن يعرف الموضوع حقّ معرفته!

فما أكثر أمثال هؤلاء وما أعظم مسؤوليتنا في هذا المجال!

لقد أسس السيد البروجردى رحمه الله مركزاً إسلامياً في هامبورغ في ألمانيا، وبعث مبلغاً دينياً هناك. فطلب من هذا المبلّغ أن يعطيهم صورة للسيد البروجردى لعرضها من خلال التلفزيون. ففكر المبلّغ أي صورة ستكون مؤثّرة أكثر لو عرضت، وانتهى تفكيره إلى أن يعطيهم صورة السيد وهو يتوضّأ؛ لما تعكس من خشوع السيد حال تهيّئه للقاء الله تعالى في الصلاة.

يقول هذا المبلّغ: ما إن عرض هذا الفيلم الذي يصوّر وضوء السيد البروجردى حتى أثار في نفوس المشاهدين روح الحبّ والولاء، فأسلم في اليوم نفسه عدداً من النصارى ممن شاهدوا الفيلم.

فإذا كان هذا تأثير مشاهدته صورة وضوء السيد البروجردى وهو بمثابة أصغر تلميذ للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله فكيف بالتأثير الذي تتركه سيرة النبي صلى الله عليه وآله فيما لو عرضت بصدق على الناس؟!!

فلنتزوّد بمعرفة السيرة الصحيحة لنبي الإسلام بمقدار ما أوتينا من طاقة وإمكانات، ولنسّع لإفهام الآخرين وتويرهم بها؛ فإنه لو عرضت السيرة الصحيحة لنبي الإسلام على العالم لغيّرت التاريخ برمته. وما أسرع تغير العالم في هذا الزمان! نسأل الله تعالى أن يستعملنا بما يسألنا غداً عنه، وأن يوفّقنا للمزيد من معرفة سيرة النبي صلى الله عليه وآله والتأسي به.

## التفرّغ لعبادة الله تعالى

## التفرّغ لعبادة الله تعالى

قال الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: واستفرغ أيّامى فيما خلقتنى له.

الاستفراغ على وزن استفعال، والأصل في هذا الباب الطلب أو ما يقع نتيجة الطلب، ولكن تقدم أنه قد يستعمل بمعنى الثلاثى المجرد، وقد ورد كثيراً هذا النحو من الاستعمال فى القرآن الكريم أيضاً، ويكون معناه يا إلهى أنت تولّ هذا الأمر واكفنيه.

والاستفراغ مشتقّ من الإفراغ، فكأنّ الإمام سلام الله عليه يقول: اللهم اجعل أيّامى فارغة من كلّ أمور الدنيا لملئها بما خلقتنى له. وهذا تعبير مجازى. فالإمام سلام الله عليه يشبه الأيام بالإناء الذى تفرّغه من محتوياته من أجل أن تملأه بما تحبّ.

وهذه الجملة ليست تكراراً للجملة السابقة، أى قوله سلام الله عليه: واستعملنى بما تسألنى غداً عنه؛ وذلك للأمور التالية:

١. اختلاف الظهور بين الجملتين.

٢. ظهور واو العطف فى الاثنيّية؛ توضيحه: إذا قيل: جاء زيد وأبو عمرو، فالمبتدأ أن شخصين جاء أحدهما زيد والآخر أبو

عمرو، فهذا هو الاستعمال الحقيقى للواو، ولا يقال إنّ الجائى واحد إسمه زيد وكنيته أبو عمرو إلا أن يكون مجازاً وليس استعمالاً حقيقياً. وهنا أيضاً طلبان عطف الإمام فيهما الثانى على الأول بالواو، فقال سلام الله عليه أولاً: استعملنى بما تسألنى غداً عنه، ثمّ عطف

الطلب الثانى فقال: واستفرغ أيّامى فيما خلقتنى له. وإذا كان واو العطف يفيد الاثنيّية، أى له ظهور فيها، فالظاهر أنّ الإمام سلام الله عليه أراد هنا أمرين، فلا تكرار فى البين.

٣. إن السؤال لا يكون إلا عن الواجبات والمحرمات، أما فيما عداهما فقد يكون هناك إستفسار، هذا أولاً، وثانياً: قوله سلام الله عليه فيما خلقتني له، أعني من الواجبات والمحرمات، فيكون معنى هذه الجملة كالتالي: (يا إلهي أنت خلقتني في هذه الدنيا لهدف ما، فأفرغ أيامي له)، فيما يكون معنى الجملة السابقة: (يا إلهي إنك ستسألني يوم القيامة عن أمور، فاجعلني في هذه الدنيا عاملاً لها ملتزماً بها).

### الهدف من الخلق

إذا كان الإمام سلام الله عليه يعلمنا أن نسأل الله تعالى أن يفرغ أيامنا فيما خلقنا له، فما هو الهدف الذي خلقنا الله من أجله؟ يقول الله تعالى في محكم كتابه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي؟ إذن الهدف من خلقنا هو عبادة الله تعالى. وعبادة الله تعالى تتحقق من خلال الامتثال لأوامره والانتهاز عن نواهيها. ومن المعروف لدى الفقهاء أن الأوامر الإلهية منها ما هو واجب الامتثال على العبد، ويعاقب تاركه، ومنها ما هو مستحب، أي ندب إليه الشرع، فهو مرغوب شرعاً ولكن لا يعاقب الشارع على تركه. وهكذا النواهي الشرعية فمنها ما يجب على المكلف اجتنابها ويعاقب إن ارتكبها، وهي التي تسمى المحرمات، ومنها ما لا يعاقب الشرع من أتى بها وإن كانت غير مرغوبة لديه وهي التي يصطلح عليها بالمكروهات.

ومن الواجبات الشرعية الأمر بالمعروف، أي الأمر بما رغب الشرع فيه، والنهي عن المنكر، وهو ما أنكره الشرع. وهذان الواجبان من الواجبات المهمة والعظيمة في الإسلام، ولا خلاف في أصل وجوبهما.

ولكن وقع بحث بين الفقهاء مفاده: هل المقصود بالأمر بالمعروف هو الأمر بالواجب من المعروف فقط دون المستحب منه؟ وهكذا النهي عن المنكر بحيث لا يجب النهي عن المنكر المكروه أيضاً، ويقتصر الوجوب على النهي عن المنكر الحرام؟ شكك بعض الفقهاء في إطلاق المسألة، وقالوا: إذا كان الأمر بالمستحب والنهي عن المكروه من باب حث الفرد وترغيبه في أداء العمل المستحب وثنيه عن العمل المكروه فقط فهما مستحبان لاشك في ذلك، أمّا إذا كان الأمر والنهي من باب بيان حكم من أحكام الله تعالى، فقد يدخلان في الوجوب.

فمثلاً: إذا كان شخص عالماً باستحباب صلاة الغفيلة أو صلاة الليل، ولا يؤدّيها تفاقلاً، فأمره بهما مستحب كما هو واضح، وهكذا نهى من كان عالماً بكرهية فعل من الأفعال، ولكن قد يجب الأمر والنهي برأى بعض الفقهاء إذا كان الأمر بالمستحب أو الناهي عن المكروه في موقع بيان أحكام الله تعالى وتعريفها للذين يجهلونها.

ولأصحاب هذا الرأي أدلتهم في هذا المجال وليس هنا محل بحثها، ولكني ذكرتها استطراداً في بيان أن الهدف من خلقنا هو عبادة الله تعالى، وهذا أعني من أن تكون هذه العبادة امتثالاً لواجب أو مستحب أو انتهاء عن حرام أو مكروه، لاشتمالها على كل ما أمر الله أن يؤتى به سواء كان أمراً بواجب أم مستحب، أو كان نهياً عن محرم أم مكروه. ولذلك عقب الإمام عليه السلام بقوله: واستفرغ أيامي فيما خلقتني له.

### أفضل العبادة

روى البيهقي أن الإمام الصادق عليه السلام قال: أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته. لاشك أن المقصود في الرواية بالتفكر في الله تعالى هو التفكر في قدرته عز وجل، فإن التفكر في ذاته فضلاً عن النهي عنه شرعاً لا يوصل إلى نتيجة ولا يزيد صاحبه إلا ضلالاً، وذلك لأن المحاط به لا يمكن أن يحيط بمحيطه كما هو الحال في المسائل المادية، ويمكن تقريب الأمر إلى الذهن بمثال الإناء، فهل يمكن لمحتواه أن يحيط بمحيطه الخارجي؟! إذاً المقصود بالتفكر في الله تعالى هو التفكر في صفاته الثبوتية والسلبية، بمعنى التفكر في عظمته تعالى.

وهذه الرواية تنسجم مع الروايات الكثيرة التي تقول: ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة الفکر في الله تعالى. ثم إن الرواية المتقدمة في كون «الإدمان على التفکر أفضل العبادة» ناظرة الى العبادات المستحبة إذا حصل بينها تراحم، ولا تصل النوبة الى العبادات الواجبة ومنها الصلاة المفروضة بحال. نعم اذا حصل تراحم بين أداء صلاة مستحبة والتفکر في الله فالتفکر مقدم لأنه أفضل العبادات المستحبة.

على أن التفکر لا يشترط فيه وقت كثير بل هو بحاجة إلى تركيز وتدبر، فإذا كثر التدبر والتركيز حصلت عند الإنسان ملكة تجعله يشعر بحضور الله تعالى دوماً، ولذلك روى أن أشد العبادة الورع.

### بناء النفس والتفکر في الله عز وجل

الإنسان ضعيف ولكنه لا يشعر بضعفه فيتكبر ويتهاون بأحكام الله تعالى، فقد يترك ما أمر الله تعالى به أو يأتي بما نهى عنه سبحانه، ولكنه إذا أدمن التفکر في جبروت الله وقدرته، استحضر حينها ضعف نفسه، وفي هذا مقدمة لأن يسعى المرء في سبيل أداء التكليف الإلهية.

وعلى قدر معرفة الانسان بالله تعالى وقدرته يكون اهتمامه بأحكام الله، فالذي لا يبالي بالقيام لأداء فريضة الصبح مثلاً، غير متفکر في الله تعالى وقدرته، وإلا لشعر بحضوره ورقابته ولما استهان بأحكامه، وإلا فهل يعقل أن يشعر العبد بحضور مولاه ثم لا يكثر بما أراده منه؟!

إن التفکر في الله عز وجل يؤدي إلى تعزيز الشعور بحضوره تعالى لدى العبد، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى تغيير سلوك الانسان وحالته، فيكون الأمر كما لو ووجه إلى إنسان عادى سؤال في مجال معين - ولنفرض الفقه أو الطب وكان قد حضر في المجلس رجل متخصص في ذلك المجال، فقد يجيب الشخص على السؤال بسرعة إذا لم يكن يعرف من الحاضر في المجلس، ولكنه ما إن يعرف الحاضر المتخصص حتى يظهر ذلك على سلوكه فيحاول أن لا- يجب لأنه لا يرى نفسه أهلاً للإجابة على ذلك السؤال مع علمه بحضور من هو أعلى مرتبة منه، أو يدقق كثيراً قبل أن يجيب، ملاحظاً لذلك الإنسان المتخصص. الحالة نفسها تصدق على انضباط الانسان إذا شعر بحضور الله تعالى، وهذا الشعور لا يتأتى إلا بعد الإدمان على التفکر في قدرة الله سبحانه وتعالى. إذا كان الفرد يشعر بأن الله تعالى موجود قيوماً حاضر عنده على الدوام، فإنه لا شك سيغير وضعه ويدقق في أفعاله وأقواله ويتورع قبل الاسترسال فيها لئلا يصدر عنه ما يخالف أوامر الله وهو الرقيب عليه.

### أمثلة من الواقع

• نقل لي أحد الخطباء: كنت ذات يوم على المنبر وقد هيأت نفسي للمحاضرة، وعندما شرعت بقراءة المقدمة إذ دخل أستاذي الى المجلس، فاحتل حينها عرضي للموضوع الذي أعددت، بسبب تهيبى من حضور الأستاذ!

• وكان السيد الوالد رحمه الله يحضر مجلساً لأحد الخطباء، فجاءه في أحد الأيام وكنت حاضراً عنده وقال له: سيدنا أنا أنشرف بحضورك مجلسي، ولكن أرى من الأفضل أن يتزامن وقت حضوركم مع نهاية المجلس حيث أكون قد دخلت في فصل قراءة التعزية!

لاشك أن الخطيب يسر إذا حضر مرجع التقليد مجلسه، ولكنه في الوقت نفسه يشعر بالتقيد أيضاً، لأنه قد يريد أن ينقل حديثاً أو يفسر آية، أو يشرح مسألة فقهية أو يفضل قضية عقائدية، فيشعر بالحرص والإرباك مخافة أن لا يكون كلامه مستدلاً بنحو صحيح.

### النعم المادية وسيلة اختبار ومقدمات وجود

فى الوقت الذى تعدّ فيه النعم الماديّة وسيلةً لاختبار الإنسان يُعرف أمفرط هو أم مفرط، كذلك هى مقدّمات لابدّ من وجودها لكى يستطيع الانسان العيش فى هذه الدنيا وأداء وظائفه الموكلةً إليه، فيعبد الله عزّوجلّ ويتعلّم أحكامه ويعلمها الناس، فيدرس ويدرس ويعظ الناس ويؤلّف الكتب ويرتقى المنبر و... الخ

إنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان فى هذه الدنيا من أجل الأكل والشرب وسائر اللذات الدنيويّة، وإنّما خلقه تعالى من أجل اختبارها بها وجعلها مقدّمات وجوديّة لأجل أن تمكّنه من أداء الأمور الأخرى التى خلقه الله تعالى لها، لكن الشيطان يحاول دائماً أن يوقع الانسان فى الإفراط أو التفريط ليفشله فى الاختبار الإلهي بواسطة عرقلته عن الاستفادة منها كمقدّمات وجوديّة للعبادة، أى لا يستفيد منها بالنحو الصحيح، فيرتكب من خلالها المعاصى ويترك الطاعات.

فلنتبه جيّداً ولنحذر وساوس الشيطان ومكائده، ونتعامل مع هذه النعم على أنّها مقدّمات لإيصالنا إلى النعم الأخرويّة الخالدة التى خلقها الله لعباده المؤمنين، ولتراع الدقّة فى قضايانا، وهذا معنى ما نُقل عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنّه قال لأصحابه: فالطفوا فى حاجتى كما تطفون فى حوائجكم.

فكما أنّ أحداً يلفظ فى سبيل قضاء حوائجه الدنيويّة، فيفكر فى أفضل طريق ويسعى فى رفع الموانع والعوائق، ويترك أعماله وأشغاله ويتحمّل أنواع المشاكل والمشاقّ فى سبيل ذلك، فلنكن كذلك فى الاستجابة لإماننا التى عبر عنها بحوائجى، والتى هى حوائجنا الأخرويّة.

وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ  
وَأَعِزَّنِي وَلَا تَبْتَلِيَنِي بِالْكِبَرِ، وَعَبَّدْنِي لِمَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعَجَبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَيَّ يَدِي الْخَيْرَ وَلَا تَمَحِّقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَأَعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

?الغنى وسعة الرزق

?العزّة وعدم الابتلاء بالكبر

?العبادة وآفة العجب

?إجراء الخير بلا منّ

?معالي الأخلاق والعصمة من الفخر

## الغنى وسعة الرزق

## الغنى وسعة الرزق

وأغنى وأوسع علىّ فى رزقك.

الغنى ويقابله الفقر، قد استعملا غالباً على لسان الأدعية والروايات لما هو الأصل فيهما، وهو غنى النفس وفقرها؛ فغنى النفس أصل كلّ غنى وسببه، ومبعث غنى كلّ حواسّ الإنسان ومعقولاته، ولا خير فى غنى البدن إذا لم يصاحبه غنى النفس.

أمّا السعة فى الرزق فهو جزئى أو مصداق من مصاديق الغنى. ومن ثمّ فإنّ قول الإمام سلام الله عليه أوسع علىّ فى رزقك فى المقام هو من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ، لأنّ الغنى أعمّ وأوسع.

أمّا احتمال أن يكون قوله «أوسع علىّ» عطفاً تفسيريّاً علىّ وأغنى، وإن صحّ فى موارد أخرى فإنّه قد لا يصحّ هنا كما يبدو؛ لبعده عن مقام البلاغة والأدب الرفيع لأهل البيت سلام الله عليهم؛ لأنّ الظاهر أنّ السؤال الأوّل للإمام هو فى غنى النفس، أمّا سؤاله الثانى فهو فى سعة الرزق خاصّة. والإمام وإن كان فى مقام الدعاء، لكن من حيث إنّه إمام فهو فى مقام تعليمنا أيضاً، فهو يعلمنا أن نطلب

من الله تعالى غنى النفس والسعة في الرزق معاً؛ لما سيأتي أنّ الفقر ليس مطلوباً أو ممدوحاً لنفسه بل على الإنسان أن يسعى لدفعه عن نفسه ما أمكنه ذلك، أمّا إذا كان مقدراً له من الله عُيِدَ حينها أمراً محبوباً، وفي ذلك وردت الروايات التي تمدح الفقر؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: الفقر فقران: فقر الدنيا وفقر الآخرة، فقر الدنيا غنى الآخرة، وغنى الدنيا فقر الآخرة، وذاك الهلاك. وإذا كان الأمر كذلك فلا- يهّم المرء سواء كان مرزوقاً في ماله أم فقيراً ما دامت نفسه غنيّة، فهو في الحالين في معرض الامتحان والابتلاء، وكلا الامتحانين صعب سواء كان في الغنى أو الفقر.

هذا مضافاً إلى أنّ كلمة الرزق استعملت في الأخرى في الروايات للأعم من المال.

## الغنى والفقر درجات

الغنى والفقر موضوعان مشكّكان بحسب الإصطلاح المنطقي أي لكلّ منهما مراتب مختلفة تبدأ بالضعيف ثمّ تزداد وصولاً إلى أعلى المراتب.

عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن رزقنا منذ أربعة أشهر إلا الماء واللبن وورق الشجر؛ فقلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا- تزالون فيها ما عشتم فأحدثوا الله شكرياً، فإني قرأت كتاب الله الذي أنزل عليّ وعلى من كان قبلي فما وجدت من يدخلون الجنة إلا الصابرون.

فهذه مرتبة شديدة من الفقر بحيث لا يملك الفرد قوت يومه حتى في أدنى مستويات المعيشة، وهناك مرتبة أضعف منها بأن يملك الإنسان قوت يومه ولكن بمستوى دان أو بمقدار لا يكفيه كما أنّ هناك مرتبة من الفقر يكون مستوى الفرد أحسن من سابقه لكن لا يملك قوت سنته. فهؤلاء الثلاثة يطلق على كلّهم لفظ الفقير بالاصطلاح الشرعي وإن اختلفت مستوياتهم المعاشية. والشئ نفسه يصدق بالنسبة للغنى، لأنّ الفقر والغنى متقابلان كما هو واضح.

من هنا نلاحظ أنّ الإمام المعصوم مع أنّه متّصل بالله تعالى وهو مصدر الفيض والعطاء مهما أعطاه الله سبحانه من الغنى في النفس فهو يطلب المزيد قائلاً: وأغني، لأنّ الأمر لا يقف عند حدّ، فهناك مجال للمزيد، وعطاء الله تعالى ليس محدوداً أيضاً.

أجل، إنّ المعصومين سلام الله عليهم هم أكثر المخلوقات قاطبة استفاضةً لفضل الله تعالى في مختلف المجالات والميادين، حتى قرنهم الله تعالى إلى نفسه في إفاضة الفضل على الخلق أجمعين، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا- أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ومع ذلك، يرى الإمام المعصوم أنّه بحاجة إلى عطاء الله تعالى وإلى سؤاله المزيد واستزادته في غنى النفس، وإن كان هو بالنسبة إلينا الأغنى والأرقى والأعظم والأعلى والأكبر والأقدر، وذلك كلّه قد تمّ لهم صلوات الله عليهم بفضل الله تعالى. فإذا كان هذا حالهم فكيف بسائر الناس؟

## نكتة لغوية

من يدقّق في كلمات أهل البيت سلام الله عليهم يكتشف الكثير من الدقائق واللطائف سواء في الأدعية أو في خطبهم ورسائلهم وفي سائر كلماتهم الأخرى.

ففي هذا المجال والذي عبّر عنه سلام الله عليه بالرزق، أرى من المناسب الإشارة إلى نكتة لغوية لطيفة، تتلخّص بأنّ الإمام لماذا لم يقل: «وسّع عليّ في رزقك» وقال: أوسع عليّ في رزقك؟

وفي الجواب نقول: إنّ من مبادئ علم الصرف في صيغتي «فعل» و «أفعل» أنّ كليهما يستفاد منه لتعديّة الفعل اللازم، ولكن علماء الأدب يقولون: إنّ الصيغتين تختلفان في المعنى.

فأصل التوسعة يستفاد من باب الإفعال (أوسع) أما باب التفعيل (وسع)، فيستفاد منه الكثير والزيادة وما أشبه في الغالب. فالمستفاد من كلمة (وسع) يعنى زيادة التوسعة. أما أصل تحقيق السعة إن لم تكن أو كانت ولكن لندرته الشديدة وكأنها لم تكن فتفيدها كلمة (أوسع).

إذا اتضح هذه المقدمة نفهم لماذا قال الإمام سلام الله عليه: أوسع ولم يقل: وسع، وهو أنه سلام الله عليه يطلب الكفاف من الله تعالى في الأمور المادية، كما هو دأب أهل البيت سلام الله عليهم.

كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إِنَّ مَاقِلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، اللَّهُمَّ ارزُقْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ الْكَفَافَ. أما ما ورد في أدعية أخرى من السؤال بصيغة (وسع)، فقد يشير إلى أن المعصوم سلام الله عليه كان يطلب السعة في الرزق لأجل أن يستفيد منه لخدمة الدين وسائر الأمور الخيرية، كصلة الرحم ومساعدة الفقراء وما أشبه.

إن هناك موارد يدعو فيها الإمام المعصوم ويكون في مقام الدعاء من قبل نفسه فقط، وهناك موارد يكون الإمام بصدد تعليمنا وإرشادنا أيضاً من قبيل تعليم الأئمة سلام الله عليهم المباشر لبعض أصحابهم، كقولهم سلام الله عليهم مثلاً: (قل بعد كل فريضة) وما أشبه، كما هو الحال في بعض الزيارات. فثمة زيارات أداها الإمام المعصوم للإمام الذي سبقه كزيارة الإمام السجاد لأبيه الإمام الحسين سلام الله عليهما أو زيارة الإمام الصادق لجده الإمام أمير المؤمنين أو الإمام الحسين سلام الله عليهم، وهناك زيارات علموها بعض أصحابهم، فنقرأ في رواية أن الإمام سلام الله عليه قال لأحدهم: زر بهذه الزيارة، وأمثال ذلك.

## نكتان بلاغيتان

هناك نكتان بلاغيتان في قول الإمام، الأول قوله: وأوسع عليّ، فإن حرف الجرّ «على» يستعمل للضرر إلا لنكتة بلاغية، فكأن الإمام أشربه وضمنه معنى الفوقية. فهو يصور نزول الرزق من الله تعالى وانصبابه على الإنسان وإحاطته به، كالرحمة التي مثّل لها بالمطر النازل من السماء حين يغمر الإنسان الذي يقف تحته، وحيث إن سعة الرزق صادرة من الله تعالى فقد ضمنت وأشربت معنى الفوقية، ولذلك قال الإمام سلام الله عليه: وأوسع عليّ.

أما النكتة الأخرى فهي: لم استعمل الإمام حرف الجرّ «فى» فقال: وأوسع على في رزقك ولم يقل: من رزقك، كما في أدعية أخرى؟ الجواب: حرف الجرّ (من) إما تبعية أو بيانية. فلو رفعنا «فى» ووضعنا «من» مكانها، فإما أن يكون المعنى «أوسع على بعض رزقك» أو «أوسع على رزقك» لأنّ وجود (من) في الحالة الثانية يكون وجوداً لمحياً أو لجمال التعبير، أما من حيث المعنى فوجوده وعدمه سواء.

أما مع وجود (فى) فكأن الرزق جعل ظرفاً ووعاء يعيش فيه الإنسان، والإمام سلام الله عليه يطلب من الله تعالى أن يوسعه عليه، فلو كان متراً مربّعاً مثلاً يجعله مترين، ولو كان ثلاثة يجعله عشرين وهكذا. وهذا أبلغ مما لو قال: «من رزقك».

وهكذا يتبين لنا أن الأئمة سلام الله عليهم مع أنهم كانوا منصرفين كل الانصراف إلى الله سبحانه وتعالى، خاصة عند مناجاتهم معه، نراهم في الوقت نفسه لا تفوتهم هذه الدقائق البلاغية، دون أن تصرفهم عن توجيههم إلى الله عز وجل. وكيف لا يكونون كذلك وهم أمراء الكلام وأرباب البلاغة، كما أن شعورهم بحضور الله تعالى لا يختل ولا يتخلف، إلا أننا بحاجة إلى تأمل وتفكر من أجل الالتفات إلى هذه الدقائق والتدبر في مضامينها.

## دواعى الفقر

تطالعنا روايات كثيرة تمدح الفقر وأخرى تدممه، وإن كان هذا يبدو تناقضاً أو تعارضاً للوهلة الأولى، إلا أنه بلاشك لا تناقض ولا تعارض في البين لأنّ الموارد تختلف.

فهناك كثير من الآيات والروايات التي تحثّ وتندب وأحياناً توجب وتفرض على الإنسان السعى والعمل من أجل الحصول على الرزق، وأن يعمل الناس ليكسبوا أرزاقهم، كل حسب سعته ومقدرته، الأمر الذي يكشف أن الفقر في أصله مذموم، لأن السعى والعمل يوجبان تحديد الفقر أو طرده.

أمّا إذا بذل الفرد كل ما بوسعه ولكنه مع ذلك لم يغن، إمّا لضعف مواهبه وإمكاناته أو لأمر أخرى مقدره أبقته فقيراً، فهذا الفقر ليس مذموماً البتة، وهو مورد الروايات التي يفهم منها المدح.

أمّا إذا قصّر الفرد في السعى ولم يخرج إلى العمل وبقي فقيراً لذلك، فهذا هو الفقر المذموم، الذي قيل عنه أنه: سواد في الدارين، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ملعون من ألقى كفه على الناس. وهناك رواية أخرى فيها تأكيد: ملعون ملعون من ألقى كفه ...

نقل أن أحد العلماء مرّ بفقر مفرش الأرض يستعطي الناس، فقال له: مدّ يدك لأعطيك مقداراً من المال، فمدّ الشخص يده واستلم المال. فقال له العالم: مدّ يدك الأخرى واستلم مقداراً آخر، ومدّ الشخص يده الأخرى واستلم المال. ثم قال له العالم: هناك مقدار آخر، ميّد إحدى رجليك لأناوله لك. وهكذا فعل المستعطي. ومرة أخرى طلب العالم منه أن يمدّ رجله الأخرى وأعطاه مقداراً آخر. وأخيراً قال له: قم وقف على قدميك وتقدّم نحوي لأناولك آخر ما تبقى من المال. وهكذا كان. وهنا توجه العالم إليه وقال له: إذا كانت يدك اليمنى سالمة ويدك اليسرى كذلك، وهكذا قدماك وبدنك، فلماذا تستعطي إذا؟ اذهب وكّد في طلب الرزق!

قال الإمام الباقر سلام الله عليه: سألت موسى عليه السلام ربه: أيّ عبادك أبغض إليك؟ فقال: جيفة بالليل بطال بالنهار. ويمكن أن يكون لهذا الحديث مصاديق متعدّدة المراتب فليس الأمر دائراً بين الوجود والعدم فقد يكون من المصاديق من هو كلّ الليل جيفة وكلّ النهار بطال، فلا تأمل عنده ولا استغفار ولا تفكر في الليل، ولا كسب ولا عمل ولا جهاد في النهار، وهذا أبغض المراتب. ومنهم من هو بعض الليل جيفة وبعض النهار بطال.

إنّ الراحة المطلوبة للإنسان سواء في الليل أو في النهار، كما في الحديث النبوي الشريف: وإنّ نفسك عليك حقاً. وهذه الراحة بالمقدار المطلوب لا تعدّ من البطالة أصلاً بل هي مطلوبة للتقوى بها على العمل والعبادة. أمّا ما عدى ذلك فلا ينبغي للإنسان أن يضيع حتى دقيقة واحدة من حياته.

عن زُرارة قال: إنّ رجلاً أتى أياً عبّده الله الصادق عليه السلام فقال: إنّي لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي ولا أحسن أن أتجر وأنا مُحارَفٌ مُحْتاجٌ. فقال: اعْمَلْ فَأَحْمِلْ عَلَى رَأْسِكَ (أي اعمل حملاً) واسْتَعْنِ عَنِ النَّاسِ.

فالفقر الذي لا يعمل وهو قادر على العمل هو الذي يقال عن فقره أنه: (سواد في الدارين) أمّا أولئك الذين لا يتكاسلون ولا يتقاعسون عن الجِدِّ والاجتهاد والسعى والعمل، وهم مع ذلك فقراء فأولئك المقربون عند الله تعالى ويدخلون الجنة قبل الأغنياء في يوم القيامة.

روى أن النبي صلى الله عليه وآله دعا فقال: اللهم إنّي أعوذ بك من الكفر والفقر. فقال رجل: أيعدلان؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم. إذاً الفقر في نفسه مذموم لدرجة أن النبي صلى الله عليه وآله يتعوذ منه ويقرنه بالكفر في دعاء واحد، ومنه يظهر أن الفقر قد يؤدى إلى الكفر، كما في الحديث النبوي الشريف: كاد الفقر أن يكون كفراً.

### لابد من السعى والتوكّل معاً

قد يقال: لماذا قال الإمام سلام الله عليه: «رزقك»، ولم يقل: «رزقي»؟

نقول: الرزق مصدر، والمصدر قد يضاف إلى فاعله وقد يضاف إلى مورده. فإن قلنا «رزقك» فمعناه الرزق النازل منك، أى من الله تعالى، وإن قلنا «رزقي» فمعناه الرزق الواصل إليّ.



وهنا علاقة تضاييف، فإذا قلنا «رزقي» فلا بد أن يتصور من صدر عنه الرزق وهو الله تعالى، وإن قلنا «رزقك» فلا بد أيضاً من تصور من ينزل الرزق إليه، وهو العبد. ولذلك نلاحظ ورود التعبيرين كليهما في الأدعية.

وعندما يرد تعبير (رزقك) فإنما يراد الإلفات إلى أن الله تعالى هو مصدر الرزق وهو الذى بيده كل شىء، فيلح العبد فى الدعاء ويطلب من الله أن يوسع رزقه إن كان العبد مقتراً، وأما عندما يرد لفظ «رزقى» فإنما يشير إلى الحصية الخاصة بالمرزوق، وقد يكون فى ذلك لمح إلى وجوب السعى والجهد والاجتهاد؛ لأن طلب الرزق كسائر الأمور لا بد له من الركين معاً: السعى؛ استناداً لقوله تعالى: «وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى؟» والدعاء والتوكل على الله؛ لقوله تعالى: «قُلْ مَا يَغْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ؟» لاشك أن الدعاء وحده لا يكفى بل لا بد من السعى معه، كما أن السعى وحده غير مضمون النتائج، فلا بد من الدعاء معاً، كما أمر الله تعالى بهما.

أجل، إذا سعى الإنسان فى رزقه ولم يكن بطّالاً، حينها سيجعل له الرحمن من أمره يسراً، ما دام فى طاعته دون أن يمد عينيه إلى ما مّنع الله غيره بنعم الحياة الدنيا والمال الوفير، ولا يتحسّر ولا يأسى بل يرضى بما قدّر الله تعالى وكتب له، وإن أبطأ عنه بالإجابة يذعن ويسلم؛ لعلم الله تعالى بعواقب الأمور، ممثلاً لقوله تعالى: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ؟» وخلاصة القول: إن غنى النفس هو الأساس، ومن حاز عليه فى مراتبه العليا فقد حصل على كل شىء، وانفتح له باب كل خير فى الدنيا والآخرة، وإن كان هذا الأمر بالغ الصعوبة إلا أنه ممكن تحقّقه.

### العزّة وعدم الابتلاء بالكبر

### العزّة وعدم الابتلاء بالكبر

إنّ العزّة والكبر هما من حالات النفس الإنسانية التى تظهر على جوارح الإنسان فى سلوكه. وإظهار الكبر يسمى تكبراً، كما فى اللغة. والكبر والتكبر مذمومان، أما العزّة فمحمودة ويقابلها الذلّ وهو مذموم أيضاً.

والعزيز من أعزّه الله تعالى، ولذلك يقول الإمام سلام الله عليه: «وأعزّنى». أى إلهى أطلب العزّة منك.

العزّة والذلّة مسألتان دقيقتان كبقية المسائل النفسية، فما هو ملاكهما؟ هل يُعدّ أخذ المال من الغير مثلاً عزّة أم ذلّة؟ إنّ الملاك لكليهما يكمن فى الموضع الذى يضع الإنسان فيه نفسه؛ فإنما أن يكون مورد عزّة وقد يكون مورد ذلّة، فليس بوسعنا أن نحكم دوماً على عمل ما بأنّه مصداق للعزّة أو الذلّة ما لم نعرف نية المرء فيه. فإن كانت لله تعالى فهى عزّة، وإن كانت لغير الله كانت ذلّة. فالعبودية لغير الله ذلّة ما دونها ذلّة، أما العبودية لله تعالى فهى أعظم عزّة، فإنّ الدليل من لم يكن عبداً لله تعالى.

روى عن عامر الشعبي أنّه قال: «تكلّم أمير المؤمنين سلام الله عليه بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهنّ، ثلاث منها فى المناجاة، وثلاث منها فى الحكمة، وثلاث منها فى الأدب، فأما اللاتى فى المناجاة فقال: إلهى كفى لى عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى لى فخراً أن تكون لى ربّاً. وفى هذا دلالة على أن العزّة كلّ العزّة فى عبودية المرء لمالك الملك، والارتباط الحقّ بالله عزّوجلّ.

### العزّة والدخول تحت القدرة

روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أيضاً أنّه قال: كلّ عزيز داخل تحت القدرة فذليل.

فمن كان محكوماً لقدرة الغرائز فى نفسه فقد شمله الذلّ وإن كان يتظاهر بالعزّة، وما العزّة التى يتسمّى بها إلا قشرة ظاهريّة ولكنّه فى الحقيقة ذليل لأنّه أسير شهواته، لا فرق فى ذلك بين شهوة المال أو البطن أو الفرج أو حبّ الظهور أو غيرها من الشهوات.

أما الذي لا يرى القدرة إلا قدرة الله تعالى، فهذا له العزة بعينها، وهكذا ما يرتبط بالله تعالى كأهل البيت سلام الله عليهم؛ لأنه يقود إلى عبودية الله تعالى، بل هكذا الأمر أيضاً فيمن يقوم بتلبية حاجاته المادية كالأكل والسكن، فيما إذا كان منطلقه إلهياً سواءً كان ذلك من باب الوجوب، أى استجابة لأمر إلهي يُعاقب على تركه، أو الاستحباب، أى الاستجابة لأمر يحبه الله مطلقاً ويسعى من خلاله الى مرضاه الله تعالى، أما الاستجابة للشيطان والنفس الأمارة بالسوء فلا يمكن أن تكون عزة أبداً، لأنها ليست ترفعاً بل هي انحطاط وذلة! لما ورد في الحديث: من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه.

إذاً، التيه هي التي تمنح العمل هويته، ولذلك ورد في الحديث الشريف: إنّما الأعمال بالنيات. أما إذا تواضع المرء لغنى لغرض أن يوجهه ويرشده لأن يبذل ماله وجهه في أمور الخير، فهذا ليس مصداقاً للذلة بل هو عزة أيضاً، وقد يجب إذا كان من باب مقدمات الوجود، كما عبر عن ذلك الفقهاء رضوان الله تعالى عليهم.

### هيات منّا الذلة

من يكن قريباً من أهل البيت سلام الله عليهم وتوجهاتهم يدرك أنّ مواقفهم كلها عزيزة لأنها في طاعة الله تعالى أبداً، فموقف الإمام الحسن سلام الله عليه كان يمثل عين العزة مع أنه أعمد سيفه ولم يخرج كما خرج أخوه الإمام الحسين سلام الله عليه، وقد أخطأ كل الخطأ من خاطب الإمام الحسن سلام الله عليه بقوله: «يا مذلّ المؤمنين»؛ لأنّ الإمام سلام الله عليه كان يتأسى بجده رسول الله صلى الله عليه وآله حين كتب المعاهدة بينه وبين المشركين حتى اضطرّ فيها إلى كتابة اسمه الشريف دون وصفه الكريم.

والإمام الحسين سلام الله عليه أيضاً وأهل بيته وأصحابه تعرّضوا إلى أنواع الأذى النفسى، وتعرّضوا للسطم والشم و... ومع ذلك يقول الإمام الحسين سلام الله عليه: قد ركر (أى يزيد) بين اثنتين، بين السلّة والذلة، وهيات منّا الذلة. وهذا معناه أنّ كل ما تعرّض له الإمام سلام الله عليه وأصحابه لم يكن ذلة بل كان عزة.

فلو بايع الإمام سلام الله عليه عاملاً يزيد على المدينة باعتباره نائب يزيد، لما عرض نفسه للقتل ولا جرى على أهل بيته ما جرى، ولأغدق عليه الكثير من الأموال والأموال الدنيوية، ولكن الإمام كان يرى أنّ هذه البيعة بحدّ ذاتها ذلة، لانصبابها في سخط الله تعالى وغضبه، فتحمل هو وأهل بيته وأصحابه ما تحملوا ولم يرضوا بالذلّ.

لقد رضى الإمام سلام الله عليه أن يعلو صدره الشريف شخصٌ دنىء مثل شمر ولم ير ذلك ذلاً، بل كان يراه عين العزّ مادام في طاعة الله تعالى، على العكس من الرضوخ ليزيد، فكان الإمام سلام الله عليه يراه عين الذلة، وإن كانت فيها دنيا، والذلة بعيدة بذاتها عن أهل البيت سلام الله عليهم، ولذلك قال الإمام: هيات منّا الذلة. أى بعيدة عنّا.

إذاً لا يمكن أن نحكم على عمل واحد أو عمليتين متشابهتين صدرتا في موقفين بأنهما عزة في الموقفين أو ذلة فيهما دائماً، بل ينبغي معرفة خصوصيات كلّ منهما.

لقد كان موقف الإمام الحسن تمهيداً لنهضة الإمام الحسين عليهما السلام، فكانت معاهدة الإمام الحسن سلام الله عليه عزة كما كانت ثورة الإمام الحسين سلام الله عليه ونهضته عزة، لأنّ منطلقهما كان واحداً وإن اختلفا ظاهراً.

### أبو ذر مثلاً على عزة النفس

روى أنه بعث عثمان بن عفان إلى أبي ذر بصرة على يد عبد له وقال له: إن قبلها فأنت حرّ. فلم يقبلها؛ فقال: إقبلها فإن فيها عتقى. فقال: إن كان فيها عتقك، فإن فيها رقى، وأنا قطعت علاقتى الدنيا لثلاً أكون عبداً لغير الله.

### أمثلة على المفهوم الخاطي للعزة

أعرف شخصاً كان من أهل العلم في بداية شبابه، ولكنه ترك طلب العلم واتجه إلى عمل آخر، لأنه كان من أقرباء أحد مراجع التقليد في عصره. ولم يكن على خلاف معه، بل كان من مقلديه ومن المعتقدين بأعلميته وعدالته وكان يدرس عنده ولكنه كان يقول - كما نقل لي بعض أبنائه -: إن عزة النفس تمنعني من استلام الراتب الشهري من هذا المرجع، فكيف يكون هو المعيل لي وهو ابن عمي؟!!

لقد غير الرجل طريقه في الحياة، وكان من الممكن أن يصبح مجتهداً في يوم ما أو مرجعاً يهتدى بعلمه الألوفاً، أو على الأقل خطيباً أو مدرساً أو مبلغاً أو رجل دين على مستوى قرية يهتدى بواسطته العشرات من الناس؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يا عليّ نوم العالم أفضل من عبادة العابد الجاهل...

فالابتعاد عن فكر أهل البيت سلام الله عليهم وعدم الفهم الصحيح لمعنى العزة والذلة وفق مدرستهم سلام الله عليهم قد يُخسر الإنسان الكثير إن لم يُخسر آخرته.

إن العزة ليست في ترفع الإنسان عن أقربائه وعشيرته، بل هي العبودية المطلقة لله تعالى ومعرفة ما هي الواجبات وما هي المستحبات والعمل بهما، وما هي المحرمات وما هي المكروهات والابتعاد عنهما؛ لأنّ الذلة تتحقق في الإتيان بما يُسخط الله تعالى.

والعزة بعد ذلك كالطاقة إن لم تُؤطرها بالإطار الصحيح تنقلب وبالأعلى عليك، فإنك لو أطرت الطاقة الكهربية بالإطار الصحيح ووظفتها بالشكل المناسب استفدت منها في مختلف أنحاء الحياة، أما إذا لم تضعها في إطارها الصحيح وأهملت كيفية استخدامها فقد تقتلك. وآفة العزة الكبر لأن فيها ميلاً واقتضاءً قوياً لذلك ما لم تُضبط، ولذلك عقب الإمام زين العابدين سلام الله عليه في دعائه بقوله: ولا تبتليني بالكبر.

كما أن العزة فرض على المؤمن، كما في روايات مستفيضة بل متواترة منها: ما روى عن الإمام أبي عبد الله الصادق سلام الله عليه أنه قال: إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يُذل نفسه، ألم تسمع لقول الله عز وجل?: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ؟ فالمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً. يُعزه الله بالإيمان والإسلام.

فالمؤمن لا ينبغي له أن يذل نفسه من أجل متاع الدنيا وزخرفها، ومن كان خاضعاً لهواه أو لقوة أخرى من أجل بلوغ شيء ما ظناً منه أنه العزة، ينبغي له أن يخرج نفسه من هذه الحالة لئلا ينخدع، وليعلم أنها الذلة بعينها.

وهكذا هو حال من يتجاوز الحدود التي فرضها الله تعالى، يظن نفسه عزيزاً لكنه الذليل ولا يعلم، فتراه مثلاً يفتخر بأنه ضرب فلاناً لأنه قال له قولاً - أعاظه، مع أنّ الإنسان لا يحق له أن يضرب شخصاً لمجرد أنه تكلم عليه، ولكن لهيب النفس غير المؤطرة بالتواضع لله تعالى أشد من لهيب الشمس!! فإذا كانت الزيادة في لهيب الشمس قد تودي بحياة بعض الناس، فقد يموت شخص وهو في الخمسين من عمره بسببها، وكان مقدراً له أن يعيش سبعين لولا إصابته بها، فإنّ اللهب المنبعث عن النفس البشرية قد يؤدي إلى إتلاف ملايين السنوات من عمر الإنسان في نار الآخرة.

## حاجة العقل لنور الوحي

إنّ العقل مخلوق محدود، وخالقه وحده الذي يعلم حاجاته وأنه لكي ينمو ويسمو يحتاج إلى المدد منه تعالى، والاستنارة بمن بعثهم سبحانه سواء بعثه مباشرة كالأنبياء عليهم السلام أو بعثه غير مباشرة وهم الأئمة المعصومون سلام الله عليهم ومن هنا نرى الإمام زين العابدين سلام الله عليه في هذا الدعاء وفي غيره من الأدعية يعلمنا ويدعو بنفسه طالباً من الله تعالى أن يعزه، لأنّ الشعور بالافتقار إلى الله تعالى هو قمية العزة ورأس الغنى، وليس يكفي أن يكون الشخص رئيساً قوياً مطاعاً أو تاجراً ناجحاً أو مدرساً مشهوراً أو خطيباً موهباً، ما لم يشعر من أعماقه بأنه محتاج إلى الله تعالى. فإن لم يشعر الإنسان بذلك فهو لا يعدو أن يكون ذليل المنصب أو المال أو العلم أو الأدب أو المكانة الاجتماعية، لأنه بلاشك يكون داخلاً تحت قدرة إحدى هذه الأمور أو غيرها.

## ولا تبتليني بالكبر

الابتلاء قد يكون بمعنى الاختبار، وقد يكون بمعنى المحنة والبليّة، ولا يختلف المعنيان كثيراً؛ لأنّ أحد المعنيين سبب والآخر مسبب. هناك حالات كثيرة يتصوّر الإنسان فيها أنّه يتصرّف بدافع العزّة مع أنّه كبر في الحقيقة. أذكر الحادثة التالية توضيحاً لذلك:

كنا مجموعة من الطلبة ندرس عند أحد الأساتذة، فدار في أحد الأيام نقاش علمي بين الأستاذ وأحد التلاميذ توفياً كلاهما رحمهما الله تعالى واشتدّ النقاش، فاحتدّ الأستاذ وغضب، فتفوّه بكلمة غير مناسبة بحق الطالب. وإذا بالطالب يطوى كتابه ويقول للأستاذ: ما دمّت هكذا في نظرك فإنّي سأودّع الدراسة إلى الأبد.

وبالفعل ترك هذا الرجل الدراسة بسبب كلمة غير مناسبة صدرت من أستاذه بحقه. فهل هذا التصرف يعبر عن عزّة أم كبر؟ لا شكّ أنّه من الكبر، وإلا فكيف يمكن لمن يعتقد بأهميّة الدراسة وطلب العلم وأفضليته أن يتصرّف هكذا ويتخذ قراراً بهذه الخطورة، فيغيّر مسيرته حياته العلمية بسبب حدة أو كلمة قاسية؟!

كلنا معرّضون لمواقف من هذا القبيل، ولذا ينبغي لنا أن نأخذ مفاهيم العزّة من أهلها ومصداقها الأعلى أهل البيت سلام الله عليهم لثلا تضيع حياتنا الآخرة بسبب موقف تافه والعياذ بالله.

## الاعتبار بما جرى لعلماء السوء

لقد كان بلعم بن باعورا عالماً بلغ مرحلة من العلم بحيث قال عنه الله تعالى: **الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا وَيُصِرُّ بِهَا كَأَنَّهَا خِطَاؤَاتُ السَّمَاءِ يَكْفُرُ بِالْحَقِّ وَاللَّهُ يَبْصُرُ السِّرَّ** (آياتنا) ظاهر في العموم كما يقول علماء الفقه والأصول، وإن كان ربما العموم هنا نسبياً.

ولكن الله تعالى يقول عنه في الآية نفسها: **فَأَنْسَلَخْ مِنْهَا**. وهذا تشبيه بلاغتي عظيم أي الآيات ويعني بها العلوم صارت بالنسبة له كالقشرة أو الجلد، أرأيت كيف يُسَلَخُ جلد الشاة؟!

ثمّ يقول الله تعالى عنه بعد ذلك: **فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ**. وهذا معناه أن بلعم بن باعورا هو الذي بدأ الانحراف ثمّ زاده الشيطان في ذلك لا بتعاده عن الله تعالى، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وآله: من ازداد علماً، ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعداً.

فإذا كانت هذه عاقبة ابن باعورا رغم علمه، بسبب كبره أو ما اعتبره خطأ عزّة، وليست كذلك، فكيف سيكون حالنا إن زلنا نحن، لا سمح الله؟!

فما دنا ندرس وندرس ونخطب ونؤلف ونقوم بالوعظ، والناس يستمعون إلينا ويتعلمون منا، وقد يمدحوننا، فنحن معرّضون لهذا الابتلاء، وكما في الحديث الشريف...: **فَإِنَّ الْمَفْتِيَّ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ**. فأقلّ غفلة يمكن أن تودي بنا، لا سمح الله، وينتهي كلّ شيء.

وهذا لا يعني ترك طلب العلم أو التبليغ، ولكن الأمر يتطلّب وعياً عميقاً مع الدعاء والاستعانة بالله تعالى ليجعلنا الله قادرين على التمييز بين ما هو لله وما هو لغير الله عموماً، فنأخذ بما هو لله تعالى ونذر ما هو لغيره.

كما علينا أن نفرّق بين العزّة والكبر، فنسأل الله تعالى أن يمنحنا الأوّل ويجنبنا الثاني.

## العجب آفة العبادة

### العجب آفة العبادة

من يتدبّر في دعاء الامام سلام الله عليه يرى أنّه يسأل الله سبحانه وتعالى روح الفضائل ويطلب منه أيضاً أن يقيه ويحفظه مما يفسدها، لأنّ لكلّ فضيلة آفة تفسدها، فقد قرأنا في الجمل السابقة قول الإمام سلام الله عليه: وأوسع عليّ في رزقك ولا تفتني بالنظر أو بالبطر،

لأنهما من آفات سعة الرزق، وكذلك قوله سلام الله عليه: وأعزني ولا تبليني بالكبر لأن الكبر آفة العزة؛ حيث يتكلف الإنسان فيه الشموخ على غيره بلا موجب، والكبر في النفس كما أن التكبر في المظهر والسلوك. وسيمر قول الإمام سلام الله عليه: وأجر للناس على يدى الخير ولا تمحقه بالمن؛ لأن المن آفة عمل الخير للناس، وأيضا قوله سلام الله عليه: وهب لى معالى الأخلاق واعصمنى من الفخر فإنه آفة معالى الأخلاق. أميا هنا فيقول عليه السلام: وعيدينى لك ولا تُفسد عبادتى بالعجب؛ لأن العبادة فضيلة بل هى أم الفضائل وأرومتها، ولكن آفتها العجب، ولذلك عندما يطلبها الإمام من الله يطلب معها أن يقيه العجب. إذاً فى هذه الجملة أيضاً يطلب الإمام طلبين من الله تعالى وهما التعبيد والوقاية من العجب الذى يفسده.

### معنى التعبيد

لم يرد استعمال لفظه (التعبيد) فى الأدعية التى وصلتنا على كثرتها إلا نادراً، وربما لم يرد فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة وذلك فى قوله تعالى حكاية عن موسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام مخاطباً فرعون:؟ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ.؟ إن فرعون اتخذ بنى إسرائيل عبيداً وجعل يعاملهم معاملة السيد الظالم المتجبر لعبيده، ثم أخذ يمن على موسى عليه السلام فى تربيته له ويقول له - كما حكاها القرآن الكريم ... ؟ - أَلَمْ تُرَبِّكُ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ،؟ فرد عليه موسى عليه السلام بالقول:؟ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ.؟ أى لم حرمت أهلى من تربيتى وهددت قومى فاضطرت أمى إلى إلقائى فى البحر، فإن وقوعى بين يديك وتربيتك إياى إنما كانت بسبب تعبيدك لبنى إسرائيل وخوفهم منك ومن بطشك، فهذه ليست مئة بل هى جناية لأنها نتيجة تعبيد وإخافة وبتش وإرهاب، فما وجه المئة بذلك؟

فيكون معنى قول الإمام سلام الله عليه: عيدينى لك: اتخذنى، أو اجعلنى عبداً، والمعنى الثانى أدق من باب مناسبة الحكم والموضوع كما يقول الفقهاء لأن الاتخاذ نوع خصوصية وامتياز كما فى قوله تعالى:؟ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؟ أى خصه بهذه الفضيلة. لكن قد يثار سؤال، وهو: أليس الخلق كلهم عباد الله، وأن الله مالك الملك، كما نقرأ فى قوله تعالى:؟ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ؟؟ إذاً لماذا يطلب الإمام من الله أن يجعله عبداً له؟

بعبارة أخرى: إذا كانت عبوديتنا لله تعالى تكوينية قهرية؛ لانقطاعنا إليه سبحانه فى الخلقة دون سواه، فما معنى طلب جعلنا عبيداً له؟ نقول: المقصود هنا هو القيام بما تقتضيه العبودية من العبد والإتيان بما ينبغى له، وهذا الأمر يتطلب سعياً ودعاءً، ولذلك نرى الإمام سلام الله عليه وهو القمى فى العبودية لله يطلب ذلك منه تعالى ويقول: «وعبيدنى لك» أى يا إلهى امنحنى التوفيق بفضلك لأن أكون عبداً لك حق المعنى.

هب أن أحداً منّا عمل ما فى وسعه وطاقته فى عبادة الله تعالى، وقام بكل ما ينبغى له من فروض العبودية، من قيام بالواجبات والمستحبات وترك للمحرمات والمكروهات، بل عمل بوصية النبى صلى الله عليه وآله للصحابى الجليل أبى ذر حيث يقول صلى الله عليه وآله: يا أباذر ليكن لك فى كل شىء نية صالحة حتى فى النوم والأكل ومفادها أن يسعى العبد لأن يجعل كل أعماله حتى تلك التى لا يمكن الاستغناء عنها عبادة لله سبحانه وتعالى، فهل يكون قد وفى حق الله تعالى فى العبادة وبلغ ما يليق بمقامه؟ كلا، لا يبلغ العبد مع ذلك حتى كنسبة القطرة إلى البحر المحيط، وهذا ما ندرکه نحن بمستوانا، ناهيك عن المقدار والمستوى الذى لا نشعر به ولا ندرکه!

فيكون معنى عبارة الإمام السجاد سلام الله عليه فى قوله: وعيدينى لك هو: إلهى إن عبادتى هذه ليست بمستوى عبوديتك وهو منزّه عن المستوى لكن إجعلها وكأنها بذلك المقام؛ فضلاً منك.

روى عن الإمام الباقر سلام الله عليه أنه قال: دخلت على أبى عليه السلام فى أحد الأيام فرأيتة وقد اصفر لونه من الشهر، ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام فى الصلاة فلم أملك حين رأيتة بتلك الحال البكاء

فبكيته رحمة له، فإذا هو يفكر، فالتفت إليّ بعد هنيهة من دخولي، فقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يقوى على عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

### العبادة الصحيحة ما كانت مرضية عند الله تعالى

نستنتج مما تقدم أنّ القيام بالعبادة لا يكفي ما لم يعتبرها المعبود كذلك، أي تكون عنده عبادة، فلا يكفي أن يقول المرء أنا أعبد الله، بل المهم أن يقبل المعبود عبادته.

صحيح أن التكليف يسقط عن العبد وتبراً ذمته إذا قام بالعبادة وكانت جامعاً للشرائط والأجزاء التكليفية وفاقد للموانع والقواطع التكليفية، ولكنّ القبول شيء آخر قد وضّحه الفقهاء بمثال وقد ذكره المرحوم الميرزا النائيني رحمه الله في شرح مسألة أصولية وعبر عنها «اللعب بالعبادة».

وتوضيحه: إذا قال مولى لعبده: اتنى بكأس ماء، فامتثل العبد وجاء بالماء إلى المولى ولكنه في الطريق إليه كان يرقص ويضحك ويستتهزئ بالمولى أو يقوم بحركات لا تليق بشأنه، فإنّ المولى إذا كان حكيماً يقول: إنّ هذا العبد قد أتى بالتكليف لكنه خرق مقام العبودية، فلا يعاقبه على عدم الامتثال له في جلب الماء ولكنه لا يقبله منه، لأنه لا يعدّه من المتقربين إليه؛ والإمام سلام الله عليه يعلمنا في هذا الدعاء أن نطلب من الله تعالى أن يقبل عبادتنا لأننا لا نعلم إن كنا قد أديناها بما يليق ومقام قدسه تعالى أم اقتصرنا على إسقاط التكليف وإبراء الذمة، حسب. ومن ثمّ نسأله تعالى ونقول له: وعبدني لك أي اجعلني عبداً مقبول العبودية عندك.

### آفة العجب

وآفة العبادة العجب، ولذلك نرى الإمام سلام الله عليه يقرب دعاءه وسؤاله من الله عزّ وجلّ أن يعبده له، بأن لا يفسد عبادته بالعجب. فالإنسان وإن بلغ القمة الشامخة في العبادة، يكون أيضاً معرضاً للمزالق أو ما عبّر عنه بالزحاليف.

ثمة مسألة شرعية موجودة في الرسائل العملية ومشهورة بين الفقهاء وهي أنّ الرياء أثناء العبادة مبطل لها، وبعد العبادة مفسد لها وليس مبطلاً، فإنّ العبد إذا رآي في أثناء صلاته فإنّها تبطل ويجب عليه قضاؤها وإلاّ حوسب يوم القيامة على عدم الإتيان بها. وهذا أمر يقره العقلاء أيضاً، أما لو رآي بعد صلاته، فإنّه لا تجب عليه الإعادة أو القضاء لكن لا تحسب له بصلاة ولا تُدرج في قائمة حسناته.

أمّا العجب فالمشهور بين الفقهاء حسب الروايات أنّه ليس مبطلاً للعبادة وإن كان أثناء العمل العبادي وإن كان هناك رأى يقول بأنّه كالرياء من هذه الناحية أي يبطل العمل إذا كان مقروناً به، أي واقعاً في أثناءه ولكنه يُفسد العبادة على كلّ حال، أي لا يثاب المكلف عليها وإن لم يحاسب لعدم تركها، فالعبادة التي يُعجب بها صاحبها غير باطلة حسب مشهور الفقهاء ولكنها فاسدة، وما كان فاسداً فلا يؤجر عليه صاحبه وإن أتى به.

إنّ العجب لا يقتصر على إفساده للعبادة فقط بل يفسد كلّ شيء، فهو يفسد العلم والتقدم والصحة والأخلاق. فالعالم إذا كان عنده عجب بعلمه يكون قد غفل عن نكات دقيقة قد تفوته بسبب غروره وإعجابه بعلمه، وهكذا المعجب بصحته قد يصاب بأمراض يحسب نفسه بعيداً عنها، والشيء نفسه يصدق بالنسبة للمعجب بأخلاقه. أمّا العبادة فيفسدها ويذهب ثوابها.

إنّ الدنيا كلّها لا تساوي شيئاً من دون العبادة، فإذا فسدت العبادة فماذا يبقى للإنسان بعد ذلك؟ فقد ورد في الروايات أنّ الدنيا كلّها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

فكم سيعيش الإنسان في هذه الدنيا؟ حتى لو فرضنا أنّه عاش مئات السنين بل آلاف السنين وأكثر وهو يرفل بالصحة والعلم وغير ذلك من مباحج الدنيا، فإنّه سيرحل عنها إلى الآخرة، فإلى أين سيولّى وجهه في الآخرة إن لم تكن عنده عبادة حقّة أو كانت عبادته

فاسدة بالعجب، لاسمح الله.

ولهذا نرى التركيز على بيان ضرر العجب في العبادة خاصة في لسان الأدعية والروايات الشريفة بل أشار لذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتْكُمْ؟** وقوله تعالى: **كَمْثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَضْفَرًا؟** فالعجب في العبادة أمر يرده الإنسان ولا يرى له موجباً إذا التفت إلى نفسه أدنى التفاته أو تأمل ولو قليلاً؛ فما الذى يغرى العبد لأن يعجب في عبادته؟ هل يعجب بصلاته وصومه وزكاته وصدقاته أم يعجب بصحته التى بسببها استطاع أن يعبد الله تعالى أم بعقله الذى به عرف الله تعالى وأدرك وجوب طاعته وعبادته، وكل تلك الوسائل وغيرها التى مكنته من أداء العبادة إنما هى من الله تعالى. فهل يحق لنا بعد ذلك أن نمنّ على الله تعالى فى عبادتنا أو أن نعجب بها وهو الذى هدانا للإيمان إن كنا صادقين. فإذا كان كل شىء من الله، أفلا يكون عجب المرء بعبادته لله تعالى إسفافاً وأمرأ مشيراً للعجب إذا تأمل المرء قليلاً. أدرك ذلك بسرعة، ولكن الشهوات هى التى لا تدع الإنسان يلتفت إلى هذه الحقائق.

هذا من جهة جهلنا وضعفنا وعجزنا، ناهيك إذا نظرنا إلى القضية من جهة العظمة ومقام الربوبية ولسنا بالغبين حق قدرها، وما يصدر عنا حين نعبر عنهما فبمقدارنا وبمستوى ألفاظنا وتصوراتنا فقط. وإلا فإن الله تعالى هو الذى يمنحنا الأموال ثم يطلب منا إقرضه، ويعدنا بأنه سيضعفها لنا أضعافاً كثيرة؛ كما فى قوله تعالى: **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ؟** إذاً جدير بأن نسخر كل العقل فينا لعبادته حقاً، لأنه قد يمر على الإنسان والعباد بالله عشرات السنين وهو غافل غير ملتفت؛ ومن ثم فهو يحتاج إلى المراقبة والدعاء، فيرشده الإمام سلام الله عليه بأن يتوجه إلى الله تعالى بالقول: **وعبدي لك ولا تُفسد عبادتى بالعجب.**

### الإفساد، واختيار الإنسان

قد يتبادر سؤال إلى الذهن وهو: لماذا يقول الإمام سلام الله عليه فى دعائه: **ولا تُفسد عبادتى بالعجب.** فمن الذى يفسد العبادة؛ أيفسدها الله سبحانه، أم الإنسان يفسدها باختياره؟  
الجواب: إن معنى قول الإمام هو: اللهم لا- تتركنى وتخلينى وشأنى فيستحوذنى العجب وتفسد عبادتى. ومثاله من واقع الحياة كالشخص النازل من جبل ذى منحدرات شديدة فإنه يكون معرضاً للهوى، إلا- إذا كان هناك جبل ذو مقابض يمسك بها، فإنه بحاجة إلى وجود هذه الأداة لئلا يزل ويسقط، فيقول لمن بيده الطرف الأعلى من الجبل: لا تسقطنى فى الوادى؛ ففى يدك نجاتى وحياتى ما دمت أنا متمسكاً فى الطرف الآخر. فهكذا الحال بالنسبة للإفساد والإضلال عندما ينسب إلى الله تعالى، فإن العبد هو الذى ينفلت عن قبضة الطرف الثانى للهداية فيفسد ويضل، حينها يُخلى بينه وبين نفسه، لعلمه تعالى بعدم جدوى الصلاح والهداية فيه. قال تعالى: **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ؟** ولذلك كان على الإنسان أن يلح على الله تعالى دائماً فى أن يهتئ له أسباب الهداية وأن لا يدعه وشأنه وإلا فإنه هالك لا محالة.

ولكن ينبغى أن يعلم أيضاً أن الله تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً، فهو لا يوفر أسباب النجاة والهداية والصلاح أو يمنعها عن أحد دون حكمه. إن الله تعالى يمتنع عليه العبث سبحانه فهو الحكيم، والحكيم يضع الشىء فى موضعه، فإذا كان العقلاء يدركون ذلك ولا يتخطونه فى حياتهم أو يحاولون أن لا يتخطوه، فكيف بالله عز وجل وهو سيد الحكماء؟!

لو جاء إنسان عادى إلى فقيه مثلاً وسأله مسألة شرعية، فالفقيه يكتفى بإعطائه الحكم الشرعى، كأن يقول له: إنه واجب أو مستحب أو حرام أو مكروه، ولكن إذا كان السائل من أهل الفضل فربما أضاف فى جوابه أنه هناك رواية صحيحة السند عمل بها الفقهاء، ودلالاتها تامة تقول كذا وكذا.

فإذا كنا ندرك هذا فى مستوانا ونحاول أن نتصرف بحكمه ونعطى كلاً ما يناسبه، فهل نتوقع أن لا يعاملنا الله بالحكمة فيأخذ بيد من لا يستحق العناية، ويتخلى عنمن يستحقها؛ حاشاه سبحانه وتعالى عن ذلك.

## لله الحجة البالغة

روى أنه: يجاء يوم القيامة بالرجل الحسن الذى قد افتتن بحسنه فيقول: يا ربّ حسّنت خَلْقِي حتى لقيت من النساء ما لقيت. فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال: أنت أحسن أو هذا، قد حسّناه فلم يفتتن؟ ويجاء بصاحب البلاء الذى قد أصابه الفتنة فى بلانه فيقول: يا ربّ شددت علىّ البلاء حتى افتنتت. فيجاء بأيوب عليه السلام فيقال: أبلّيتك أشدّ أو بليء هذا، فقد ابتلى فلم يفتتن؟. وروى عن مسعدة بن زياد أنه قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى؟: قل فله الحجة البالغة؟ فقال: إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدى! أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم. قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلاً. قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصمه، وذلك الحجة البالغة.

وهاتان الحالتان ليستا من باب الحصر بل هما مثالان وإلا فإنّ الشئ نفسه يصدق على كلّ فرد تشغله مسألة ما عن العبادة سواء كانت مسألة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها.

والأمر بعد ذلك بحاجة إلى دعاء وتوسّل إلى الله تعالى، مساوقة مع العزم والتصميم فى السعى لنبد الشيطان ووساوسه. فإذا حصل أنّ أحداً ما يريد قراءة دعاء كدعاء كميل فى ليلة الجمعة مثلاً ويغالبه النعاس أو ذهنه مشغول بأمر ما، فيتردّد: أياكون الترك أفضل أم قراءة الدعاء مع حال اشتغال الذهن واللهو عن التوجّه بعمق إلى مضامين الدعاء؟ هذا سؤال وُجّه لكثير من الفقهاء ومنهم السيّد الوالد رحمه الله فكان يقول: عدم الترك أفضل فى كلّ حال؛ لأننا إذا قلنا بترك الدعاء فى مثل هذه الحالة فإنّ النفس ستبحث عن الأعذار فى غيره من أسباب العبادة مهما كانت تلك الأعذار ضعيفة واهية، أمّا إذا عوّدت نفسك على الدعاء فسيأتى التوجّه تبعاً.

## ثلاث فوائد

وأقرب ما يمكن أن نستفيده من عبارة الإمام سلام الله عليه: وعبدنى لك ولا تفسد عبادتى بالعجب ثلاثة معانٍ. الأول: تقبّلنى عبداً، أى اجعلنى أعبداً وفق ما يسرّتنى له من الطاعة، واعتبر عبادتى فى مستوى ساحة قبولك ورضاك. الثانى: تقبّلها منى بغناك عنى.

الثالث: اجعلنى مشغولاً بعبادتك عن العجب بعبادتى لك.

ولمزيد من التوضيح نذكر المثال التالى:

إذا كان أحد الملوك يملك مئة من العبيد فهل هؤلاء كلّهم فى مستوى واحد من حيث ارتباطهم بالملك؟ كلاً بالطبع، فبعضهم يعمل فى البناء، وبعضهم يقوم بالخدمة داخل القصر، وبعض يكون واسطه بين الملك ووزرائه، إذاً فالمستويات تختلف، ولكن المهم أن يكون عمل العبد مقبولاً لدى الملك وأن لا يزلّ فيطرده.

## عبادة الله فخر وشرف

هَبْ أَنْ شَخْصاً ما كان خادماً للملك، ألا تراه يفتخر على الآخرين لأنّه قريب من مصدر القوّة أو المال أو الوجهة؟ فكيف إذا كان عبداً لله تعالى؟ لا شكّ أنّ مثل هذا الإنسان لا تهّمه الدنيا ولا يخشى فى الله لومة لائم، وحقّ له ذلك.

جاء رجل للإمام الصادق سلام الله عليه وقال: إننى أرى من هو شديد الحال مضيّقاً عليه العيش، وأرى نفسى فى سعة من هذه الدنيا لا أمدّ يدي إلى شىء إلا رأيت فيه ما أحبّ، وقد أرى من هو أفضل منى قد صرف ذلك عنه، فقد خشيت أن يكون ذلك استدراجاً من الله لى بخطيئتي؟ فقال الإمام سلام الله عليه: أمّا مع الحمد فلا والله.



## إجراء الخير بلا من

## إجراء الخير بلا من

يقول الإمام سلام الله عليه: «وأجر للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمن»  
يستفاد من كلمة «أجر» مضمونان:

المضمون الأول: أن الإمام ينسب فعل الخير الذي يفعله الإنسان إلى الله تعالى؛ حيث يفهم ذلك من صيغة الطلب «أجر». وهذا معناه أن الإنسان المباشر بفعل الخير هو وسيله أما الفاعل الحقيقي للخير فهو الله تعالى؛ إلا أن هذه الوسيلة مختارة وغير مجبرة على فعل الخير وتركه؟ قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دسأها؟ إذ لولا الاختيار لبطل الثواب والعقاب.

المضمون الثاني: أن مادة هذه الكلمة، (أجر) وهي: الجريان، هي على وزن فعلان، وكما هو معروف في كتب اللغة فإن هذا الوزن يدل على الاستمرار وعدم الانقطاع، كما في وصف الله سبحانه للحياة الآخرة بأنها هي الحيوان، في قوله تعالى: «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» فاستعمل صيغة فعلان (حيوان) أي الحياة المستمرة المتواصلة التي لا انقطاع لها.

كذلك هنا الإمام يقول: «أجر» ولم يقل «أصدر مني الخير»، لأن أصدر، لا يحمل ما يحمله (أجر) من طلب دوام صدور الخير وليس مجرد صدوره.

## الإسلام يريد الخير لجميع الناس

الكلمة الثانية، من هذه الفقرة هي قوله سلام الله عليه: (للناس). وهذا معناه أن الإمام يطلب من الله تعالى أن يجري على يديه الخير لجميع الناس وليس للمؤمنين أو المسلمين وحدهم بل لكل الناس مؤمنين ومسلمين وغيرهم بل حتى لغير المعتقدين بدين أصلاً. هكذا يسأل الإمام من الله تعالى، ويرشدنا أنه ينبغي لنا أن نسأل الله تعالى في أن يجري الخير على أيدينا لكل الناس. وهذه هي نظرة الإسلام إلى عباد الله تعالى، ففي الحديث الشريف: الْجِرَانُ ثَلَاثَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ: حَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْجَوَارِ، وَحَقُّ الْقُرَابَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ: حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجَوَارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ: الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ. هذه هي أخلاق الإسلام، مضافاً إلى ما تحمله هذه النظرة من كسب للإسلام.

وكما أن الله سبحانه وتعالى يعطي النعم للمؤمن والكافر، والمتدين وغير المتدين كذلك الإمام يسأل الله تعالى أن يجري على يديه الخير لجميع الناس دون تمييز.

هكذا كان أهل البيت سلام الله عليهم، يجري الخير على أيديهم لجميع الناس. روى أن الإمام الصادق سلام الله عليه كان يأخذ معه الخبز والتمر والحنطة في منتصف الليل يوزعها على فقراء المدينة وهم نيام فيضعها تحت رؤوسهم؛ فيقال له هؤلاء غير موالين لكم. فيقول سلام الله عليه: لو كانوا موالين لنا لواسيناهم بالدقة.

## على يدي أو على يدي

في بعض الموارد من كلام أهل البيت سلام الله عليهم وردت كلمة «يدي» بتشديد الياء، وهي تفيد التثنية، كما وردت في بعضها الآخر بلفظ المفرد أي دون تشديد الياء، ولا فرق بينهما سوى من جهة زيادة التأكيد؛ لأن اليد كما هو معلوم في البلاغة قد ترد بمعنى هذا العضو الخاص، وقد ترد للتعبير عن القدرة والمكنة، ولذلك ورد استعمال «يدي» أي الجارحة الواحدة، و«يدي» أي كلتاهما، لبيان أن الأخيرة تفيد التوكيد أي كل القدرة أو كل العطاء، كما نقرأ في الدعاء: يا باسط اليدين بالعطية أي تعطى كل الفضل، وإلا فإن الله تعالى منزّه عن أن تكون له يد مادية فضلاً عن اثنتين، وإنما كان استعمال صيغة المثني (يدي) كناية عن مطلق العطاء من مطلق

القدرة، وهكذا في هذا الدعاء إذا قلنا وأجر للناس على يدى الخير فهو طلب صدور الخير منّا للناس على الدوام، أمّا قوله سلام الله عليه: وأجر للناس على يدى الخير فهو يعنى طلب التوفيق لصدور الخير والبذل الدائم بمطلق الطاقة التى يتوفّر عليها، أى هو المبالغة فى الإيعاء.

### المنّ يمحق عمل الخير

ثم إن الإمام سلام الله عليه بعد أن يسأل الله تعالى أن يجرى على يديه الخير للناس، يسأله قائلاً: ولا تمحقه بالمنّ. أى، إلهى أنت إذ وفقتنى وأجريت للناس على يدى الخير لا تمحقه بالمنّ، فاحفظنى من الشيطان ولا تكنى إلى نفسى، فإنى لا أستطيع النجاح مستقلاً عنك.

أمّا المحق فهو الإبطال والمحو والإحباط. وقد ورد استعمال الإبطال وأريد منه المحق أكثر، مثل قوله تعالى: لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى؟ أمّا المحق فقد ورد قليلاً ومنه قوله تعالى: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ؟ وقوله تعالى: وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ، وهنا أيضاً قال الإمام سلام الله عليه فى دعائه: «ولا تمحقه بالمنّ» لأنّ المنّ تحبط عمل الخير وتبطله كما فى هذه الرواية:

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْجَوَادِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ مَسْرُورٌ. فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مَسْرُورًا؟ قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ: أَحَقُّ يَوْمٍ بِأَنْ يُسَيَّرَ الْعَبْدُ فِيهِ يَوْمٌ يَزُقُّهُ اللَّهُ صِدَقَاتٍ وَمَيْرَاتٍ وَسَيِّدٌ خَلَّاتٍ مِنْ إِخْوَانٍ لَهُ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُ قَصَبٌ دَنَى الْيَوْمِ عَشْرَةٌ مِنْ إِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءَ لَهُمْ عِيَالٌ فَقَصَبٌ دُونِي مِنْ بَلَدٍ كَذَا وَكَذَا فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَلَمَّا سُرِرُوا. فَقَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: لَعَمْرِي إِنَّكَ حَقِيقٌ بِأَنْ تُسَيَّرَ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَحْبَبْتَهُ أَوْ لَمْ تُحِبَّهُ فِيمَا بَعْدُ. قَالَ الرَّجُلُ: وَكَيْفَ أَحْبَبْتَهُ وَأَنَا مِنْ شَيْعَتِكُمُ الْخُلَصِ؟ قَالَ: هَاهُ قَدْ أَبْطَلَتْ بَرِّكَ بِإِخْوَانِكَ وَصِدَقَاتِكَ. قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: اقْرَأ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى قَالَ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا مَنَنْتُ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تَصَدَّقْتُ عَلَيْهِمْ وَلَا آذَيْتُهُمْ. قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: لَا تُبْطِلُوا صِدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، وَلَمْ يَقُلْ لَا تُبْطِلُوا بِالْمَنِّ عَلَى مَنْ تَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ وَبِالْأَذَى لِمَنْ تَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ كُلُّ أَذَى.

يستفاد من هذا الحديث أنه إذا ذكر المتفضل على أحد فضله حتى فى غيابه عد ذلك من مصاديق المنّ، لذا يشير الحديث الى أن الشخص إذا صنع خيراً لأحد ثم ذكره فى مجلس، فإنّ الخبر حتماً سيصل إليه عاجلاً أو آجلاً، فيتأذى، ولم يقيد الأذى بأن يكون مباشراً كما لو يقول المانّ: أنا الذى أعطيتك المال بعد أن لم يكن عندك، أو أن يكون بصورة غير مباشرة كالإيعاء مثلاً، وهذا امتحان صعب جداً يتطلّب الاستعانة بالله تعالى حتى يجتازه المرء بنجاح.

### قصة فيها عبرة

كان هناك رجل حاجّ أعرفه جيداً يعيش فى إحدى المدن المقدّسة، فقد صادف أن نزل فى مدينته رجل زائر من بلد آخر جاء هو وعائلته، وكانوا قد نزلوا فيها لأول مرّة لأداء الزيارة ولا يعرفون فيها أحداً، فذهبوا يبحثون عن مكان فى الفنادق والمنازل التى يؤجّرها أصحابها، فلم يحصلوا على مكان بسبب كثرة الزوار، فاضطّروا للجلوس فى مكان ما، فلما رأهم ذلك الرجل الحاجّ وهو كما أعرفه كان يعمل الخير ما وسعه لأتى شخص سواء كان يعرفه أم لا على هذه الصورة جالسين على الأرض، سألهم: لماذا أنتم جالسون هنا؟ قالوا له: نحن مسافرون جئنا للزيارة، ولكننا لم نعر على مكان نزل فيه، فاضطّرنا للجلوس هنا عسى أن يمرّ بنا شخص فيرشدنا إلى مكان ما نأوى إليه.

عندها قال لهم الحاجّ: تعالوا معى إلى بيتى، وفرحوا بذلك؛ وأضرموا أن يعطوه الأجرة المناسبة آخر الأمر لأنهم كانوا أناساً متمكّنين مادياً فأنزلهم الحاجّ فى بيته منزلاً كريماً، حتى أقاموا عنده عشرة أيام، كان يقدم لهم خلالها كلّ متطلبات كرم الضيافة بما فيها الطعام،

ولما شارفوا على الرحيل بعد انتهاء مدّة زيارتهم، عرضوا عليه مبلغاً من المال لخدمته لهم، ففوجئوا أنّه لا يقبل على عمله هذا أجوراً أو شيئاً من هذا القبيل، قائلاً لهم: إنكم لم تكونوا ضيوفى بل ضيوف الإمام سلام الله عليه وإنّ الأجر الذى سأحصل عليه منه يفوق ما تعطونه لى مهما بلغ. وعندما لاحظوا إصراره على رفض أخذ المال ودّعوه شاكرين وانصرفوا.

وبعد مرور بضع سنوات حدثت للحاجّ (المضيّف) مشكلةٌ سياسية في نفس البلد الذى قدم منه ذلك الزائر (الضيف) ليزجّ بالحاجّ فى السجن، وكان من المحتمل أن يصدر بحقه حكم الإعدام، وحينما كان يتعرّض للاستجواب لعدّة أيام، جاءه فى آخر استجواب يمارس معه شخص يظهر من الرتب العسكرية التى يحملها على كتفه أنّه رجل رفيع المنصب فى الدولة بصفه محقق قضائى. فلما رآه سأله: ألسّ فلاناً؟ قال بلى. ثمّ شرع بتوجيه الأسئلة عليه؛ من قبيل: ألسّ تسكن البلد الفلانى؟ وكان الحاجّ يجيب: لقد سألتمونى من قبل والمعلومات مدوّنة عندكم، فقد أدليت بكلّ إفادتى. وأخيراً سأله المحقق: أليس بيتك فى المكان الفلانى؟ قال: نعم. ثمّ نظر المحقق إليه نظرة خاصية وقال: ألم تعرفنى؟ قال: لا. قال: دقّ فى جيّدك، ثمّ رفع قبّعة من على رأسه. فقال الحاجّ: كأنى رأيتك ولكن لا أتذكر أين، فقال الرجل: لقد كنت وعائلتى عشرة أيام ضيوفاً فى بيتك أكرمتنا كثيراً دون مقابل. قال الحاجّ بعد تذّكره ما كان قد نسيه: إنّما فعلته لله.

وهنا قال له: ها هو حكمك بيدى، وعقوبتك تصل حتى الإعدام، ولكنى أمزق الورقة أمامك وأقول لك: تفضّل واخرج فليس عليك شىء!

يتّضح من هذه القضيّة وغيرها مما سلف من آثار فعل البر والإحسان أنّ الخير الذى يفعله الإنسان لغيره إنّما يعود فى الحقيقة لنفسه بل هو مسجّل له منذ البداية، ولكن انكشاف هذا الأمر يحتاج إلى وقت، غايته أنّ النتائج قد لا تظهر كلّها فى هذه الحياة الدنيا بل قد يراها الإنسان فى الآخرة، فإذا كان عند الإنسان بصيرة والتفات وكان معتبراً بقصص الآخرين سهّل عليه الأمر وبادر إلى عمل الخير للناس، مهما كلف الأمر.

## معالى الأخلاق والعصمة من الفخر

### معالى الأخلاق والعصمة من الفخر

لا شكّ أنّ لمعالى الأخلاق والعصمة من الفخر مراتب. وهذا يعنى أنّ سؤال الإمام المعصوم من الله تعالى بأن يهبه معالى الأخلاق لا ينافى العصمة، ومما لا شكّ فيه أنّ كلّ ما لدى المعصوم سلام الله عليه حتى العصمة هو لطف من الله سبحانه وتعالى، ومن ثمّ فإنّ الإمام ليس بصدد تعليمنا الدعاء فحسب بل يتوجّه إلى الله أيضاً ويسأله أن يهبه معالى الأخلاق والعصمة من الفخر، غايته أنّ الإمام سلام الله عليه يسأل مراتبهما العليا.

صحيح أنّ مراتب الإمام فى معالى الأخلاق عالية جداً بل لا يقاس به أحد البتّة، ولكن الصحيح أيضاً أنّ هذا لا يتنافى وطلب الأئمة صلوات الله عليهم المزيّد من المراتب الأ-كثّر علوّاً وإن بلغوا ما لم يبلغه أحد من العالمين حتى حازوا أعلى مرتبة من بين خلق الله عزّ وجلّ من الأوّلين والآخرين، وهذا مطلب معتمّق وتفصيله يتطلّب بحثاً مستقلاً.

### وقفات مع مفردات الدعاء

نقف الآن ووقفات سريعة مع كلمات هذه الجملة من الدعاء: هب لى معالى الأخلاق واعصمنى من الفخر. فنقول: «هب» من الهبة وهى غير العطاء، وقد وردت مادّة الهبة واشتقاقاتها فى القرآن كثيراً، ومن ذلك قوله تعالى:؟: فَهَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ وِلِيّاً، وقوله سبحانه؟ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ؟ فما هو معنى الهبة؟ يقول الفقهاء: الهبة عقد فائدته تملك عين بلا

عوض.

فإذا كان هذا معنى الهبة فإنَّ الإمام سلام الله عليه يطلب من الله أن يهبه معالي الأخلاق وليس يعطيها له فقط؛ لأنَّ الإعطاء أعم من التمليك؛ فإنَّ الإمام سلام الله عليه عندما يقول: (هب لي)، فمعناه يا ربِّ، ملّكني معالي الأخلاق واجعلها ملكاً وملكاً لي، ومالك الشيء سيّده.

إذاً، يكون معنى هب لي معالي الأخلاق: ملّكني إياها، لا أن تكون عارية، فتكون مثلاً عندى فترة الغنى، فإذا صرت فقيراً زالت عني، أو تكون عندى زمن الراحة أو الصّحة وإذا ضقت أو مرضت ذهب عني، كلاً، بل اجعل اللهم معالي الأخلاق مملوكة لي. هذا ما ندركه نحن على قصور فهمنا، أمّا ما يقصده الإمام المعصوم سلام الله عليه - وهو في مقام الطلب من الله تعالى - فلا شكَّ أنّه أعمق بكثير مما يدركه أمثالنا.

فالهبة تعني التمليك بلا عوض. وهذا هو الحقّ في كلّ ما نطلب من الله وما يتفضّل به سبحانه علينا، فكلّ ذلك بلا عوض، ولا يستثنى من ذلك أحد حتى المعصومون سلام الله عليهم، وإلا فما عسى أن يكون العوض الذي يقدّمه العبد الفقير لله الغنى؟ هل هي العبادة وهي بدورها من نعم الله سبحانه وأفضاله. وما فرضها عليهم إلّا - لعلّهم تعالى بافتقارهم إليها في الوصول إلى أرفع مراتب الإنسانيّة. وهكذا الحال بالنسبة للإمام السّجّاد سلام الله عليه رغم عصمته وشرف مقامه من بين كلّ مخلوقات الله عزّ وجلّ، ولكن مع ذلك لا يمكنه القيام بما يعوّض به الله تعالى. فإذا قام بالعبادة فإنّما هي بفضل الله ونعمته.

ثم إنَّ الهبة والعطيّة بمعنى واحد في الخطّ العام ولكن الاختلاف في أنّ العطيّة يمكن أن تعطى لكلّ أحد، أمّا الهبة فبمقتضى لزوم القبول قد ينتزع منها معنى قابليّة التملّك مادامت العين قائمة، ولذلك فهي لا تشمل سوى العاقل لحضور ملكة القبول والردّ لديه؛ ومن هنا فنحن لا نهب الماء للقطّة العطشى بل نعطيها لها، وهكذا الطعام الذي نقدّمه للطير مثلاً، ذلك أنّ الهبة بحاجة إلى قبول وهو بحاجة إلى عقل، وهذا لا يكون إلا في الإنسان.

### الفرق بين معالي الأخلاق ومحاسنها

بعد اتّضح معنى الهبة وأنها تمليك بلا عوض، قد يُسأل: ما هو الشيء الذي يدعو الإمام فيه ربّه أن يملكه إياه؟ أهو المال أم البيت؟ أم الزوجة والأولاد أم الرئاسة؟ الجواب: لا هذا ولا ذاك، بل إنّ الإمام يسأل الله تعالى أن يهبه معالي الأخلاق. فما هو المقصود بهاتين الكلمتين؟

«المعالي» في اللّغة العربيّة جمع «معلّ» على وزن «مرمأة»، و«المعلّ» مصدر ميمي مع تاء التأنيث (للمبالغة)، أي أصله «معلى» وهو بمعنى العلوّ، وقد ألحقت به كلّ هذه الإضافات والتحويلات للمبالغة والتوكيد. فالعلوّ معلوم ولكن «معلى» مصدر ميمي يفيد توكيد الصفة، لحقته تاء التأنيث كما قلنا للتوكيد أيضاً، فصارت معلّ، ثم جاءت بصيغة الجمع (معالي) زيادة في التوكيد. على أنّ استعمال المصدر بنفسه يفيد التوكيد كما هو معروف في اللّغة. فالخلق يوصف بأنّه عالٍ، فإن قيل «علوّ»، كان ذلك مبالغة وتأكيداً، ومثاله إذا أريد وصف زيد بأنّه عادل ولكن أريد التأكيد على وجود هذه الصفة فيه أو الإشارة إلى أنّه يمثّل المراتب العليا من العدالة أو أنّه عادل حقّاً، قيل: زيد عدل، فيؤتى بالمصدر بدل اسم الفاعل، وكذلك بدل اسم المفعول لغرض التأكيد.

إذاً استعمال المصدر هنا توكيد، ثم المصدر الميمي توكيد ثانٍ ثمّ لحوقه بالتاء توكيد ثالث، وصيغة الجمع توكيد رابع للأخلاق العالية.

أي أنّ الإمام يسأل الله تعالى من الاخلاق أعلى مراتبها.

وهناك توكيد خامس استعمله الإمام سلام الله عليه، وهو صيغة الجمع المضاف؛ لأنّه كما يقال: ظاهر في العموم. أي كلّ معالي الأخلاق.

ثم تأكيد آخر وهو الفرق الموجود بين معنيتي كلمتي معالي الأخلاق ومحاسن الأخلاق. فالمفهوم الموجود في كلمة معالي الأخلاق غير موجود في محاسن الأخلاق؛ ولذلك ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أى معالي الأخلاق؛ وذلك لأن الخلق قد يكون سيئاً وقد يكون حسناً، فالجبن مثلاً خلق سيئاً والشجاعة خلق حسن، والبخل خلق سيئ والكرم خلق حسن، والجزع خلق سيئ والصبر خلق حسن، وهكذا. فالكرم مثلاً هو ندى الكف أى هو سبوغ الإحسان، وهكذا بالنسبة لبقية الأخلاق الحسنة، أما مكارم الأخلاق فهي أعلى من ذلك لأنها تعود للنفس وتربيتها وحملها على ملازمة الخلق الحسن؛ فإن النفس التي لا تتحلى بمكارم الأخلاق قد لا تلتزم بالخلق الحسن إذا لم يوافق شهواتها وغرائزها، فالخلق الحسن ينسجم مع طبيعته صاحبه، أى يوافق غرائزه وشهواته عادة، أما مكارم الأخلاق فتعنى الالتزام بكل الخصال الحسنة، حتى عندما لا تتوافق مع الشهوات والغرائز، وخير مثال يوضح ذلك البشاشة وعدم العبوس، فرب شخص أتصف بهذا الخلق أى يكون بشوشاً لأنه يحب أن يكون محبوباً وممدوحاً فى المجتمع، فتراه يتحلى بهذه الخصلة لكي يحقق رغبة من رغباته وهى المحبوبة، وهكذا الحال بالنسبة للشجاعة وغيرها. أمّا مكارم الأخلاق فلا- تناعم بينها وبين الميول والرغبات بل هى عملية ترويض للنفس وتعويدها على فعل الخير كيفما كان، فتقول للفرد مثلاً: سلم على من سببك، وهذا أمر صعب لأنه لا يوافق رغبة الفرد وشهوته، ولذلك قد تجد ثلثه من بين كل ألف صائم ومصلّ وحاج من هو كذلك؛ ممّا يعنى أن مكارم الأخلاق تعنى إجبار النفس وترويضها على التحلى بالخصال الحسنة وإن كانت منافية لإرادتها ومضادة لطبيعتها.

لذلك فإن الإمام سلام الله عليه يطلب فى هذا الدعاء من الله أن يمنحه معالي الأخلاق أى مكارمها، ولذلك ستمى هذا الدعاء ب (دعاء مكارم الأخلاق) وليس محاسن الأخلاق.

وتأكيد آخر يكشف الفرق بين معالي الأخلاق ومحاسنها هو أن الإمام سلام الله عليه قدّم كلمة المعالى فقال: (معالي الأخلاق)، ولم يقل: الأخلاق العاليتى، أى قدّم الوصف على الموصوف.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَّطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا

وَلَا تُحَدِّثْ لِي عِزًّا ظَاهِرًا إِلَّا أَحَدَّثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا

?بين الرفعة والعزة والحط والذلة

?العزة الظاهرة والذلة الباطنة

?أهمية التوازن فى النفس الإنسانية

### بين الرفعة والعزة والحط والذلة

لا بأس أن نذكر بأن الإمام سلام الله عليه معصوم وأن مقام العصمة أعلى مقام يمكن أن يصله بشر، والمعصومون هم من اختارهم الله تعالى واصطفاهم ووقفهم لبلوغ هذا المقام وهذه المنزلة، ولكن مع ذلك كله فإنه حتى المعصوم ليس مستثنى من السير التكاملى، لأن العصمة وإن كانت بالنسبة لنا تمثل أعلى مرحلة للتكامل، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للمعصوم، بل هو قابل للمزيد من التكامل؛ ومن هنا نستطيع أن نفهم أذعية الأئمة المعصومين ومنها هذا الدعاء فإنهم سلام الله عليهم إنما يدعون الله تعالى ويطلبون منه المزيد، إضافة إلى كونهم فى مقام تعليم العباد كيفية مخاطبة الربّ الجليل.

يتوجه الإمام السجّاد سلام الله عليه فى هذه الفقرة من الدعاء إلى الله تعالى ويطلب منه مطلبين هما فى الغالب متلازمان. يقول الإمام: ولا ترفعننى فى الناس درجة إلا حططتنى عند نفسى مثلها، فما هو المقصود من الارتفاع فى الناس؟ قد يُحسن الإنسان تعامله مع الناس أو يتظاهر بحسن الخلق أو يُظهر علمه، فترتفع درجته عندهم، وقد ترتفع درجته بسبب جوده وكرمه، إلا- أن الإنسان عموماً إذا ما

ارتفعت منزلته بين الناس تولدت في نفسه حالة من الغرور تجعله ينسى كل ما كان عليه سابقاً وربما يغفل عما سيؤول إليه لاحقاً، فيختل توازنه ويهوى من حيث ارتفع؛ ولذلك ينبغي لنا أن نسأل الله تعالى بأن يصغرنا في نفوسنا كلما كبرنا في أعين الناس، كما يعلمنا الإمام سلام الله عليه.

إنّ العبارات الواردة في الدعاء دقيقة جداً، فلفظة «درجة» وردت نكرة، ويقول العلماء إنّ النكرة في سياق النفي تفيد العموم، ومعناه: أيّ درجة أرتفع بها في الناس، فبقدرها ياربّ أنزلني عند نفسي. أي اجعلني أرى نفسي نازلةً بالدرجة ذاتها، لئلا أصاب بالغرور ولكي أسعى للارتفاع دائماً ولا تغزني نظرة الناس إليّ؛ لأنني إذا اغتررت بتقييمهم وإطرائهم أو نظرتهم إليّ، تراجع أو توقفت عن الرفع على أقلّ تقدير.

وهذه الفقرة تدعو الإنسان للتأمل، فما يراه من الاحترام والارتفاع في الناس قد يزول يوماً ما، فيجد أن لا يغتر به ولا يرتب عليه أثراً، لأنّ المهم هو أن يتسامى الإنسان في الباطن كما في الظاهر مثلما يراه الناس. ومن كان يعظم نفسه لتعظيم الناس له تحكّم الناس في أمره، مع أنّ الإنسان المتّزن هو الذي يكون أمره بيده، والمتحكّم في نفسه يربّيها ويرفع درجتها بحسب إيمانه وتقواه، ومثل هذا الإنسان قطعاً يكون صادقاً مع نفسه، فاهماً لها، رافعاً من درجتها، سائراً بها نحو الكمال؛ ويبقى الإنسان مع هذا كله مفتقراً إلى الله تعالى ليعينه على نفسه وبقية من الزلاّت، ولذلك يعلمه الإمام سلام الله عليه كيف يستمدّ العون منه في قوله: «إلهي ولا ترفعني في الناس درجة إلاّ حططني عند نفسي مثلها».

## العزة الظاهرة والذلة الباطنة

### العزة الظاهرة والذلة الباطنة

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: ولا تحدث لي عزّاً ظاهراً إلاّ أحدثت لي ذلّة باطنة عند نفسي بقدرها. كمقدمة نعرض أنّه قد يكون شخصٌ عزيزاً ظاهراً، ولكنّه ذليلٌ صاغراً أمام الشهوات. فيزيد بن معاوية مثال واضح للذلّ الحقيقي رغم ما كان يتمتع به من هيبته الحكومة التي انتزعها من الناس بالقوة، ورغم العزة الظاهرية، أمّا الإمام الحسين سلام الله عليه فكان مثال العزة والكرامة الحقيقية. فهو سلام الله عليه لم يرضخ لطاغوت زمانه، الأمر الذي أدّى إلى أن رُصّ جسده الشريف بالخيل بعد قتله، وسبى نساؤه وعياله.

ولا تناقض بين قول الإمام الحسين سلام الله عليه: هيهات منّا الذلّة وبين قول الإمام الرضا سلام الله عليه عندما يصف يوم عاشوراء وما جرى فيه على جدّه الإمام الحسين سلام الله عليه: وأذلّ عزيزنا، لأنّ كلاً من القولين ناظر إلى جهة، فإنّ عبارة الإمام الرضا سلام الله عليه ناظرة إلى الذلّة الظاهرية التي تحمّلها آل البيت سلام الله عليهم في سبيل الله تعالى. أمّا عبارة الإمام الحسين فناظرة إلى الذلّة الحقيقية، المتتفية عن أهل البيت؛ ولذلك نقرأ في زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه: لا ذليل والله معزك ولا مغلوب والله ناصرك. فكيف يكون ذليلاً من أعزه الله؟ وكيف يكون مغلوباً من نصره الله؟ لقد تحدّى الإمام الحسين أكبر طاغوت على وجه الأرض وتحمل هو وأهل بيته كلّ المصائب والهوان الظاهري ولم يتنازل عن مبادئه؛ لأنّه كان يرى في ذلك الذلّة الحقيقية؛ ولذلك قال: يابى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون. فالنزول لرأى يزيد كان من وجهة نظر الإمام هو الذلّ الحقيقي، أمّا ما تعرّض له من الهوان الظاهري وسبى وتشريد أهله فإنّه العزة الحقيقية ما دامت في رفض الظلم والوقوف في وجهه؛ ابتغاءً لمرضاة الله تعالى.

أمّا الذلّة الباطنة التي وردت في الدعاء، فالمقصود منها تواضع النفس وليس ضعفتها، فإنّ العزة الظاهرة قد تضرّ بالإنسان وتخلّ في توازنه، فيتصوّر نفسه أعظم من غيره، فإذا صار كذلك فقد تأسّر، بنظرة الناس.

الله وليّ كلّ نعمه

توجد في هذه الفقرة من الدعاء أربعة مطالب هي: الرفعة في الناس والحطة في النفس، والعز في الظاهر والذل في الباطن. وكل هذه الأمور ينسبها الإمام إلى الله تعالى، فلا يقول الإمام: إلهي إذا ارتفعت في الناس أو إذا رفعتني الناس، بل يقول: إلهي (لا ترفعتني)، (إلا حططتني)، (لا تحدث لي عزاً)، (إلا أحدثت لي ذلّة)، وهذا معناه: يا إلهي أنت الذي تعزّ وأنت الذي تذلّ، وأنت الذي ترفع وأنت الذي تضع.

حقاً، لولا أهل البيت سلام الله عليهم لما عرفنا كيف نتكلم مع الله عز وجل. ولكن أهل البيت علمونا أن الأسباب كلها من الله سبحانه وتعالى، فإن رفعة الفرد بين الناس قد تكون بسبب ذكائه ومعرفته في كيفية التعامل مع الناس عادة لترتفع درجته، وقد تكون بسبب المال الذي يبذله، وقد تعود لأسباب أخرى، ولكن كل ما يمكن أن يكون سبباً لحصول رفعة الشخص في الناس فهو من الله، قال تعالى: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ؟ ولذلك نرى أن الإمام السجاد ينسب الأمر إلى الله وليس إلى الفرد ولا إلى الناس؛ محاكياً قول الله تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؟

وكذا الحال مع الصفة المقابلة، أي استصغار النفس وتواضعها، أمام نعم الله تعالى؛ فإن الأمر وإن كان يعود في الظاهر إلى الفرد - لأن الذي يتمتع بهذه الصفة يكون متحكماً هو بنفسه والمالك لزم أموراً بدل أن يتحكم بها الآخرون - ولكنه هو الآخر غير متمكن من دون توفيق الله وتسديده وتهيته أسباب الرشد إليه. إذاً فالباعث الحقيقي للقوة على الفعل هو الله عز وجل وليس الفرد.

### أهمية التوازن في النفس الإنسانية

### أهمية التوازن في النفس الإنسانية

إن النفس الإنسانية دقيقة جداً وسريعة التأثر إلى درجة كبيرة، فهي كالنابض الذي يهبط لأدنى ضغط ويرتفع بارتفاعه بسرعة. مثاله: لو تبسّمت في وجه شخص ما، فسوف تنبسط أساريره ويتعامل معك بائزان، ثم لو عبست في وجهه بعد ذلك، تراه يفقد وعيه ويختل توازنه ولا تعود معاملته لك كما كانت آنفاً، ولا يعذر ك أو يحتمل وجود سبب ما لعبوسك.

ولكى يكون الإنسان مالكا لزم نفسه متزناً لا يتأثر لأدنى سبب ولا يفقد توازنه بسرعة، فإنه يحتاج إلى تسديد إلهي، والإمام السجاد يطلب من الله تعالى في هذا الدعاء أن يمنحه التوازن بأعلى مستوياته؛ ولذلك يقول: ولا ترفعتني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها أي درجة بدرجة حتى لا يحصل عندي أدنى اختلال.

والتوازن في النفس مهم جداً، كما هو مهم في كل شيء؛ وكما أن أدنى اختلال في توازن الأشياء قد يؤدي إلى تحطمها أو خرابها، فكذلك الحال مع النفس.

فالطائرة التي تحلق في الفضاء ربما ساهم في توازنها اجتماع آلاف العوامل على نحو الأمر الارتباطي - على حدّ تعبير الفقهاء - فما أكثر الأجزاء والعوامل والشروط التي لا بد من توافرها، وما أكثر الموانع والمخلات التي لا بد من رفعها، حتى تستطيع أن تحلق هكذا في الفضاء ولا تهوى، ولو اختل جزء واحد من تلك الأجزاء أو حصل مانع ما فربما تفقد الطائرة توازنها وتسقط.

والخرج الذي يوضع على ظهر الدواب لحمل البضائع، فإنه ينبغي أن يوازن بين طرفيه، فلو وُضع في أحد الطرفين ما زنته عشرة كيلوغرام، فإنه ينبغي أن يعادل في الطرف الآخر بالوزن نفسه، وإلا مال الطرف الأثقل وسقط الخرج. وهكذا الحال بالنسبة لكل شيء.

فكل هذا يشير إلى أهمية التوازن في الأمور التكوينية، وهذا ما يلمسه عامة الناس عادة ويدركونه بسهولة.

فكذلك التوازن مطلوب في النفس وباقي الأمور المعنوية، بل هو أهم، لأن فقدان التوازن في الماديات قد يؤدي إلى تلف الأبدان، أما في المعنويات فيؤدي إلى تلف النفوس، وبالتالي خسارة الدنيا والآخرة.

وإذا كان بدن الإنسان بحاجة إلى توازن يحفظ سلامته من أى اختلال قد يؤدي إلى تلف في الكبد أو المخ أو أى عضو من أعضائه الأخرى، فإن الأمر مع النفس آكد؛ لأنه بالنفوس تحيا الأبدان وليس العكس، وبالنفوس يصل الناس للتكامل والرقى وليس بالأبدان. ولذلك يطلب الإمام من الله تعالى أن يمنحه هذا التوازن فيقول: يا إلهي بمقدار ما ترفعتني في الناس، احططني بالمقدار نفسه عند نفسي. وبمقدار ما تحدث لي عزاً ظاهراً، أحدث لي عند نفسي ذلماً باطنياً لئلا يحصل عندى أدنى اختلال، ولكي أحظى بالتوازن يحفظني من الهوى والانزلاق. فإن هذا التعادل والتوازن الموجود في العبارات ليس من باب البلاغ وجمال التعبير فقط وإن كانت البلاغ لا تخلو منها كلمات أهل البيت سلام الله عليهم وإنما هو الدقة المقصودة أيضاً؛ لأن أدنى اختلال في توازن النفس قد يؤدي بها إلى الهلكة أخيراً.

### ضرورة السعى والدعاء

معلوم أن الأسباب كلها بيد الله تعالى، ولذلك نسب الإمام سلام الله عليه الرفعة في الناس، والحطة في النفس، والعز الظاهر، والذلة الباطنة كلها إلى الله تعالى على نحو الحقيقة، ولكن حيث إن الدعاء صادر من الإمام المعصوم فهو يلفت نظرنا إلى الأدواء التي قد تصاب بها النفس وسبل علاجها عبر الأدوية التي تناسبها. فالإمام هنا يخبرنا أن الرفعة التي تحصل للإنسان بين الناس قد تصيبه بالغرور ولا بد له من أن يوازنها بأن لا يستعظم نفسه بل يستصغرها ويطلب من الله أن يعينه على ذلك.

فلو قيل: إذا كان الأمر بيد الإنسان فلماذا يطلب ذلك من الله تعالى؟ وإذا كان بيد الله فما هو دور الإنسان في ذلك؟

نقول: صحيح أن الأسباب كلها بيد الله ولكنه تعالى لا يسهلها لمن لا يطلبها بسعيه، كما لا يمكن أن ينالها الساعي بسعيه فقط لولا عناية الله تعالى له والتي تستلزم عدم فتور الإنسان بدعائه، ولذلك اقتضى الأمر المولوى بالإجابة من خلال السعى والدعاء معاً. إننا نؤمن؟ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين؟ ولكن هذا لا- يعنى أن يجلس الإنسان في بيته ويكتفى بالدعاء في طلب الرزق من الله تعالى؟

صحيح أن الله هو الرزاق، ولكن لا بد للإنسان أن يعمل في سبيل تحصيل الرزق، أما الذى لا يسعى فلا شىء له؛ لأن الله تعالى يقول: **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى.**

لقد خلقنا الله في هذه الحياة الدنيا ليختبرنا ويبلونا سواء في سعيها لتحصيل الرزق المادى أو الرزق المعنوى، فعلينا أن نبذل ما منحنا الله تعالى من طاقات للاستفادة منها في كل المجالات المباحة.

وصحيح أيضاً أن الإمام سلام الله عليه يعلمنا أن نطلب الموازنة من الله تعالى فنسأله أن يحطنا في أنفسنا مثلاً، أو أن يحدث لنا ذلة باطنية كلما رُفعتنا في أعين الناس وأعزنا، ولكن مفتاح هذا الأمر بأيدينا أيضاً، وما لم نصمم على أن نكون كذلك فإن الله تعالى لا يعيننا، كما أننا لا نستطيع بلوغ الأمر من دون إرادة الله.

ولذلك ينبغي للعبد أن يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى وأن يتضرع إليه؛ قال تعالى: **قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ،** وفي الدعاء أيضاً: **ولا ينحى منك إلا التضرع إليك.**

ومن هنا يتضح أن في الدعاء حثاً للتوجه على الخصال الحميدة والاجتناب عن الخصال الذميمة، كما أن فيه إلفاتاً إلى أن كل الأمور هي بيد الله تعالى ويجب الاستعانة به والتضرع إليه.

### التأسي بالناجين

قبل سنوات دُعيت للصلاة على جنازة أحد التجار المؤمنين كنت قد شاهدته وعاشته كان شخصاً عادياً وكان يحظى باحترام جميع الطبقات بدءاً بالعلماء ورئيس الحكومة وانتهاءً بعامة الناس؛ حتى أنني أحببت أن أسأله مرة - وكنت في داره - عما إذا كان هناك



سرّ ينطوى عليه فزرقه الله هذه المحيية والاحترام فى قلوب الناس، فامتعت وصرفت النظر، غير أن المعروف عنه أنه كان رجلاً متديناً، مؤدباً، يشهد صلاة الجماعة ويتحلّى بكثير من الفضائل.

نقل لى بعض من يعرف تاريخه قائلاً: إنه كان فى شبابه حملاً. ولكنّه كان يتحلّى بالأخلاق والذكاء والجِدِّ، فترقى وضعه المالى تدريجياً حتى أصبح تاجراً وصاحب نعمه، واستمرّ على أخلاقه وتواضعه حتى بعد أن تغيّر وضعه وتحسّن، فجمع إلى جانب المال حسن الخلق والدين فكسب بذلك احترام الناس لدرجة كبيرة، حتى أتى عندما حضرت مجلس الفاتحة الذى أقيم على روحه شاهدت حضوراً كثيفاً من مختلف الطبقات علماء وموظفين وكسبه وتجاراً وشيوخاً وشباباً.

ما يلفت النظر أن الرجل لم يكن من العلماء ولا من الزهاد ولا من المتميزين فى شىء سوى أنه كان تاجراً متديناً عادياً.

نقل لى بعض أصدقائه القدامى عن أحواله فقال: كان هذا الرجل يحتفظ حتى آخر حياته بالوسيلة التى كان يحمل بها البضائع على ظهره أيام كان حملاً، ليس هذا فحسب بل كان ينظر إليها كل يوم قبل مغادرة البيت ويخاطب نفسه قائلاً: لقد كنت حملاً فلا تنس! فهذا الرجل كان يحفظ توازنه بهذا العمل، لأنّ الله وفقه لأن يكون مصداقاً لما ورد فى دعاء الإمام السجّاد سلام الله عليه: ولا ترفعى فى الناس درجة إلا حططتى عند نفسى بمثلها، ولا تحدث لى عزّاً ظاهراً إلا أحدثت لى ذلّة باطنه بقدرها.

وهذا الأمر وإن كان صعباً فى الواقع إلا أن التوفيق الإلهى يهونه؛ فالإنسان بحاجة إلى توفيق من الله تعالى، وحرى بالإنسان علاوة على ذلك أن يتذكر دائماً أصله، ومم خلق؟، ألم يك نطفة من مئى يمئى؟

إنّ الإنسان إذا تأمل فى هذه الآية الشريفة وحدها وتدبّر فيها كفته ليتذكر واقعه وحقيقته، ودعته للتواضع والسعى للعمل بمضمون ما ورد فى هذه الفقرة من دعاء مكارم الأخلاق.

قال الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: مسكين ابن آدم ... تؤلمه البقة وتقتله الشرقة، وتنته العرقة.

فكم هو ضعيف هذا الإنسان. وإذا كان ضعيفاً إلى هذه الدرجة فما الذى يدعوه للتكبر؟ هل الثروة والمال والسلطة والجاه أم البدن القوى، وهذه كلّها قد تزول فى لحظة.

لقد نقل عن السيّد البروجردى رحمه الله أنه نذر نذراً شريعياً فى أيام شبابه إن صدرت منه إهانة لأحد فإنه يصوم سنه كاملة. وقيل إنه صام لذلك سنه أو سنتين. هذا الأمر ليس يسيراً، خاصّة بالنسبة لشخص كالسيّد البروجردى فإنه لم يكن شخصاً عادياً منزوياً بل كان رجلاً كثير الاحتكاك بالناس، يؤم المصلين ويلتقيهم فى المسجد ويلقى الدروس على الطلاب ويستمع لمشكلات الناس ويفتيهم، ومن ثم فإن نجاحه فى مهمّة ضبط نفسه فى هذا المجال، وعدم صدور ما عزم على اجتنابه إلا نادراً، إنما يشير إلى علو همته وتوفيق الله تعالى له.

فعلينا أن ننتهز الفرص لتربية أنفسنا وتزكيتها بالعزم والمثابرة بعد التوكّل على الله تعالى.

من الضرورى الإشارة والتنبيه إلى أمر وهو أن كثيراً من الناس يُتعب نفسه كثيراً لغرض تزكيتها وتربيتها فى المواظبة على المستحبات ولكنّه قد يغفل عن أمور هى من الواجبات، فلا يلتفت إليها؛ مع أن الالتزام بعمل الواجبات والانتهاه عن المحرّمات مقدّم على العمل بالمستحبات؛ ولذلك ورد فى الحديث عن الامام أمير المؤمنين سلام الله عليه: لا قرب بالنوافل إذا أضرت بالفرائض.

فمثلاً: هناك بعض الناس يتصوّر أن ابنه أو بنته أو أخته أو من هو أصغر منه من أرحامه، عبد بل ملك له، يحقّ له أن يتصرّف تجاهه كيفما شاء، ولعلّ كثيراً من الملتزمين أيضاً هكذا حاله.

عن إسحاق بن عمّار وهو من أصحاب الإمام الصادق سلام الله عليه قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: رُبّما ضربت الغلام فى بعض ما يحرم. فقال: وكم تضربه؟ فقلت: رُبّما ضربه مئة. فقال: مئة مئة؟ فأعاد ذلك مرّتين، ثم قال: حيد الزنى؟ اتق الله. فقلت: جعلت فداك فكّم يبغي لى أن أضربه؟ فقال: واحداً. فقلت: والله لو علم أنّى لا أضربه إلا واحداً ما ترك لى شيئاً إلا أفسده. فقال: فائتئين. فقلت: جعلت فداك هذا هو هلاكى إذا. قال: فلم أزل أمارك حتى بلغ خمسة، ثم غضب فقال: يا إسحاق إن كنت تدرى حيد ما

أَجْرَمَ فَأَقِمِ الْحَدَّ فِيهِ وَلَا تَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ.

إذا ينبغي لنا أولاً أن نعرف حدود الواجب والحرام لنمثثل الأول ونجتنب الثاني، وبعد ذلك نسعى لعمل المستحب؛ لأنه لا يقال لنا يوم القيامة: لماذا لم تؤدّ المستحب الفلاني، ولكننا سنسأل عن أداء الواجبات وترك المحرمات. ولئن تذرّع أحدنا أنه لم يكن يعلم، قيل له: فلم لم تتعلم؟

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتَّعْنِي بِهُدَى صَالِحٍ لَا أُسْتَبَدَلُ بِهِ  
وَطَرِيقَهُ حَقًّا لَا أَرْبِغُ عَنْهَا وَتَبِّهْ رُشْدِي لَا أَشْكُ فِيهَا...

?الهدى الصالح وعدم الاستبدال

?الطريق الحق وعدم الزيف

?تبيه الرشد والثبات عليها

### الهدى الصالح وعدم الاستبدال

الهدى في اللغة يُذَكَّرُ ويؤنث فتقول هدىً صالحاً وهدىً صالحه، وورد بالصيغتين في فصيح الكلام، وربما جاء هنا مذكراً مراعاةً لنكتة أديبة كما لو يكون مراعاةً للنسق الذي يقتضيه الترتيب.

أما قوله سلام الله عليه (صالح) فهو:

• إنا باعتبار أن للهداية مراتب. فيكون المراد من «الهدى الصالح»: تلك المرتبة من الهداية التي تكون صالحه للداعي، أو المرتبة التي يستحقها؛ لأنه لا شك أن للبشر حتى المؤمنين منهم بل الأخيار والأبرار مراتب من الهداية، ولكن لا يصح للإنسان أن يقتصر على المرتبة الدنيا من الهداية، بل عليه أن يسعى لأن يجعله الله تعالى أهلاً لبلوغ مراتبها العليا. أما من لا يكون مستحقاً لها، فإن الله سبحانه وتعالى لا يمنحها إياه؛ لأنه غير أهل لها، فلا تصلح له، ومن ثم لا يستطيع الإنسان الصعود أعلى من المرتبة التي هو أهل لها.

• وإما أن يكون المراد من (الصالح) وصفاً توضيحياً أو تفسيرياً ل (هدى)، أو احترازياً - حسب الاصطلاح العلمي -.

أما قوله سلام الله عليه (لا أستبدل به) فهو صفة ثانية ل (هدى)، ومعناه: اللهم وهذا الهدى الصالح الذي سألتك أن تمتعني به، فاجعله مستمراً دائماً معي، وليس كالوديعه التي تبقى عند الإنسان مدّة من الزمن ثم تُستردّ بعد ذلك. فلا يكفي أن يتمتع الإنسان بالهدى والصالح في بعض أوقات حياته ما لم تختتم حياته وهو كذلك، ولا يستبدل الضلالة بالهدى.

إنّ همّ الشيطان وجهده منصبان على هذه النقطة، وهي دفع الإنسان لأن يبدل الهدى بالضلالة، والخير بالشرّ، والصالح بالفساد، وما أكثر من ينجح في إغوائهم!

قال الله تعالى: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ؟

وقال أيضاً: وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ؟

والقليل هو ما يقابل الكثير، فيكون المعنى أن كثيراً من الناس غير شاكرين.

### طريق الحق وعدم الزيف

الحقّ والصالح مفهومان لمصداق واحد، فهما في الذهن معنيان لكن الوجود الخارجي لهما واحد؛ فيكون قوله: طريقه حقّ من باب العطف التفسيري والتوضيحي لقوله سلام الله عليه: هدى صالح. بيد أنه يمكن أن يكون المراد بالهدى الدين والعقيدة، وأن يكون المراد بالطريقة العادات والسنن؛ فيكون معنى قوله سلام الله عليه متعنى بهدى صالح لا أستبدل به الثبات على الإيمان والمعتقد؛ لأنه قد لا يبقى الفرد المسلم - والعياذ بالله - على الإيمان والإسلام بل يستبدل بالإيمان غيره ويرتدّ عن دينه، وما أكثر الذين ارتدوا عن

الإيمان والمعتقد. فمن يقرأ التاريخ يجد أن كثيراً من الناس قد ارتدوا ورجعوا عن الإسلام حتى في زمن النبي صلى الله عليه وآله، فهؤلاء لم يتمتعوا بهدى صالح دائم بل استبدلوا الكفر به، كما كان هناك أقوام بقوا مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى السنين الأخيرة من عمره الشريف، ولكنهم شهروا سيوفهم في وجهه في السنتين الأخيرتين من حياته المباركة، كالخوارج الذين مرقوا عن الإسلام وارتدوا عن إيمانهم وزاغوا عنه وانحرفوا.

ثمّة من يزعم أنه ملتزم طريق الحق، ولكن تراه يتوفّر على عادات وتقاليد باطلّة لا تتناسب مع زعمه، فمثل هذا لا يتمتع بطريقة حق، وخير مثال على ذلك ما نراه في تقاليد الزواج؛ فبعض الآباء يزوّج ابنته البالغة الرشيدة من دون أن يستشيرها. وإن أعلمها بالأمر، فلا يكون إلا بعد عقده وإبرامه حتى لا يبقى لها خيار بعده. وهذا خلاف السنّة، أمّا إذا تسرّع وأعطى كلمته ثم جعلها ترضى بعد ذلك فلا إشكال، ولكن لا بدّ من رضاها على كلّ حال.

مما ينقل في هذا الصدد أن رجلاً كان كلما تقدّم إليه أحد في طلب ابنته للزواج رفضه، حتى تقدّم إليه أحد الأشخاص فوافق عليه، فقال ذلك الشخص له: هل أرى أنك أعطيتني كلاماً عليها وانتهى كلّ شيء؟ قال الأب: نعم. قال الخاطب: هلاً تسأل البنت؟ قال: هذا لا يعنينا، إنّما أمرها يعود إلّي!

ولا تقتصر الطرق الباطلة على المحرّمات والواجبات بل تصدق في المستحبات والمكروهات أيضاً؛ ولذلك ينبغي للمسلم أن يكون على طريقة حقّ فيهما أيضاً؛ ومثاله: البدء بالتحيّة والسلام، فترى بعض الأشخاص لا يسلم على أحد أبداً، وإذا سلّم عليه أحد اكتفى بالردّ عليه متكلّفاً، أمّا هو فلا يبدأ أحداً بالسalam ترفّعاً واستكباراً!!

إذن يمكن أن يكون المراد من قول الإمام سلام الله عليه هدى صالح: الإيمان الصالح، والمراد من «طريقة حقّ»: السنن الصحيحة، كما يمكن أن يكون الثاني عطفاً تفسيرياً للأول.

وعلى كلّ حال، فإنّ المهمّ في الأمر هو الثبات على الهدى الصالح وطريق الحقّ؛ ولذلك قال الإمام سلام الله عليه: وطريقة حقّ لا أزيغ عنها. فما أكثر الذين كانوا على طريقة الحقّ ولكنهم لم يستمروا عليها؛ إمّا نتيجة مشكلات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية أو تأثراً بغيرهم. وفي كلّ الأحوال لا ضمان لأيّ أحد بالثبات على طريقة الحقّ إلا بالدعاء والاستعانة بالله تعالى والسعي أيضاً؛ فالأمر بحاجة إلى دعاء وخشوع وتضرّع، إضافة إلى السعي والجدّ.

ما يلفت النظر أنّ الإمام سلام الله عليه كان في الفقرات السابقة من الدعاء يعزى تغيير الحالات كلّها لله تعالى، مثل قوله: ولا ترفعني في الناس درجة إلاّ حظطنتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزّاً ظاهراً إلاّ أحدثت لي ذلّة باطنه عند نفسي بقدرها إلاّ أنّه سلام الله عليه في هذه الفقرة من الدعاء نسب الجانب السلبيّ (أي الاستبدال والزيغ والشكّ) للإنسان نفسه، فقال: ومتّعني بهدى صالح لا أستبدل به، وطريقة حقّ لا أزيغ عنها، وثبّة رشد لا أشكّ فيها، فما هو السبب في ذلك؟

إنّ الله تعالى هو مسبّب الأسباب كلّها؛ ولذلك فكلّ فعل يصدر من الإنسان يكون منسوباً إلى الله تعالى من هذه الجهة؛ قال الله سبحانه: **وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ. قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَمَنْ فَإِنَّ نَسَبَهُ** فعل الخير وما يصيب الإنسان من حسنات، إلى الله تعالى، وإن كان بفعل الإنسان وإرادته فإنّما هو من جهة التوفيق الإلهي، فلولا لما كان الخير يصيب الإنسان مطلقاً، ولكن حيث إنّ الإنسان هو الذي يهتئ السبب باختياره، وإنّ الله يغيّر حال الإنسان تبعاً لاختياره، فإنّ صدور الشرّ وما يصيب الإنسان من سيئة ينسب للإنسان نفسه؛ لأنّ الله تعالى يخلّيه وهوى نفسه في حبّ الشرّ وإتيانه. قال تعالى: **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ؟** ومن هنا نفهم معنى نسبة الضلالة إلى الله في قوله تعالى: **وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ؟** ونسبتها إلى الإنسان في آيات أخرى، في حين نسبت الهداية إلى الله تعالى وحده كما في قوله تعالى: **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،** والسبب كما قلنا يعود للإنسان الذي جعله الله تعالى مختاراً ليختار أحد الطرفين، قال تعالى: **؟ وَهَدَيْتَاهُ النَّجْدَيْنِ.** فرغم أنّ الله تعالى قد منح الإنسان حقّ الاختيار، إلاّ أنّه نسب تيسير الخير والشرّ معاً إليه سبحانه؛ كما أنّ

الأب الذى يعطى ابنه نقوداً وينصحه أن يصرفها فى سبيل الخير ويحذّره من طرق الشرّ، ثمّ يختيره ولكن الابن لا يعمل بوصية الأب ونصيحه، فينفق النقود فى طريق الشرّ، فإنّ الأب لا يكون مسؤولاً عن تصرف الابن، ومع ذلك يقول له: أنا المسبّب لما عملته لأننى مكنتك وخيرتك.

إنّ الله تعالى مكّن الإنسان من فعل الخير أو الشرّ، ومنحه حقّ الاختيار، وفى الوقت نفسه شجّعه على فعل الخير والإقلاع عن الشرّ، كما دعاه للتوبة، فأرسل إليه الأنبياء والكتب، وجعل الأئمة الذين يهدونه ويعلمونه، وكان من جملة تعاليمهم هو الدعاء إلى الله تعالى وطلب الثبات منه.

## نية الرشد والثبات عليها

### نية الرشد والثبات عليها

لقد طلب الإمام سلام الله عليه من الله تعالى الهدى الصالح وهو الإيمان والمعتقد الحقّ، وعدم الاستبدال به، وطلب الطريقة الحقّة وهى العادة والسنة الصحيحة، وعدم الزيغ عنها. ثم طلب نية الرشد وهى إظهارهما، فربما تكون الظروف والأجواء بحيث يكون الهدى الصالح وطريقة الحقّ هما الغالبان، فينضمّ إليهما أغلب الناس كما حدث أثناء فتح مكّة حيث قال تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا،؟} لأنّ الدخول فى الإيمان سهل والكفّة الدنيوية الراجحة بيد أهل الحقّ، ففى مثل هذه الحالة لا تعرف حقيقة النوايا، لدى تلك الأفواج، خلافاً للاطمئنان الحاصل من صدق نوايا أولئك الذين أسلموا فى مكّة المكرّمة عندما كانت بيد المشركين رغم تعرّضهم لشتى صنوف العذاب؛ ولذلك يقول الله تعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ.؟}

### كيف نحضّن نياتنا؟

أسند الإمام سلام الله عليه طلبه هذا بطلب آخر يؤمن على المعتقد فقال: نية رشد لا أشكّ فيها، والشكّ فى النية مسألة مهمّة جداً تتطلّب انتباهاً كبيراً من الإنسان؛ لأنّ الشيطان يركّز كلّ جهوده عليها من أجل أن يزلّ الإنسان ويحرفه عن الهدى الصالح والطريقة الحقّة. ولكى ندرك أبعاد حملة الشيطان علينا، فلنتأمّل فى الآية التالية فهى تحكى عزم إبليس وإصراره على إغواء البشر، وهو يقسم لله تعالى، على ذلك؛ كما حكاه القرآن الكريم: {ثُمَّ لَآيَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ؟} أى لا أدعهم يصلون إليك بل أقف فى طريقهم، فكلّما أتوك من جهة واجهتهم منها حتى أصرفهم عنك، ومن لا تنفع معه المصارحة أى الإتيان من أمام أتيته من خلف، أى ألبست له الحقّ بالباطل، أو قلت له: انظر إلى فلان وفلان ارتكب كذا وهو أعظم منك شأناً أو أحسن منك حالاً ومعاشاً.

فلنكن على حذر من الأعيب الشيطان الرجيم وأساليبه، ونطلب من الله تعالى نية الرشد والثبات عليها.

فى مقابل هذا، جعل الله تعالى لنا العروة الوثقى إن تمسكنا بها لم نزع ولم نحرف أبداً، ذلكم هو القرآن الكريم وعتره النبى صلّى الله عليه وآله، فهما السنام الأمثل والمعيار الحقّ الذى نعرف من خلالهما - أى بتمسكنا والتزامنا بهما وعدم الابتعاد عنهما - عدم انحرافنا عن الطريقة الحقّة وعدم استبدالنا شيئاً بالهدى الصالح والطريقة الحقّة، فلا نشكّ فى نياتنا البتّة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيّها الناس إننى تارك فيكم الثقلين، قالوا: يا رسول الله و ما الثقلان؟ قال: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، فإنّه قد نبأنى اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض كإصبعي هاتين - وجمع بين سبأتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع سبأتيه والوسطى - فتفضل هذه على هذه.

فهنا نكتة جديرة بالتأمل، وهي أن الناس - عادةً - إذا أرادوا وصف شيئين بأنهما لن يفترقا مثلاً لهما بجمع السبابة والوسطى، ولكننا نلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وآله جمع بين سبأتيه، فلماذا فعل ذلك؟  
لقد أراد صلى الله عليه وآله أن يبين إضافةً إلى أنهما لن يفترقا أنهما عدلان، وبما أن الوسطى أطول من السبابة قليلاً فلم يجمع بينهما، بل جمع صلى الله عليه وآله بين سبأتيه، الأمر الذي يدل على أن القرآن الكريم وأهل البيت سلام الله عليهم عدلان.

### أهل البيت هم المعيار لمعرفة الحق

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه حيثما دار. إن إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ عليّاً مع الحقّ، يلزم منه أن الحقّ معه أيضاً؛ هذا ما يفيد قياس المساواة، فلو كان عمرو مع زيد، فهذا يعني أن زيدا مع عمرو أيضاً، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله أراد بذلك التأكيد ومزيد الإلفات.

هنا أيضاً نكتة أخرى جديرة بالالتفات، وهي أن الرسول صلى الله عليه وآله قال: يدور معه حيثما دار ولم يقل: يدور حوله. وذلك في بيان لكشف العلاقة بينه وبين الحقّ كعلاقة القميص بمتقمّمه، فكيف أن القميص يدور حيثما دار لابس، كذلك الحقّ مع أمير المؤمنين عليه السلام. وبهذا أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يقول: إن عليّاً هو ميزان الحقّ ومعياره؛ ولذلك فإنّ الحقّ يدور مع عليّ، وليس العكس. فهذه نكات بليغة ينبغي لنا أن نتوقف عندها، لعلنا نكتشف بعض مضامينها الرائعة؛ حيث المتبادر إلى فهمنا من خلال هذا الحديث هو أن الأشخاص مهما عظموا لا يمكن أن يكونوا معياراً للحقّ أبداً، باستثناء أهل البيت سلام الله عليهم.

فأهل البيت سلام الله عليهم هم العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ولا يشاركهم في ذلك غيرهم بالغاً ما بلغ، لأنهم الأئمة المعصومون، وقد جعلهم النبي صلى الله عليه وآله عدلاً للقرآن، ومعياراً لمعرفة الحقّ، فالآخرون يعرضون على هذا المعيار، ليعرفوا إن كانوا على حقّ أم لا، أما أهل البيت صلوات الله عليهم فلا يعرضون على أحد؛ لا يقاس بأل محمّد من هذه الأئمة أحد.

دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشيعة وقال: نال الدهر يا أمير المؤمنين مني، وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك بابك، قال سلام الله عليه: وفيهم خصومتهم؟ قال: فيك وفي الثلاثة من قبلك، فمن مفرط منهم غالٍ، ومقتصد تالٍ، ومن متردد مرتاب، لا يدري أيقدم أم يحجم! قال سلام الله عليه: قدك فإنك امرؤ ملبوس عليك؛ إن دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحقّ، فاعرف الحقّ تعرف أهله.

وهذه كلمة يخضع لها التاريخ ويجدر أن يقف لها حتى أعداء الإمام سلام الله عليه إجلالاً، فما أبلغها وأغناها، إن حياة كل إنسان واعٍ من بدايتها إلى نهايتها رهينة هذه الكلمة الخالدة.

فمن عرف الحقّ وهو ما صرح به الرسول صلى الله عليه وآله في حديثه المتواتر: إني تارك فيكم ما إن تمسّكنم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً لا يترزّل إيمانه بعد ذلك وإن تغير زيد من الناس أو عمرو، أو رأى رجلاً انحرفوا وكانوا قبل ذلك صالحين قضوا أعمارهم في الصلاح ثم انحرفوا في آخر ساعة من حياتهم.

فإن لم نتخذ أهل البيت سلام الله عليهم ملاكاً وعروة فلا ضامن لنا من الاستبدال، لأنّ عدونا متخصص في الإغراء والإغواء، ومتفرغ لنا ولا شغل له غير ذلك، ولا مشكلة عنده تلهيه عنّا، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه.

ولكن الله الحكيم قد جعل لنا أئمة أهل البيت سلام الله عليهم وأمرنا بالاعتصام والتقوى بهم على الشيطان وتسويلاته.

فلنتمسك بهم ونزن مواقفنا بمعاييرهم، لنضمن استقامتنا وثباتنا، ونؤوب إلى الحقّ والهدى أبداً.

لقد التحق بالإمام الحسين منذ اليوم الأوّل لخروجه من مكّة تجاه العراق، جموع غفيرة من الناس، وكان هؤلاء الذين التحقوا به جميعهم مسلمين، مصلّين صائمين، بل عرّضوا أنفسهم للخطر؛ لإيمانهم بإمامة الحسين، ولكن كم بقي منهم في اليوم العاشر؟

ذكرت المقاتل أنه لم يبق مع الإمام سوى اثنين وسبعين، فيما انهزم الباقون. وهذا معناه أنه هرب أكثر الذين جاءوا مع الإمام الحسين

عليه السلام. وهذا نوع من الاستبدال والزيغ. إذن ما الضمانة في أن لا نزيغ ولا نستبدل بالهدى الضلال؟ لا ضمانة إلا الدعاء والسؤال من الله بنبيه وأهل بيته سلام الله عليهم، مع المواظبة من قبل أنفسنا نحن أيضاً. قد يخدع الشيطان الإنسان بأهون شيء فيبتاع منه دينه. إن كل شيء يمكن أن نخدع به في هذه الدنيا لا يستحق أن نساوم به على ديننا، فإن الدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة، ولا فرق بين المليار والفلس الواحد من المال الحرام إلا في الحجم. روى أن معاوية بذل لسمره بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية؟ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ؟ نزلت في علي عليه السلام، وأن الآية الثانية؟ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ؟ نزلت في ابن ملجم، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل أربعمائه فقبل. ولكن مهما كان المبلغ الذي أخذه سمره فهو خسر على كل حال.

لقد مات أبو ذر رحمه الله وهو جائع بينما كان يمكنه أن يخلف الملايين كما خلف صاحبه عثمان بن عفان. لقد كان أبو ذر وعثمان يحضران معاً محاضر رسول الله صلى الله عليه وآله طيلة عشرين عاماً ويصليان معاً خلف رسول الله صلى الله عليه وآله، وشاهداه معاً تأتية الأموال ولكن أبا ذر يموت جوعاً، والآخر يخلف ما سمعت. فالنبي الأكرم عندما أوشك أن يدعى قال لعلي: يا علي أنت قاضي ديني. فمات صلى الله عليه وآله مديناً ليهودي قد رهن عنده درعه صلى الله عليه وآله؛ وهكذا كان أبو ذر في متابعتة لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستبدل به كما فعل غيره. نسأل الله تعالى الثبات على الهدى والحق والرشد. اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لِي خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلَّا أَصْلَحْتُهَا، وَلَا عَائِبَةً أُؤْتَبُ عَلَيْهَا إِلَّا حَسَّنْتُهَا، وَلَا أَكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةٌ إِلَّا أَتَمَّمْتُهَا.

?الحذر من كل أنواع العيوب وإصلاحها

?الفرق بين العيب والعائبة والنقص

?الورع وترويض النفس

## الحذر من كل أنواع العيوب وإصلاحها

## الحذر من كل أنواع العيوب وإصلاحها

قد تكون في الإنسان خصلة ولكنه لا يعلم بوجودها، وقد يعلم بها ولكنه لا يعلم أنها عيب يوجب التعيير، وقد يعلم بها ويعلم أنها عيب ولكنه قاصر عن إصلاح نفسه والتخلص منها، وقد يكون مقصراً.

والمثال على ما تقدم هو الجهل، فإن الإنسان يعاب عليه. ولكن قد يكون جهله عن قصور، لأنه لم يسعه أن يتعلم، وقد يكون مقصيراً، كما لو أمكنه التعلم ولكنه تلكأ عن الأمر؛ فعلى أي من هذه الحالات يعاب؟ الجواب: يعاب عليها كلها؛ لأن الإنسان لا يعاب على التقصير فقط، بل قد يعاب على القصور أيضاً، كما أنه لا يعاب على شيء يعلم أنه عيب فقط، بل قد يعاب على شيء لا يعلم بوجوده، ولذلك يقول الإمام: لا تدع خصلة تُعَابُ مِنِّي. والمقصود أي خصلة، لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم كما هو معلوم.

وقد يكون العيب شرعياً كارتكاب الحرام والمكروه، أو عرفياً أو أخلاقياً مثل العجلة وعدم التأني، والغضب، والتكاسل وما أشبهه، فالمفهوم يشملها جميعاً، ومن ثم تكون مشمولة للدعاء والطلب من الله بأن يصلحها مهما كان نوعها وفي أية حالة كانت. فإن الإمام لم يقل: (تعييبها مني) بل قال: تُعَابُ مِنِّي. وصيغته المبنية للمجهول تعطى سعة من ناحية الفاعل، فيكون معنى قول الإمام: اللهم أصلح أي خصلة تُعَابُ مِنِّي، سواء كان التعيب شرعياً أم عرفياً، وفي أية حالة أتصفت بها، سواء أكنت جاهلاً بها وبكونها عيباً أم لا.

## العيوب العرفية من منافيات العدالة

ورد في صحيحة عبد الله بن يعفور، أنّ الإمام الصادق سلام الله عليه فسّر العدالة بقوله: والساتر لجميع عيوبه. وعندما يأتي الفقهاء المشهور منهم إلى تعريف العادل يقولون: أن يكون تاركاً للمحرّمات ولمنافيات المروءة. فترك المحرّمات واضح، أمّا تركه لمنافيات المروءة فقد استفادوه من مضمون قول الإمام سلام الله عليه: أن يكون ساتراً لعيوبه، ففهموا أنّ مراد الإمام ليس العيوب الشرعية فقط، بل العيوب العرفية أيضاً، ولذا قالوا إنّ العادل هو الذي يترك المحرّمات ومنافيات المروءة أيضاً.

لقد اعتبر الشرع العيوب العرفية نقائص، وأوصى بالتخلّص منها. وخير مثال على ذلك رفضه للباس الشهرة، وأورد الفقهاء هذه المسألة في كتاب الصلاة في باب لباس المصلّي، وفي مواضع أخرى أيضاً.

ومن الفقهاء من أفتى بحرمة بعض المستحبات إذا صارت مدعاة للسخرية من عاملها. وهذه مسألة مختلف فيها طبعاً، ولا تشمل الواجبات والمحرّمات؛ لأنّ أحكام الله تعالى لا تتغيّر بسبب سخرية الناس. أمّا المستحبّ الذي قد يقال بتركه في حال حصول السخرية فإنّ ذلك لا يعدّ تغييراً لحكم الله تعالى وتعطيلاً له، بل إنّهُ يُترك من باب استلزامه لإرتكاب حرام، وهو تعريض النفس للسخرية والإهانة؛ فإن ذلك حرام، فإذا دار الأمر بين المستحبّ والحرام فلا شكّ يكون ترك الحرام مقدّماً على الإتيان بالمستحبّ؛ إذ لا إلزام في المستحبّ، بينما هناك إلزام بترك الحرام.

### الحذر من القصور ومن الجهل المرتب

قد تكون عند الفرد خصلة أو خصال يعاب عليها شرعاً أو عرفاً ولكنّه لا يعلم بوجودها أو بأنّها معيبة، وهذا من الجهل، ويعدّ صاحبها قاصراً؛ فربّما ينتبه المرء بعد خمسين سنة أو أقلّ أو أكثر إلى أنّه كان مبتلياً بخصلة معيبة طيلة العقود الماضية من عمره، فيندم ويتألّم، وحقّ له ذلك، لأنّ القصور والجهل بالعيوب ليس مانعاً من الحسرة والندامة.

فمثلاً لو أنّ شخصاً حجز على السفر بالطائرة وأخبر أنّها تقلع في ساعة التاسعة، وظنّ أنّها التاسعة مساءً، ولم يذهب إلى المطار حتى العصر، رغم أنّه لم يكن قد تأخّر بسبب أمر مهمّ شغله، بل لأنّه كان يتصوّر أنّ ساعة الإقلاع هي التاسعة بعد الظهر، وعندما ذهب إلى المطار تبين له أنّ الطائرة قد أقلعت بالفعل في التاسعة صباحاً، وأنّ من أخبره بساعة الإقلاع غفل أن يذكر له أنّ الإقلاع يكون في التاسعة صباحاً بل قال له التاسعة وحسب، فظنّها مساءً. فهل هذا الشخص لا يلوم نفسه ولا يتألّم، خاصّة لو فاته موعد مهمّ أو مسألة مهمّة بسبب جهله وغفلته؟ لاشكّ أنّه سيتألّم ويرى أنّه كان عليه التأكّد قبل ذلك.

إذاً علينا أن ننتبه جيداً ونحذر من الوقوع في الجهل والغفلة والقصور فضلاً عن التقصير، ونشعر بأهميّة النصيحة والنقد البناء الموجه لنا، ونشكر من يدلّنا على عيوبنا لإصلاحها، ونكون طيّعين مع الناس في تعاملنا معهم لنشجّعهم على أن يهدوا إلينا عيوبنا.

### ولنا في علمائنا أسوء

كان الشيخ محمد طه نجف قد فقد بصره أواخر عمره، وله قصّة أذكرها باختصار؛ لأنّ على طالب العلم بل على الإنسان المؤمن عموماً - أن يستلهم الدروس من قصص هؤلاء الأعظم، وينظر هل سيّخذ الموقف المشابه لمواقفهم إن عرضت له حالة مماثلة أم لا. يقول الشيخ:

بدَرَ في ذهني يوماً تساؤل مفاده: كيف أضمن أن يكون كلّ ما أقوم به من أعمال مطابقاً للموازين الشرعية الواقعية؟ حيث كنت أخشى مثلاً أنّي قد أعطيت ما لزيد لعمرو، أو حكمت بوقفية ملك وحرمت أصحابه الشرعيين منه أو العكس، فستطول حسرتي، فماذا ينبغي لي أن أعمل لكي أتخلّص من هذا الهمّ، وفكرت مع من أطرح هذه القضية، هل أطرحها على بعض العلماء الموجودين في النجف الأشرف، ولكنّي أجت نفسي بالقول إنّ أياً منهم لا- يشفى غليلي لأنّه مثلي يعرف نفس الأدلّة المتداوله التي أعرفها وهي

الكتاب والسنة والعقل والإجماع، ولو طرحت إشكالي على أيّ منهم لأجابني بالجواب الذي أعرفه أيضاً، وهو: إن الواجب استفراغ الجهد وإن أحكامنا ظاهريّة، وهكذا.

هذا مع العلم أن الشيخ كان حينذاك مرجعاً للتقليد والفتوى والحلّ والفصل وقبض الأموال ودفعها ونصب المتولين في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلى غير ذلك. ولاشكّ أنّه كان يراعى في تلك الأعمال كلّ الموازين الشرعية التي يعرفها وكان محتاطاً فيها، وكانت صحيحة حسب ما تقوده الأدلّة، ولكنه رغم ذلك كان يخشى أن ينكشف له بعد الموت أن بعضها كان باطلاً بسبب قصوره، وإن كان معذوراً لأنه لم يكن مقصراً في استفراغ الجهد للوصول إلى وظيفته الشرعية وتكليفه كمرجع. يقول الشيخ:

فقررت التوسّل بالإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، ومزّت مدّة طويلة لم تنقطع توسّلاتي بالإمام سلام الله عليه ولكنّي لم أحصل على نتيجة أو جواب، ولو بصورة غير مباشرة، كأن يحصل في داخلي نور أو ألتفت إلى شيء أو أحد فأفهم أنّ أعمالى صحيحة فأطمئنّ، أو ليست صحيحة فأتوقف، ولكنّي لم أقطع الأمل من الإمام فتوسّلت للمرة الثانية والثالثة والعاشره والعشرين والخمسين والمئة... ولا نتيجة!

فقلت مع نفسي: لعلّ هناك مصلحة في التأخير؛ فلا ينبغي أن أياس بل اللّازم أن أوصل الدعاء والإلحاح في الطلب، وبقيت على ذلك زماناً حتى أصّبت بلوعة. وفي أحد الأيام وعندما كنت على عادتي في روضة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه عند ضريحه المقدّس، خاطبته عاتباً: سيدي لقد طال توسّلي بكم ولم تجيبوني، وأنا لم أطلب منكم المال لأنّي تعلّمت من رواياتكم أنّ من يريد شيئاً فعلياً أن يطلبه من مظانّه، وعلى طالب المال أن يتاجر، كما أنّي لم أطلب العلم الظاهري، فإنّي أعرف جوابكم لمسألتي حسب العلم الظاهري، وهو أنّ عليك أن تذهب وتعلّم حتى تزداد علماً، ولم أطلب منكم شفاء مرض في بدني، لترشدوني إلى طبيب يعالجنى أو تمّنوا على بالشفاء، سوى أنّ لي حاجة لا- يستطيع قضاءها إلا- أنتم أهل البيت، فلقد أفنيت عمري على أعتابكم أدرس أحاديثكم، واليوم وقد مرّت عليّ ثلاث سنوات أطلب فيها منكم جواباً لسؤالي لأعرف هل أنا مرضيٌّ عندكم؟ ولم أحصل على جواب منكم!؟

تأثرت كثيراً حتى لقد أصابتنى حمى شديدة وعدت إلى البيت ولم أستطع تناول العشاء، وكنت ما زلت رغم إحساسى بالعارضة والإعياء، أعيش حالة التضرّع والتوسّل إلى الله تعالى وكان دعائي يخرج من القلب وليس من اللسان، حتى غلبني النوم، فرأيت في عالم الرؤيا الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وقال لي: أطلب حاجتك من ابني المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فاستيقظت وتذكّرت أنّه كان ينبغي لي من البداية أن أتوجّه بحاجتي إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لأنّه إمام عصرنا، فتوجّهت إليه بالزيارة والدعاء، ولم تمرّ عليّ ثلاثة أيّام حتى حضر عندي شخص ظننت بعد ذهابه أنّه إمامي الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، سألتني أسئلته فأجبت عليها والقصة مفصلة إلى أن التفت إليّ وقال: أنت مرضيٌّ عندنا.

صحيح أنّ الشيخ كان معذوراً لأنه لم يكن مقصراً، ولكن هل يُعطى المعذور ما يُعطى البصير العارف المطيع الممثل من الدرجات؟ فإذا كان الشيخ طه نجف قد بلغ درجة بحيث تشرف بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وسمع منه هذا الكلام، فعلينا أن نراجع أنفسنا مخافة أن نكون مبتلين بخصال نعب عليها فتحول بيننا وبين درجة القرب من الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فربّ خصال معيبة فينا ولا نعلم بها أو نعلم بوجودها ولكنّا لا نعلم أنّها معيبة، نسأل الله تعالى أن يخلّصنا منها، وأن نكون - قبل ذلك - أهلاً لإجابة الدعاء؛ لأنّ هناك شروطاً كثيرة لا بدّ أن تتوفر في الداعي حتى يكون أهلاً لأن تستجاب دعوته، وقد عدّ السيّد ابن طاووس ستة عشر شرطاً لاستجابة الدعاء؛ فربّ شخص لا توجد مصلحة في إجابة دعوته، الأمر الذي أفصح عنه الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف فيما ورد عنه في دعاء الافتتاح من قوله: ولعلّ الذي أبطأ عنّي هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور.

**لنكسب رضا إمامنا عجل الله تعالى فرجه الشريف**



ويلزم أن نعمل ونسعى لكسب رضا إمامنا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وأن نكون من الممثلين لأوامره في عصر غيبته أيضاً؛ لأن أوامره هي أوامر آباءه الطاهرين وأوامر جدّه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأوامر الله تعالى. صحيح أن القيام بالطاعات والانتها عن المعاصي والصبر عليها ليس بالأمر السهل دائماً، ولكن من دون ذلك لا يتحقق رضا الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ولا تستجاب الدعوات.

فلا بد للمؤمن أن يخضع وقتاً من كل يوم للاستغفار ومحاسبة النفس؛ لئلا يتعدى حالة القصور إلى التقصير والعياذ بالله؛ فقد تصدر من الإنسان معصية ولكنّه لا يلتفت إليها وتفوته إمّا لحسن ظنّه بنفسه أو لكثرة مشاغله أو إنسائه الشيطان فهذا ديدن الشيطان، فكيف يقدر الإنسان أن يقاوم إن لم يحاسب نفسه كل يوم، كما أوصى بذلك الأئمة الأطهار سلام الله عليهم. فثمة روايات مستفيضة في هذا الباب، منها ما روى عن الإمام أبي الحسن الماضي سلام الله عليه: ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم... فلا بد للمؤمن أن يكون يقظاً حذراً دائماً ويسعى لرفع الحواجز عن حوله، وأن يكون دعاؤه من الأعماق، وليس من الذين يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم أو الذين يقرأون القرآن والقرآن يلعنهم. أو من الذين يغمضون أعينهم في كسب المال ولا يعيرون اهتماماً في كيفية كسبه كما كان حال ذلك الذي قال للإمام... وأغمضت...

فعلينا أن نكون يقظين حذرين ناشدين رضا الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وعلينا التأسي بعلمائنا الأبرار رضوان الله عليهم في هذا المجال.

كان الميرزا حسين الخليلي والسيد إسماعيل الصدر رحمهما الله من تلاميذ المجدد الشيرازي رضوان الله عليه، وكلاهما بلغا مقام المرجعية الدينية، وكانا أيام درسهما على السيد المجدد زميلين يتباحثان معاً. وأتفق في إحدى الليالي أن بات السيد الصدر عند الشيخ الخليلي، فأيقظه الشيخ ساعتين قبل الفجر ودعاه للذهاب إلى حرم الإمامين العسكريين سلام الله عليهما، قال السيد الصدر: ولكن باب الصحن مسدود في مثل هذا الوقت. فقال الشيخ: لا عليك، سيفتحونها عندما نصل.

وبعد أن أذيا نوافل الليل في الروضة المقدسة، قال الشيخ: لنذهب إلى السرداب المقدس لزيارة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ثم نعود بعد الأذان إلى الروضة المقدسة لأداء فريضة الصبح.

قال السيد في جوابه: لكن السرداب مغلق الآن. فأجابه الشيخ: لا بأس نزور الإمام من عند الشباك المطل على السرداب، والموجود في صحن الإمام الهادي سلام الله عليه.

وبالفعل ذهبا عند الشباك وشرعا بزيارة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكانت أضوية السرداب مطفأة، ولم تكن المصابيح الكهربائية موجودة في ذلك الزمان، بل كانت المصابيح النفطية أو الشموع.

يقول السيد الصدر: لقد لاحظت أثناء زيارتي نوراً لا يشبه نور المصابيح متقللاً في السرداب؛ ففركت عيني لاحتمال أن يكون قد غشيني نعاس أو خيال وما أشبهه، إلا أنني كنت متأكداً من رؤيتي للنور وهو يتحرك داخل السرداب، وكان ضوءه أنور من ضوء المصابيح.

يقول السيد: أخبرت الشيخ بذلك فقال: هذا النور هو الذي أيقظني وهو الذي يأتي بي كل ليلة إلى هذا المكان.

### الفرق بين العيب والعابئة والنقص

في هذه الفقرات الثلاث نرى أن الإمام السجاد سلام الله عليه يسأل الله تعالى ثلاث حاجات، ولكنّه في سؤاله عن كلّ حاجة يستعمل كلمة غير التي يستعملها في السؤال عن الحاجة الأخرى، فمع أنّ الإمام يطلب من الله تعالى في هذه الفقرات إصلاح الحال وما تنطوي عليه النفس من نقائص، وتغييرها إلى ما هو أحسن، ولكنّه يعبر عن النقص الأوّل بالخصلة المعيبة ويطلب من الله تعالى إصلاحها،

ويعبر عن النقص الثاني بالعائبة التي يؤنب بسببها ويسأل الله تعالى تحسينها، ويعبر عن النقص الثالث بنقصان الأكرامة ويطلب من الله تعالى إتمامها.

فالخصلة التي تعاب بحاجة إلى إصلاح، والعائبة التي يؤنب بسببها المرء ويلام تحتاج إلى تحسين، والأكرامة الناقصة تتطلب إتماماً. ولا شك أن الألفاظ التي استعملها الإمام تنطوي على بلاغة عالية وعلى عالم من المعاني والمفاهيم. يمكن تقريب المطلب عبر أمثلة:

شخص سيئ الخلق، كالعبوس المتجهّم.

شخص حسن الخلق ولكنه خارج عن حد الاعتدال، ككثير المزاح والهزل.

شخص حسن الخلق مع بعض الناس دون بعض.

فهذه ثلاث حالات.

أما الشخص الأول (سيئ الخلق) فهو بحاجة إلى إصلاح؛ لأن سوء الخلق فساد، والفساد يتطلب إصلاحاً.

وأما الشخص الثاني (المبتلى بالإفراط رغم وجود الفضيلة عنده) فهو بحاجة إلى تحسين وضعه وحاله، لأن الإفراط عيب وليس فساداً لكي يُقلع بالمرّة؛ بل عنده فضيلة ولكن علق بها بعض الشوائب؛ فلا بد من تحسينها وتشذيبها فقط.

وأما الشخص الثالث (الحسن الخلق مع بعض دون بعض، أو الذي يمارس الفضيلة أحياناً دون أخرى)، فهو ينطوي على أكرامة ولكنها ناقصة؛ فيقتضى إتمامها. ومثالها: الشخص يكون حسن الخلق في المجتمع ولكنه ليس كذلك مع أهله، أو العكس، فمثل هذا الإنسان ليس سيئ الخلق مطلقاً ليكون محتاجاً إلى الإصلاح، ولا حسن الخلق مع إفراط ليحتاج إلى تحسين، ولكنه لا يتوفّر على بعض الفضائل وإن كان يتوفّر على بعض آخر، أو يتوفّر عليها ولكن ليس دائماً، أو مع بعض الناس دون بعض، فهو لذلك بحاجة إلى إتمام ما ينقصه.

وهكذا يتضح أنه كما ينبغي التدبّر في آيات القرآن الكريم، بل قد يجب من باب مقدّمة الوجود - حسب الاصطلاح الأصولي - وكذلك ينبغي وقد يجب التدبّر في أدعية المعصومين عليهم السلام ومواعظهم وأحاديثهم وآثارهم؛ فإن التدبّر فيها يكشف عن دقائق ونفائس في طيّ كلماتهم تنير حياتنا.

خذ مثلاً كلمة (عائبة) وهي مؤنث (عائب) والشيء العائب يحتاج إلى تحسين وترميم؛ كالسفينة إذا خرقت وأصبحت معيبة فإن لم ترمم نفذ إليها الماء تدريجياً وآل أمرها إلى الغرق، كما نقرأ ذلك في قصّة موسى والخضر عليهما السلام في قوله تعالى حكاية عنهما:

؟أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا.؟

وهكذا الحال مع النفس الإنسانية إذا كان فيها عيب وخلل يلام عليه الإنسان، فلا بد من ترميمها وإزالة ذلك الخلل والعيب؛ ولذلك يقول الإمام سلام الله عليه: ولا عائبة أوُنّب بها إلا حسنتها.

وإذا كان الأئمة المعصومون سلام الله عليهم وهم في أعظم مقام يمكن أن يبلغه مخلوق، يطلبون من الله دائماً أن يعينهم على التكامل، فما أحوجنا لأن نتوسّل بالله تعالى في الإطار نفسه، فإنّ الإنسان كلّ نقص وافتقار لله تعالى، ومن ثمّ فهو مدين لله تعالى ويجب عليه أن يتوجّه إليه بالشكر على كلّ النعم سواء في الأمور الماديّة أو المعنويّة. حتّى نعمة الشكر على ما أنعم عليه، فإنّها تستوجب شكراً، ولذلك لا يتوقّف شكر الإنسان لله تعالى عند حدّ.

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بالنعم الماديّة لكي يستطيع أن يزكّي نفسه، ومنحه القوى لكي يكتسب المعالي والفضائل.

## الورع وترويض النفس

يظهر من الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله كان يستقبل شهر رمضان كل عام بخطبة، ولعل أشهر تلك الخطب فيه وأجمعها هي تلك التي يتوجه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه في آخرها بالسؤال منه صلى الله عليه وآله قائلاً: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد ذكر أموراً عديدة في خطبته الشريفة مما ينبغي للصائم عملها في شهر رمضان، وحث المؤمنين عليها، ولكنه لم يأت على ذكر أى واحدة منها في جوابه للإمام، بل أجابه صلى الله عليه وآله قائلاً: الورع عن محارم الله. ولكن هل يحصل الورع عند الإنسان بمجرد أن يرغب به؟

بالطبع لا، لأن هناك موانع كثيرة تقف في طريقه، كالشيطان والشهوات والنفس الأمارة بالسوء، إذ لا بد من ترويض النفس وتمارينها للتغلب على كل الصعوبات والموانع التي تصادفه في كل مجالات الحياة لعدم صمود استعدادات الإنسان من دون ممارسة وتمارين.

## صفة المتقين

لقد وصف الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه المتقين بقوله: فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون. فرغم أنهم لم يشاهدوا الجنة أو النار بأعينهم الباصرة ولكنهم ممثلون يقيناً بوجودهما، فترى أحدهم يحلم ويصفح عن سببه أو ظلمه لأنه يعلم أنه سينال بذلك درجة في الجنة، فهو سعيد منعم حتى في هذه الحالة، لأنه كمن يرى الجنة ودرجة المحسنين فيها بعين البصيرة وإن لم يرها بالعين الباصرة.

إن الورع هو الذى يبلغ بالإنسان إلى هذا المقام، ولكن هل يتحقق هذا دون سعى وعمل؟ إن القرآن الكريم صريح فى قوله تعالى: **؟ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . ؟** إن الله تعالى هو الذى يفيض على الإنسان وهو الذى يعطيه ولكن ذلك لا يتم إلا مع السعى والتمرين من قبل الإنسان نفسه فضلاً عن الدعاء.

لو أن شخصاً تثق به أخبرك أنه مستعد لتعويضك عن كل ما ستفقه من أموالك فى مجال الخير بل يزيدك عليه شيئاً، فهل تتأخر عن الإنفاق أم ستبسط يدك؟ لا- شك أنك لا- تتأخر عن الإنفاق لأنك تعلم أن هناك من وعدك أنه سيعوّضك عن كل ما ستخسر من أموال، وما ذلك إلا لأنك تشاهد الشخص الذى تثق به عياناً، وترى أمواله وإمكاناته وتحس بعلاقتك المباشرة معه. فهكذا يكون المتقون فى تعاملهم مع الله تعالى؛ لذلك ترى الإنسان المتقى لا يقول لماذا عمل معى فلان كذا مع أنى خدمته، بل لا يفكر فى ذلك، لأنه يؤمن بقوله تعالى: **؟: إِنْ أَحْسَيْتُمْ أَحْسَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ؟** بل تراه يتهم نفسه دائماً، فقد روى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله: المؤمنون لأنفسهم متهمون أى أن المؤمن يتهم نفسه ويراهم مقصيرة دائماً، وما دام الأمر كذلك تراه لا يتألم ولا يقلق لمجرد أن شخصاً ما لم يرد عليه إحسانه، وأما حاله مع سخط الله تعالى فتراه يحتاط حتى فى قول كلمه واحده ويحذر من أن تصبح له عاملاً إلى مؤاخذه الله عزوجل.

نقل لى سجين سابق: أنه كان جالساً مع زملائه فى السجن لتناول وجبة إفطار الصباح، إذ نودى باسم أحدهم للذهاب إلى المحكمة، وصادف أثناء النداء باسمه أنه كان يحمل كوب الشاي بيده، فبدأت يده ترتعش خوفاً حتى فرغ كل ما فى الكوب من الشاي، ثم سقط الكوب من يده إلى الأرض! كل ذلك لخوفه من المثل أمام محكمة المخلوق، بعد يقينه بوقوعها. وهكذا ينبغي أن يكون حال المتقين فى استقرار يقينهم بمحكمة الخالق، فما أعظمها وأعظم أهوالها.

## من يرى الجنة لا يبالي بالصعاب

نقل أحد مراجع التقليد من أرحامنا أنه أيام دراسته وقبل أن يتصدى للمرجعية، عن أحوال السيد أبى الحسن الإصفهاني أيام مرجعيته،

قال: كنت قد كتبت استفتاءً للسيد أبي الحسن ولم أشأ أن أزاحمه لأخذ الجواب منه في الأوقات التي يكون فيها مشغولاً إماماً بالتدريس أو اللقاءات العامة والخاصة. فقزرت أن أذهب إليه قبيل صلاة الفجر؛ لعلمي أنه يكون مستيقظاً في ذلك الوقت؛ لأنه كان يصلي صلاة الصبح جماعة في روضه أمير المؤمنين سلام الله عليه، فذهبت قبل أذان الفجر بزهاء ساعة إلى بيته فرأيت المصباح مضاءً فطرت الباب، وعندما خرج الخادم سألته فيما إذا كان السيد مستيقظاً؟ فردّ بالإيجاب، فطلبت منه أن يخبر السيد أن فلاناً عند الباب. فمكثت هنيهة حتى عاد الخادم واصطحبني إلى داخل الدار، فرأيت السيد والرسائل متناثرة بين يديه يجيب عليها، ففي بعضها استفتاءات، وفي بعضها الآخر حاجات يطلب أصحابها قضاءها.

فقلت للسيد: أرسلت لكم منذ أيام رسالة أستفتيكم فيها عن جملة مسائل كذا وكذا.

فقلب السيد الرسائل حتى استخرج رسالتي ثم قال لي: عندما عدت إلى البيت كان بعض الأشخاص - كالعادة - ينتظرونني لقضاء بعض الحوائج أو للإجابة على أسئلتهم، وبعد أن خرجوا رأيت أن أنتهي من الإجابة على هذه الرسائل قبل تناول العشاء، فبقي الطعام على الموقد الذي تراه أمامك على نار هادئة والرسائل لم أستوفِ تمامها بعد والوقت قريب من الفجر ومنها رسالتك هذه. ثم تناول رسالتي فأجاب عليها.

فلا شك أن السيد أبا الحسن الإصفهاني لم يكن آنذاك شاباً بل كان شيخاً قد ضعفت قواه، وكان هذا الجهد المتواصل والبقاء دون عشاء حتى الفجر لا يخلو من أثر سلبي على صحته، ولكن عندما يكون الإنسان كمن قد رأى الجنة فهو فيها منعم، تكون روحه كبيرة تقوى على تحمّل الصعاب، وهكذا عندما يكون الإنسان كمن قد رأى النار فهو فيها معذب، تراه يحتاط في أموره كثيراً؛ حذراً من الوقوع في ما من شأنه أن يسخط الله تعالى.

### لنتهز الفرصة من أجل بناء أنفسنا

لنتهز كل منّا جميع الفرص - لا سيما أيام شهر رمضان - من أجل بناء نفسه، فإنه لا حدّ لبناء النفس، ولا يتصور أحد أنه سيصل الحدّ الذي يتوقف عنده جهاد النفس وبنائها، ولقد ذكرنا في بداية البحث أن الإمام السجاد سلام الله عليه يطلب في هذه الفقرة من الله تعالى ثلاث خصال في سبيل بناء النفس وتكاملها؛ فإنه لا حدّ للتكامل والرقى أبداً حتى عند المعصوم، مع أن العصمة هي أعلى درجات الرقى بالنسبة لسائر الناس

- ولن يبلغوها لأنها خاصة بأولئك الذين اصطفاهم الله لبلوغ هذا المقام-

ولكن هذا لا- يعني التوقف عن بناء النفس وتكميلها، فما أحرى بالإنسان أن يسعى لبلوغ منزلة فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون.

بالسعي والتمرين يمكن أن يصل الإنسان إلى مرتبة فهم والجنة كمن قد رآها، لأنّ هذا الأمر لا يتحقق دفعة واحدة بل يتطلب الممارسة والمواظبة من أجل الصعود درجة درجة؛ فإن الله تعالى جعل عالم الدنيا عالم الأسباب، فلا يمكن أن ينال الشخص ليلاً ثم يستيقظ صباحاً وقد تحوّل تحوُّلاً كاملاً دفعة واحدة من الصفر حتى بلوغ تلك المرتبة.

قد تحصل عند الإنسان حالة من التغيير بسبب حالات خاصة أو ظرف طارئ أو نتيجة التحزّز والاحتياط أو التأثير بموعظة سمعها من خطيب أو وصايا قرأها لأهل البيت سلام الله عليهم، وربما اجتمعت عوامل عدّة في خلق هذا التغيير عند الإنسان، فيشعر أن قلبه قد تنور بعض الشيء، فينعكس هذا على سلوكه ومشاعره نحو الأفضل، ولكن هذه الحالة قد لا تستمرّ معه أبداً، وسرعان ما تبدأ بالدوبان كقطعة الثلج التي تذوب تدريجياً، وإذا به بعد أسبوع مثلاً يعود إلى سابق وضعه وحاله، وما ذلك إلا لفقدانه الممّون الذي يمدّه بالرصيد الذي يستمدّ منه الفيض باستمرار، أما إذا لم يفقده فإنه سيبقى على تلك الحالة بل يزداد تصلباً وتماسكاً فيها - كقطعة الثلج التي تحفظ في المجمّدة - وشهر رمضان خير ممّون للإنسان في هذا المجال، فلنستثمر أيامه ولياليه وساعاته ومناسباته وأدعيته العظيمة.

فلنقرأ في كل ليلة مثلاً مقاطع من دعاء أبي حمزة الثمالي بتأمل وتدبر، متمعنين عند كل مفردة أو جملة أو فقرة منه؛ لأن قراءة الدعاء والمواظبة عليها تخلق هي الأخرى ارتكازاً وحالة في النفس تساهم مع التأمل والتدبر في بعض فقراته في البلوغ بالدعوى نحو مرحلة (فهم والجنّة كمن قد رآها)، وتعين العبد على أداء أفضل الأعمال في هذا الشهر وهو (الورع عن محارم الله).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد تبه المسلمين في خطبته التي استقبل فيها شهر رمضان المبارك على استثمار هذا الشهر استثماراً حقيقياً، ومن جملة ما قاله صلى الله عليه وآله: أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم. وهذا معناه أن كل عمل نقوم به مهما كان صغيراً فإنه يرهن أنفسنا. فالنظرة، والكلمة، وكل عمل يصدر عنا يجعلنا رهائن، ولا نستطيع أن نفكّ أنفسنا منها إلا بالاستغفار.

ولا يشترط أن تكون الأعمال التي نقتربها كبيرة لكي نصبح رهائن لها، بل كل عمل كفيلاً بأن يرهن صاحبه مهما كان صغيراً؛ قال تعالى: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ؟ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.** فمن القطرات يتكوّن ماء المطر ومن القطرات يتكوّن السيل العرم الذي يقلع الأشجار ويجرف البيوت.

إنّ الإنسان مسؤول عن كل صغيرة وكبيرة، كما ورد في الحديث الشريف: **ألا- وإنّ الله عزّ وجلّ سائلكم عن أعمالكم، حتى مسّ أحدكم ثوب أخيه بإصبعيه فلعلك تضع إصبعك على الثوب تريد معرفته نوعه أو لغاية أخرى، ولا يكون صديقك راضياً بذلك، فإنّك إن فعلت ذلك ستسأل عنه يوم القيامة.**

وفي الحديث أيضاً: لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه. يقول العلماء: إنّ النكرة في سياق النفي تفيد العموم، وبما أن جملة «مال امرئ مسلم» نكرة، وعبارة «لا يحلّ» نفية، إذاً تكون جملة «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه» مفيدة للعموم، ويندرج تحتها أيضاً المورد المذكور في الحديث المتقدم (حتى مسّ أحدكم ثوب أخيه) وإن كان في مستواه الأدنى وليس الأعلى، كالسرقة والعياذ بالله.

أى أنّ الإنسان سيسأل يوم القيامة حتى عن النفخة ينفخها، كما لو نفخ في وجه إنسان يتأذى من ذلك فإنه سيعاقب عليه، وعكسه لو نفخ في نار قدر إطعام المشاركين في عزاء الإمام الحسين سلام الله عليه مساهمة منه في تعظيم شعائر الله تعالى فإنه سيثاب على ذلك. وهكذا تجد الإنسان الورع يحتاط في كل أعماله؛ لأنه هو والجنّة كمن قد رآها فهو فيها منعم، وهو والنار كمن قد رآها فهو فيها معذب.

## الورع واجب في كل حال

ثمّ إنّ الورع واجب دائماً وليس في شهر رمضان فقط، وهو واجب على كل مكلف. أمّا كيف صار الورع واجباً فجوابه: لما كان ترك المحرّمات واجباً مطلقاً، وكان الورع - وهو تحصيل ملكة ترك المحرّمات - مقدّمة وجودية له، والمقدّمة الوجودية للواجب المطلق واجبة (من باب إذا وجب شيء وجبت مقدّمته)، إذاً يكون الورع واجباً على المكلف. وهذا من قبيل ما ورد في عبارات الفقهاء: «يجب على كل مكلف أن يكون في عباداته ومعاملاته مجتهداً أو مقلداً أو محتاطاً»، فإنه أيضاً وجوب نشأ من نفس الطريق وهو كونه مقدّمة وجودية للواجب المطلق.

ثمّ إنّ الورع لا يأتي من فراغ وهكذا اعتباطاً، كما تقدّم، ولا يكفي الدعاء أيضاً في حصوله بل لا بدّ من أن يسعى الإنسان لتحصيله عبر الممارسة والمواظبة والاستفادة من المناسبات التي وفرها الله تعالى للإنسان المؤمن بمناسبة شهر رمضان المبارك مثلاً، فلنحاول أن نختار في كل يوم من هذا الشهر الفضيل وهكذا في سائر شهور السنة إحدى الإرشادات الدينية، ونعزم ونصمّم على تطبيقها، فإنّ الأمر بحاجة إلى عزيمة، وكما ورد عن الإمام الرضا سلام الله عليه: فإنّما هي عزمه والتاء في قوله «عزمه» للمبالغة وليست للتأنيث.

وروى عن الإمام أبي الحسن الماضي عليه السلام أنّه قال: ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم.

وعبارة (كل يوم) غير مختصة بشهر رمضان كما هو واضح، ولكن لنفعل ذلك في شهر رمضان على الأقل أو لنبدأ منه. ولقد روى في هذا المجال أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ووبخوها قبل أن توبخوا.

### حذار ألا نتصح بما ننصح

ولنحذر نحن - أهل العلم خاصة - أن نكون يوم القيامة مصداقاً لما ورد في الحديث الشريف: أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره.

ولو لم ترد هذه الرواية أمكننا إدراك ذلك الأمر بالتأمل، كما يفترض بنا الاهتداء والاعتداء بأقوال وأفعال الأئمة سلام الله عليهم الذين يعلموننا ما هو الخطأ وما هو الصواب، ويمكننا القول إن هذا مما يمكن استفادته حتى من عموم رواياتهم الأخرى.

حقاً ما أعظم حسرة الإنسان وهو يرى نفسه متردياً خاسراً؛ لعدم استرشاده بالنصح الذي قدمه لغيره، في حين يرى أن من نصحه قد أخذ بنصحه ونجا وفاز يوم القيامة.

إن الطريق إلى فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون طويل جداً، لكن هذا لا يعفينا من المسؤولية أبداً، بل علينا أن نسير فيه دوماً، ولقد وعد الله تعالى عباده الساعين والمتوكلين عليه بالتوفيق، وهو تعالى صادق الوعد، فلنترفع عن صغائر الأمور ونضاعف من اهتمامنا بأمر الآخرة عسى الله تعالى أن يأخذ بأيدينا ببركة أهل البيت سلام الله عليهم ويجعلنا من المستفيدين من شهر رمضان المبارك لكي نرى أنفسنا بعد انصرامه وقد تغيرنا نحو الأفضل، وازددنا ورعاً وتقوى واقتراباً من حال الذين هم والجنة كمن قد رآها...

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بَغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَّانِ الْمَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظَنِّهِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثَّقَةَ، وَمِنْ عِدَاوَةِ الْأَذْنِينَ الْوَلَايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَبْرَةَ، وَمِنْ خِذْلَانِ الْأَقْرَبِينَ النَّصِيرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمِدَارِينَ تَضْيِجِ الْمَقْبَةِ، وَمِنْ رَدِّ الْمَلَابِسِينَ كَرَمِ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ حَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلَاوَةَ الْأَمْنَةِ.

?إبدال الشنآن والبغى إلى المحبة والمودة

?إبدال الظنَّة والعداوة إلى الثقة والولاية

?إبدال العقوق والخذلان وتطوير المداراة

?طلب فنِّ المعاشرة، والأمن من الظالمين

### إبدال الشنآن والبغى إلى المحبة والمودة

#### إبدال الشنآن والبغى إلى المحبة والمودة

هذه فقرة أخرى من دعاء مكارم الأخلاق يفتتحها الإمام السجّاد سلام الله عليه بالصلاة على النبي وآله الأطهار سلام الله عليهم، ثم يطلب من الله تعالى تسعة مطالب في تسع جمل نتناول في هذا الفصل المطالبين الأولين منها، حيث يقول الإمام: وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبة ومن حسد أهل البغى المودة.

#### ما المقصود بالشنآن، ومن هم أهل الشنآن؟

البغض والعداوة وسوء الخلق أمور مذمومة، ولكل منها معنى، فقد يكون الشخص مبغضاً ولكنه ليس معادياً، وقد يجمع الخصلتين ولكن من دون سوء خلق، وقد يجمع سوء الخلق إلى البغض والعداوة، ولذا فسّر الشنآن لغةً بالبغض والعداوة مع سوء الخلق؛ كما

فسروا قوله تعالى؟: إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ؟

وقد يكون الإنسان نفسه محفراً لمن يشأه نتيجة أعماله السيئة، فيكون من مصاديق قوله تعالى؟: وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ؟ وقد يتلى الشخص بأهل الشتان من غير أن يكون جالباً لهم بسوء خلق وغير ذلك، ومثاله: لو رزق بجمال أو حسن خلق أو ذهن وقاد أو نعم أخرى، فيشأه أهل الشتان لذلك.

عندما نتأمل في دعاء الإمام السجاد سلام الله عليه نجد أنه عدل عن استعمال كلمة الشانئ أو الشانئين إلى «أهل الشتان»، ولا بد أن نتدبر قليلاً لمعرفة السبب. فتارة يكون الشتان عفويًا، وتارة يكون بمنزلة الحرفة عند بعض الناس، كما أن للعلم والتجارة وغيرهما أهلاً بحيث يصدق عليهم أنهم علماء أو تجار، ولا يصدق على من تعلم مسألة أو بعض المسائل الشرعية أنه من أهل العلم، أو من ربح في صفقة واحدة أو صفقتين اتفاقاً، أنه من أهل التجارة؛ إذ لا يقال للشخص أنه من أهل العلم مثلاً ما لم يكن جنيد نفسه للدراسة حتى عدت كالحرفة له.

لذلك يطلب الإمام سلام الله عليه من الله تعالى أن يبدله المحبب ليس فقط من بغضه أي كان ولا أي شانئ، بل يطلب من الله تعالى أن يبدله من بغضه أهل الشتان الذين طبيعتهم وشغلهم ودينهم الشتان.

### كيف نتعامل مع أهل الشتان؟

ماذا بوسعكم أن تفعلوا للتخلص من أناس هذه شيمتهم؟ إلا أن يتوجه الإنسان إلى الله تعالى بالدعاء ويقول له كما علمنا الإمام السجاد سلام الله عليه: اللهم وأبدلني من بغضه أهل الشتان المحبب.

يُنقل أن شخصاً مرض وأوشك على الموت فقال لابنه: اذهب وادع لي فلاناً وفلاناً - وسمى له بعض الأشخاص - وعندما حضره التفت إليهم وهو مسجى على فراش الموت قائلاً: إن لكم جميعاً عليّ حقوقاً وأرجو أن تحلّلوني منها، فإنني قد أفارقكم الساعة.

تعجب القوم وسألوه مستغربين: لا نعرف لنا عليك حقوقاً، فهلاً عرفتنا بها.

قال: دعوكم من هذا وتفضلوا عليّ بالعفو لأنني أوشك على الموت.

ولكنهم أصرّوا على معرفة حقوقهم. ولما رأى إصرارهم التفت إلى الأول وقال: أتذكر حينما احترق بستانك واتهمت فلاناً من الناس وحكم عليه القاضي، أنا الذي حرقتها وليس ذلك المسكين.

وزاد فضول الشخص لمعرفة تفاصيل القضية، فالتمسه أن لا يبخل بسردها عليه. فقال له: لقد دار نقاش محتدم في أحد الأيام بينك وبين زيد، فهددك بحرق نخيلك، وكنت أسمع كلامكما فجئت في منتصف الليل وقمت أنا بإحراقها، وحيث إن زيدا كان قد هددك ألبيت في حقه التهمة وأودع السجن.

ثم التفت إلى الثاني وقال له: إن المشكلة التي نزلت بك في يوم كذا أنا افتعلتها. وهكذا أخذ يعدد لهم مكايده واحدة بعد الأخرى.

إن الدعاء والتوجه إلى الله تعالى هو الكفيل بأن يخلص الإنسان من شرور أشخاص كهذا، لأن كثيراً من الناس لا يدرون من الذي يترى بهم ليوقعهم في حفر المشاكل والمصائب.

هذا في حين إن دعاءً صغيراً - قد لا يستغرق دقائق - يتوجه به الإنسان إلى الله تعالى كفيل بأن ينجيه من الوقوع في مشاكل قد تدوم عقوداً ولا يعرف كيف الخلاص منها. وفي يوم القيامة يدرك الإنسان أنه لو كان قد دعا ربه بذلك الدعاء لما ابتلى هذه المدّة الطويلة، ولكن ماذا يجدى وقد ذهب السنوات من عمره سدى، ولات حين مندم.

### دعم الدعاء بالعمل

الدعاء والعمل يكمل أحدهما الآخر ولا ينفع أحدهما من دون الثاني إلا إذا كان الإنسان عاجزاً إلا عن الدعاء؛ قال تعالى؟: وَأَنْ لَيْسَ

لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى.؟

وقال أيضاً: قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ.؟

وفي هذا المجال إبدال بغضة أهل الشنآن بالمحبة كما في غيره من المجالات، ينبغي للإنسان بمقدار علمه أن يسعى إلى جانب الدعاء، لكي يبدل أهل الشنآن إلى محبين؛ كما في قوله تعالى:؟: اذْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَمَاذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.؟

ففي هذه الآية الكريمة نكتة لطيفة يمكن استفادتها من كلمة «ادفع»؛ لأنّ الدفع في اللغة كالوقاية من المرض، كما أنّ الرفع كالعلاج منه. فمثلاً- إذا دخل لصّ داراً فإنه عند محاولته إخراجها يكون هذا سعيّاً لرفع السرقة، وأمّا إذا أقفلت الأبواب بوجه اللصّ قبل دخوله الدار فهذا يعني دفع السرقة قبل وقوعها والحؤول دون دخول اللصّ إلى الدار.

وفي المقام يرشدنا الله تعالى إلى دفع السيئة (أى الحيلولة دون وقوعها) بالتي هي أحسن منها كفعل الخير والصلة وما أشبه. أمّا النتيجة من الدفع بالتي هي أحسن، فقد أشارت إليها الآية نفسها في قوله تعالى:؟: فَمَاذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ،؟ أى أنّه سيحبك بقلبه ويدراً عنك بجوارحه وطاقاته.

ولا يخفى أنّ الإحسان إلى المسيئين يحتاج إلى عزيمة قوية؛ ولذلك عبّرت الآية نفسها عن هذه الخصلة بقوله تعالى:؟: وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.؟

وبقدر ما يكون الصبر على الإساءة تكون النتيجة مرضية، وإنّ هذا التوفيق الإلهي وإن كان يحتاج إلى حظّ عظيم إلا أنّ مفتاحه بيد الإنسان نفسه.

### الاقتداء بعلمائنا الأعلام

في تاريخ علمائنا الأبرار فضلاً عن سيرة أهل البيت سلام الله عليهم الكثير من القصص التي يمكن للإنسان أن يستضيء بها. لقد ذكر في أحوال الخواجه نصير الدين الطوسي رحمه الله (صاحب كتاب تجريد الاعتقاد) أنّ شخصاً كتب له رسالة وجه له فيها سباً لاذعاً، كما تجاوز عليه بقوله (ياكذا)، فأجابه الشيخ وكان عالماً ووزيراً مقتدراً: وأمّا قولك أنّي كذا فهذا غير صحيح لأنّ الكذا يمشى على أربع وأنا أمشى على اثنين، والكذا فصله «نابح» وأنا فصلي «ناطق»!

لنراجع أنفسنا ونرى هل نستطيع أن نكون هكذا في الخلق الرفيع الذي تحلّى به هذا الشيخ العالم الذي لم يكن عاجزاً - لا من حيث قوّة القلم والبيان ولا- من حيث السلطة - أن يقابله بأشدّ من قوله؟ ولكنّه تلميذ مدرسه أهل البيت الذي تعلّم منهم الصبر والأخلاق الرفيعة.

كما نقل لي أحد الأشخاص - وكان هو الواسطة بين السيّد أبي الحسن الإصفهاني قدّس سرّه وشخص آخر لا أعرفه كان يكيل السباب والشتائم للسيّد، أى كان شائناً له - قال:

في أحد الأيام قلت للسيّد أبي الحسن الإصفهاني - وكان قد بلغه أمر الرجل -: ماذا نضنع معه؟ قال: أنت صديقه، فلا بأس أن تغتم إحدى المناسبات لنذهب معاً إلى زيارته.

فقلت له: سيدنا أتزوره؟

قال: نعم.

فسررت كثيراً لذلك لأنّي كنت أحبّ أن تحلّ المشكله، لأنّ ذلك الشخص كان صديقاً لي وكان شخصيه اجتماعيه أيضاً، فكنت أستاذ كثيراً من تصرّفاته تلك، خصوصاً وأنّ السيّد كان مرجعي في التقليد، فضلاً عن العلاقة به.

وامتثالاً لطلب السيّد في زيارته كنت كلّما ذكرت اسم السيّد عنده لأقنعه بزيارته له، كان يردّ ولا يدع مجالاً لذلك الحديث، حتّى



مرض في أحد الأيام، فأخبرت السيد الإصفهاني بالأمر، وقلت له: إنها فرصة مناسبة. وجئت للرجل وقلت له: أنت مريض والناس يعودونك، فربما يعودك السيد أبو الحسن الإصفهاني.  
 فإذا به يلتفت إليّ قائلاً: بعد أن بلغه مني ما بلغ، لا أظنه يفعل!  
 قلت: أنت تعرف السيد فهو يزور الجميع، ويعود المرضى.  
 ثم التفتُ إليه أخرى وقلت: هب أن السيد جاء لعيادتك، ماذا أنت صانع؟  
 قال: أستقبله بما يكره، ولا أقوم له!!

قلت له: افرض أنه ليس من وصايا الإسلام الأكيدة احترام المؤمن، ولنفرض أنك لا تلتفت إلى أنه عالم دين، ومن سلاله البيت النبوي الطاهر، ولكن هل يسوغ لك أن تخدش حرمة شخص جاء لزيارتك وحلّ ضيفاً عليك، وأنت رجل عربي؟!  
 فتأمل هنيهة، ثم قال: إذاً لا أكلمه، ولا أقوم احتراماً له!

فذهبت إلى السيد وأخبرته بالأمر، وجئنا سوياً لعيادة الرجل، وحينما دخلنا تظاهر أنه لا يستطيع القيام من شدة المرض، مع أنه كان يستطيع! وأخذ يتناقل في جواب السيد ولا يجيب إلا بقدر الضرورة، ولكن السيد ظلّ يلاطفه ويسأل أحواله وهو يجيب بكلّ برودة.  
 واستمرّ السيد يلاطفه بأخلاقه الحسنه حتى انجلت الغبرة عن صدره، بحيث عندما همّ السيد بالمغادرة قام الرجل لمشايعته إلى الباب!  
 وسألته بعد ذلك: كيف وجدت السيد؟ قال: بعد إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لا شخص أفضل منه على الإطلاق!  
 وهكذا صار هذا الشخص ولياً حميماً للسيد بعد أن كان عدواً لدوداً؛ لأنّ السيد قدس سرّه عمل بقول الله تعالى: {إِذْ فَعَّ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}.

### أهل البغي وكيفية التعامل معهم

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: ومن حسد أهل البغي المودّة.  
 البغي أصله من الحسد، ثم سمي الظلم بغياً؛ لأنّ الحاسد يظلم المحسود، والحسد منشأ القلب، ولكن لا يحاسب عليه الإنسان إلا إذا انعكس أثره على الجوارح؛ ولذلك ورد في حديث الرفع المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تَسَعٌ ... والحسد والطيرة و... ما لم ينطق بشفة ولا لسان.

وأما قوله سلام الله عليه: أهل البغي فيعني من ديدنهم البغي، كما تقدّم في قوله عن أهل الشنآن.  
 وأما المودّة فهي المحبّة الظاهرة؛ فقد يحبّ الإنسان شخصاً ولكنّه لا يظهر هذا الحبّ فهذا لا يسمّى مودّة، أما إذا كان يحبه ومع ذلك يظهر ذلك الحبّ فهذه هي المودّة.

وفي هذا الدعاء يطلب الإمام من الله تعالى أن يخلّصه ليس من حسد الباغى العادى فقط بل من حسد أهل البغي أى من بنى أمره على البغي، ويبدل حسده ليس إلى محبّة فقط بل إلى مودّة أيضاً وهي الحبّ مع إظهاره.

هنا أيضاً لا يكفي الدعاء وحده بل لابدّ للمؤمن أن يسعى بعمله لتجنّب أهل البغي وتبديل حسدهم إلى مودّة؛ فإنّ الإمام سلام الله عليه يطلب من الله تعالى أن يخلّصه من السليبات الموجودة في المجتمع ويلفت نظر المؤمنين إليها أيضاً.

أما كيف تتصرّف مع أهل البغي، فلنا في أئمة الهدى صلوات الله عليهم قدوة، فلنقتد بأئمتنا وعلمائنا من بعدهم؛ لأنّ ردّ الصاع بصاعين سهل إذا كانت لدى الشخص المقدرة، ولكنّ الصبر أصلح وأجدر أن يعمل به، وإن كان أصعب.

لا شكّ أنّ بلوغ هذه الدرجة العالية يحتاج إلى رياضة نفسية مستمرة. لذا علينا بالمواظبة على قراءة هذه الأدعية بإمعان وتدبّر، والسعي للعمل بما توجّهنا إليه، والطلب من الله تعالى أن يوفّقنا في ذلك.

إنّ الإمام المعصوم يطلب من الله تعالى حاجات، ويعلمنا أيضاً - نحن المسلمين - كيف ندعو الله تعالى ونطلبها، ومن هذه الحاجات ما

هي ذنوبية، ومنها ما هي أخروية؛ إذ الدنيا والآخرة عالمان متشابكان كشابك أصابع اليمين، فلا ينال الإنسان الجنة إلا بعمله في هذه الحياة الدنيا.

إن الإمام السجاد سلام الله عليه يسأل الله تعالى أن ينجي من أمور قد حددتها، وأن يبدلها إلى أضدادها أو نقائصها. فالإمام سلام الله عليه لم يطلب من ربه الكريم أن ينجي من البغضة والحسد والظن والعداوة فقط، وإنما يرتجى منه سبحانه أن يبدل تلك الخصال عند أهلها إلى نقائصها وأضدادها بأرفعها وأسمها. يقول الإمام سلام الله عليه: ومن حسد أهل البغي المودّة.

إن من أهم الأمور التي يطلبها الإمام من ربه تغيير حالة حاسده وإبدال حسده إلى مودّة، فالحاسد بطبيعته يتربص الدوائر بمحسوده ويتحين له الفرص للبغى وإلحاق شتى أنواع الأذى به.

وكان يمكن للإمام أن يقول: (ومن حسد الباغين) ولكنه عدل إلى عبارة أهل البغي، لأنّ الباغي قد يصدق حتى على من صدر منه البغي مرّة أو مرّتين، أما أهل البغي فهم الذين ديدنهم الظلم وشيئتهم البغي وعادتهم إيذاء الآخرين. وهذا معناه أنّ الإمام يطلب من الله تعالى أن يعالج له أصعب الحالات السلبية التي قد يبتلى بها الناس عادة.

إنّ الإمام يطلب من الله تعالى أن يبدل هذه الحالة التي تمثّل أدنى درجات السلبية إلى المودّة وهي أعلى درجات الحبّ والتي تعتبر الخصلة المناقضة لحسد أهل البغي.

### إبدال الظنّ والعداوة إلى الثقة والولاية

#### إبدال الظنّ والعداوة إلى الثقة والولاية

يقول الإمام السجاد سلام الله عليه بعد ذلك: ومن ظنّ أهل الصلاح الثقة، والظنّ - بكسر الظاء -: التهمة. وهنا لابدّ من وقفة أيضاً؛ تارةً يتهم الإنسان شخصاً فاسقاً ويظنّ به سوءاً فهذه حالة عادية؛ لأنّ من طبيعة الفساق أن يظنّوا بالناس السوء.

وتارةً يكون المتهمون للإنسان والظانّون به سوءاً هم أناس عاديون أي ليسوا فساقاً ولا على درجة مشهودة من الصلاح والفضل، وهذه الحالة قد تهون أيضاً.

ولكن ماذا لو أنّ التهمة وظنّ السوء صدرت تجاه الإنسان من أناس صالحين؟ لا شك أنّ الأمر يختلف في هذه الحالة. فكيف إذا كان المتهم للإنسان من وصفهم الإمام بأهل الصلاح، أي شيمتهم الصلاح؟ هنا تكون الطامة الكبرى؛ وذلك لأنّ أهل الصلاح لا يتهمون أحداً جزافاً، ولا يتسرّعون في إصدار الأحكام بلا رويّة، بل يحتاطون في أمورهم كثيراً ويحملون أفعال الناس على محامل حسنة ما استطاعوا، لتقديهم بالشرع وأحكامه، وعملهم بما روى من أنّه احمل فعل أخيك على سبعين محملاً. وكما أنّهم لا يتهمون أحداً جزافاً، كذلك فهم لا يثقون بأحد سراعاً، بل إنّهم يرجعون إلى مقاييسهم الشرعية والعرفية، ولهذا لو اتهم أهل الصلاح أحداً ما، حصل الظنّ بأنّ هناك سبباً وراء ذلك.

ثمّ إنّ الإمام سلام الله عليه لا يكتفى بطلبه من الله تعالى أن يدفع عنه تهمة من يُحسب لتهمهم حساب وهم الذين دأبوا على الصلاح حتى عرفوا بأهل الصلاح بل يطلب إبدالها إلى الثقة وحسن الظنّ.

كما نلاحظ أيضاً وجود الفاصلة الكبيرة والبون الشاسع بين الظنّ والثقة، حيث يطلب الإمام من الله تعالى استبدال الظنّ بالثقة.

#### إبدال عداوة الأدينين إلى الولاية

فإذا انتقلنا إلى الجملة الثالثة من هذا المقطع من الدعاء نرى أنّ الإمام سلام الله عليه يعلمنا أيضاً أن ندعو الله تعالى ونطلب منه أحسن

الطلبات وأعلها بعد التخلّص من أسوأ الحالات وأدناها فيقول: ومن عداوة الأذنين الولاية أى أبدلنى من عداوة هؤلاء القوم ولاية ومحبة.

فلفظة الأذنين جمع الأذنى وهو اسم التفضيل من الدناءة والدنوّ؛ ذلك أنّ الشخص قد يكون قريباً ظرفياً فيقال عنه دان، ويجمع على «أذنين»، وقد يكون إنساناً سيئاً أى فيه دناءة وحقارة؛ فيقال عنه دنىء.

ولا ريب أنّ الإمام سلام الله عليه يقصد المعنى الثانى فى قوله: أذنين، لأنّه سيشير إلى ذلك المعنى الذى يكون المعنى فيه ظرفياً فى قوله بعد ذلك: ومن خذلان الأقربين.

والتفضيل - فى اسم التفضيل - يكون فى اللغة بواسطة أحد ثلاثة أنحاء: هى حرف الجر «من» و «الإضافة» و «أل» التعريف، فىكون مقيداً فى الحاليتين الأوليين، ومطلقاً فى الحالة الثالثة. فلو قلنا: (زيد أذنى من عمرو) فهذا لا يعنى بالضرورة أنّه الأذنى مطلقاً، فقد يكون الأرفع بالنسبة لغيره ولكنّه أذنى من عمرو خاصية، وهكذا إذا قلنا: (زيد أذنى ثقيف) فإنّه لا يعنى أيضاً أن يكون الأذنى مطلقاً، وإن توسّعت نسبة دناءته، حتّى بلغت تقاس بقوم، ولكنّه قد لا يكون كذلك بالنسبة لقوم آخرين.

أمّا إذا قلنا: (الأذنى) كما فى عبارة الدعاء فإنّ التفضيل هنا يفيد الإطلاق، أى يكون زيد أذنى من كلّ ما يتصوّر؛ لعدم تقييده بشخص ما أو بقوم أو مكان أو زمان أو غير ذلك.

إذا أتضح هذا نقول: إنّ الإمام سلام الله عليه فى هذه الجملة أيضاً لم يكتفِ بطلبه من الله تعالى أن يخلّصه من العداوة فقط، بل يطلب تبدليها إلى محبة، بل قمة المحبة وهى الولاية - كما سنبيّن لاحقاً - كما أنّ الإمام لم يكتفِ بطلب ذلك الاستبدال على المستويات العادية بل ترقى إلى طلب إبدال أشدّ الحالات سوءاً بأفضل الحالات حسناً.

بيان ذلك: إذا كان الشخص الدنىء يبحث عن المشاكل عادةً ويسبب بطبعه متاعب للآخرين، فإنّ الأذنى يكون أشدّ كلباً، لذا فالإمام سلام الله عليه يعلمنا كيف نطلب من الله تعالى أن يبدل هذه العداوة - التى هى ليست عداوة كلّ أحد ولا عداوة الدانى فقط. ولا حتّى عداوة من هو أذنى بالنسبة لقومه بل عداوة الأذنى مطلقاً - إلى محبة بل إلى ولاية.

### معنى الولاية فى الدعاء

إنّ الولاية غير الصداقة والصداقة غير الصحبة، فتارةً يكون الشخص صاحباً لك أو رفيقاً وزميلاً، وتارةً يكون صديقاً، والصداقة أعلى درجة من الصحبة، لأنّ الصديق من صدقك، ولا يشترط فى صاحب والرفيق ذلك؛ عن سعيد بن الحسن قال: قال أبو جعفر عليه السلام: أيجىء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده فى كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟ فقلت: ما أعرف ذلك فينا. فقال أبو جعفر عليه السلام: فلا شىء إذاً. قلت: فالهلاك إذاً. فقال: إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد.

وأعلى من الصداقة المودة، وأعلى منها الولاية - بفتح الواو - لأنّ الولاية ليست صرف المحبة حسب، بل المحبة المقرونة بالصداقة والمودة، وإظهارها مع الانصياع التام لمن تتولاه.

أمّا الولاية - بالكسر - فهى الحكومة، على أى مستوى كان، فإذا قبلت ولاية أحد عليك فهذا معناه أنّك قبلت أن يكون رئيساً أو قائداً لك؛ ومن ذلك قوله تعالى: وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...؟

الخلاصة: إنّ الإمام فى هذا المقطع من الدعاء يطلب من الله تعالى أن يبدل عداوة الأذنين - وهى أشدّ العداوة - إلى الولاية وهى أعلى المحبة.

### ضرورة التدبّر فى كلمات الدعاء

ثمّة نقطة ينبغى الالتفات إليها، وهى أنّ هذه الأدعية المرويّة عن الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم ليست دعوة منهم لترك الأمور

على الله تعالى يعالجها بطريقة إعجازية دون أن يحرك الداعى نفسه باتجاه معالجتها؛ بل الأمر على العكس من ذلك، فإن هذه الأدعية تنهض بدور بيان السلبيات الموجودة فى المجتمع لكى يعيها المتديّنون ويسعوا لتلافيها.

أذكر مسألة تنفعنا فى إيضاح المطلوب، وهى: أن هناك بحثاً ونقاشاً بين العلماء فى قضية الأوامر غير الاختيارية التى يكلف الله بها عباده وكيفيته توجيهها. ومثال تلك الأوامر قول الله تعالى فى كتابه المجيد خطاباً لنبىه الكريم صلى الله عليه وآله: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا- الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبَى،** فإن منطوق هذه الآية يبين أن الله تعالى يأمر المسلمين بمودة آل البيت النبوى الطاهر، والسؤال هو: إذا كانت المودة تعنى المحبة مع إظهارها، وإذا كان الإظهار أمراً اختيارياً، فإن المحبة نفسها ليست فعلاً اختيارياً بل هى مناط قلبى، لأنك إذا كنت لا تحب أحداً فلا معنى لأن تؤمر بحبه إذاً فما هو معنى ووجه هذا الأمر مع أن التكاليف لا تتعلق بالأمر غير الاختيارية؟

يجيب العلماء على هذا السؤال بقولهم: إذا كان المسبب غير اختيارى وكان السبب اختيارياً، فإن الأمر بالمسبب يعنى الأمر بالسبب، والمودة - فى المقام - كذلك فإنها وإن كانت أمراً غير اختيارى لأن الإنسان إذا رأى خيراً من أحد تعلق به قلبه دون اختياره، كما هو الحال فى البغض أيضاً فإن الإنسان إذا رأى شراً من أحد أبغضه، إلا أن أسباب الحب والبغض اختيارية يمكن أن يتوفر عليها الإنسان. فيكون معنى الأمر الإلهى بحب أهل البيت سلام الله عليهم هو العمل بما من شأنه أن يؤدى بالإنسان إلى حبهم، كقراءة فضائلهم والاطلاع على سيرتهم العطرة؛ لأن الإنسان إذا عرف أهل البيت سلام الله عليهم فإنه لا يمكنه أن لا يحبهم إلا أن يكون سقيم الفطرة فينكر ذلك رغم وقوفه على عظمتهم، كما قال الله تعالى واصفاً منكرى آياته: **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ؟ فَأَنَّهُمْ مَتِينُونَ** من صحتها فى قلوبهم وهذا أمر غير اختيارى، ولكنهم لا يظهرون ذلك جحوداً.

ويمكن أن نضرب مثلاً آخر وهو الهلال فى شهر رمضان المبارك، فإن المكلف مأمور بأن يصوم لرؤيته ويفطر لرؤيته؛ لذلك إما أن يستهل بنفسه أو يسأل مرجع تقليده مثلاً- حتى يحصل له اليقين أو الظن بأن الهلال قد هلّ فيعمل بوظيفته؛ فاليقين أو الظن الحاصل ليس أمراً اختيارياً ولكن الأسباب التى أدت إليه اختيارية؛ ولذلك يتوجه إليها الأمر.

بيد أن نفس أمر القرآن الكريم، يكفى سبباً لحصول المحبة بذى قبرى النبى صلى الله عليه وآله.

قضية الدعاء والطلب من الله تعالى تشبه المثاليين اللذين تقدما - أى الأمر بالحب فى المثال الأول، والظن أو اليقين فى المثال الثانى - فكما أن الأمر بهما يعنى الأمر بتهيئة مقدماتهما، فكذلك عندما يعلمنا المعصومون أن نطلب أموراً من الله تعالى فإن فى ذلك دعوة لنا لكى نعمل فى ذلك الاتجاه، وإلا لا معنى لأن نطلب من الله شيئاً وأنت تعمل على خلافه لأنك بذلك تحول دون تحقيقه، وليس معنى الدعاء أن يحقق الله المطالب كلها بطريقة إعجازية.

فعندما يدعو الإنسان ربه لأن يحبّه عداوة الأذنين، فعليه أيضاً أن يتجنب ما من شأنه أن يثير تلك العداوة. ففى المجتمع عادة يوجد أناس دنيئون ديدنهم إيذاء الآخرين، فعلى العاقل أن لا يجعل نفسه عرضة لإيذائهم، وأن لا يعمل ما من شأنه أن يثير عداوتهم. إذاً مفهوم الدعاء فى قول الإمام سلام الله عليه: **وأبدلنى ... من عداوة الأذنين الولاية يظهر إضافة إلى عنصر الطلب من الله تعالى وجوب أن يضم إليه العمل على تجنب الخصال السيئة من قبل الداعى نفسه.**

وهكذا الأمر بالنسبة لقوله سلام الله عليه: **ومن ظنّه أهل الصلاح الثقة، فإن الأحاديث الشريفة وتعاليم النبى صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من آلهم سلام الله عليهم تدعو الإنسان المسلم وتحته للعمل على اتقاء مواضع التهم عامّة، فكيف بظنّه أهل الصلاح.** فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مع إحدى نساءه، فمرّ به رجل فدعاه صلى الله عليه وآله، فجاء، فقال: يا فلان، هذه زوجتى فلانة. فقال: يارسول الله من كنت أظنّ به فلم أكن أظنّ بك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنّ الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم.**

ربما لم يكن هذا الشخص متهماً للنبى صلى الله عليه وآله، وربما كان من المنافقين الذين يترّبصون بالنبى، فقطع صلى الله عليه وآله الطريق عليه بذلك؛ ليعلمه ويعلمنا كيف نتقى مواضع التهم.

إذاً لا- يكفى أن يقول المرء: «اللهم جنبني مواضع التهم» أو «أبدلني من ظنّته أهل الصلاح»، وهو لا يتقى مواضع التهم، وإنما عليه أن يسعى بعمله لتجنب توجه التهمة إليه من أوسط الناس فضلاً عن تهمة أهل الصلاح، الذين لا يتهمون أحداً جزافاً، وإذا فعلوا فإنّ تهمتهم لا يقدر على إزالتها أو مسحها إلا الله، بمعنى أن يحاول الإنسان ما أمكنه تجنب كل ما من شأنه أن يسبب تهمة أهل الصلاح له، وإذا ما صدر منه ما يجعل أهل الصلاح يظنون به أو يتهمونه يسرع بالطلب من الله تعالى أن يبدل ذلك الظنّ إلى ثقة، بحوله وقوته.

### ما أعظم الذين وثقهم المعصومون صلوات الله عليهم

لابد أن يكون للصلاح أهل يحملونه ويعملون به، ولا بد أن يكون لأهل الصلاح رأس وذروة وسنام يستضيئون به ويستريدون، ولا أجدر من أئمة أهل البيت النبوي المعصومين سلام الله عليهم، فهم خيرة أهل الصلاح وأئمتهم وقادتهم وعظماؤهم، فلو أطلقت هذه الكلمة (أهل الصلاح) فالمصداق الحقيقي لها والأولى بها هم سلام الله عليهم.

كما أن هناك جملة ممن حاز على ثقته صلوات الله عليهم سواء كانوا على مستوى أفراد أو جماعات. فمن الذين حازوا هذا الشرف، عائلة كبيرة من الأشعريين عاصروا الأئمة منذ الإمام السجاد أو الباقر سلام الله عليهما حتى صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف، والعشرات منهم كانوا من أصحاب الأئمة والعديد منهم جيّدون بل جيّدون جداً، منهم زكريا بن آدم المدفون في المقبرة القريبة من مرقد السيدة فاطمة المعصومة ومن عبر عنه الإمام المعصوم عليه السلام بقوله: المأمون على الدين والدنيا.

فما أعظم مقام هذا الشخص! ففرق بين أن يقول هذه الكلمة شخص عادي بحق آخر وبين أن تصدر من إمام معصوم يعرف خفايا الأمور وظواهرها، ونحن نعتقد استناداً إلى الروايات سواء بالأدلة المطابقة أو التضمنية أو الالتزامية أن الإمام المعصوم هو نفس النبي صلى الله عليه وآله باستثناء النبوة؛ قال تعالى: «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»؟

صحيح أن درجاتهم تختلف ولكنهم نور واحد ومن طينه واحدة، لا يتخلف عن ذلك أي منهم. فحينما ينعت الإمام صلوات الله عليه زكريا بن إبراهيم بأنه مأمون على الدين والدنيا أو يصف «العمرى» وابنه بأنهما ثقتان فإنه يريد التصريح بنزاهتهم ووثاقتهم، وهذه مرتبة عظيمة.

ينقل أن الشيخ البهائي رحمه الله سئل: أيهما أفضل؛ زكريا بن آدم أم الشيخ الصدوق؟ فأجاب الشيخ البهائي: زكريا بن آدم. هذا رغم قلة ما وصلنا منه عن الأئمة وكثرة ما وصلنا من الشيخ الصدوق من كتب ملأت أدرج المكتبات وبيوت الشيعة، وقد لا أبالغ إن قلت بأنه لا توجد عبادة تؤذيها ولا كثير من الأحكام والإرشادات والأدعية والزيارات والأخلاق والآداب إلا وقد وصلنا جزء منها عن طريق الشيخ الصدوق؛ فكم هو جليل إذاً.

لكن الشيخ البهائي مع ذلك قال: إن زكريا أعظم من الشيخ الصدوق، وبّره بأن الإمام المعصوم قال عنه بأنه: المأمون على الدين والدنيا ولم يرد مثل ذلك بحق الشيخ الصدوق.

يقال: فرأى الشيخ البهائي في منامه الشيخ الصدوق وهو يعاتبه قائلاً: لو قال الذي قلته غيرك لعذر، أما أنت العالم فكيف تقول ذلك؟ فقال الشيخ البهائي: ما قلت الذي قلت إلا لقول المعصوم في زكريا. فقال: ولكني لم أكن معاصراً للمعصوم لتستظهر تزكيتي لي، فالمقارنة غير صحيحة. فتوقف الشيخ البهائي بعد ذلك عن هذه المفاضلة.

ولكن شاهدنا أن تزكية المعصوم لشخص يوجب الاطمئنان الكامل به وبعظمته منزلته.

وعلى أي حال، فإنّ بإمكان الإنسان أن يكسب ثقة أهل البيت سلام الله عليهم حتى في هذا الزمن، فهذا ليس بالمستحيل ولا بالصعب جداً، ولعله في هذا الزمان أسهل من زمن زكريا بن آدم، لا أقول إنه ليس صعباً أبداً، ولكني أريد القول إنه ممكن تحقيقه ولكنه يتطلب الجهد والإرادة.

قد يستطيع الإنسان أن يحوز على ثقة الناس العاديين ولكن حصوله على ثقة الإمام المعصوم ليس بتلك السهولة؛ لأن الإمام يعرف خفايا الإنسان وما يظهره.

### المعصومون يشهدوننا

يحكى أن أحد الأشخاص كان ذا التزام ديني ظاهرى ذهب لزيارة الإمام الرضا سلام الله عليه لطلب الحوائج منه. وكانت حوائجه كثيرة إلا أن أياً منها لم يتحقق. يقول الشخص نفسه: ولكنى قبيل خروجي من الروضة المباركة طلبت من الإمام سلام الله عليه أن يبين لى منزلتى عنده، وإذا بشخص ينادينى باسمى الحقيقى الذى كنت أخفيه عن سائر الناس ولا يعرفه إلا الخواص جداً، فاستغربت من ذلك، ثم إنه أنبأنى بأن منزلتى ومقامى كذا وكذا ويبدو أنه كان مقاماً بائساً.

ويقال إن شخصاً كان فى زيارة للإمام الرضا سلام الله عليه فبدر إلى ذهنه هذا السؤال: إذا كان رد السلام واجباً فهل الإمام يردّ جواب كلّ زائر يسلم عليه منفرداً أم يجب بجواب واحد للجميع كأن يقول: عليكم السلام جميعاً؟ فظهر له الإمام فى عالم المكاشفة وهو يردّ سلام كلّ مسلم باستقلال، ومنهم الشخص الذى بدر إلى ذهنه هذا التساؤل. وهذا معناه أن الأئمة يشهدوننا ويعرفون عن كلّ منا كلّ شىء، فقد روى عنهم سلام الله عليهم قولهم: نحن صنائع الله.

وإن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم لا يثقون بأحد هكذا اعتباطاً، كما لا يتهمون أحداً جزافاً لأئمة لأئمة أهل الصلاح بل قادة أهل الصلاح.

### بمقدور كل مؤمن أن يحوز ثقة المعصوم

إذاً بمقدور كل مؤمن أن يحوز على ثقة أهل البيت سلام الله عليهم، شرط أن لا يقصّر. فمن عرف عظمتهم وقدم ما فى وسعه فى سبيلهم، وهو سبيل الله تعالى، كسب ثقتهم حتى يصل إلى مرتبة أمثال زكريا بن آدم وغيره؛ لأن الله تعالى لم يحصر مقاماً ما غير مقام العصمة لأحد دون آخر.

فلنسع لكسب ثقة الإمام المعصوم، ولتتنافس فى ذلك خاصية فى الأشهر الحرم؛ لأن كل عمل حسن فيها فهو أفضل منه فى غيرها، وكل عمل قبيح فى غيرها فهو أكثر قبحاً.

### إبدال العقوق والخذلان، وتطوير المداراة

### إبدال العقوق والخذلان، وتطوير المداراة

العقوق - لغة - من العق وهو الشق والقطع والحفرة الواسعة فى الأرض، وأطلق «عاق الوالدين» على الولد الذى يؤذى والديه بشق عصا طاعتها أو لا يصلهما، فينشقان عنه بسبب سوء موقفه تجاههما. فالعقوق يستعمل فى الوالدين، كما تستعمل القطيعة فى الأرحام غالباً؛ لكن هنا أطلق العقوق تجاه الأرحام: ومن عقوق ذوى الأرحام.

إنّ الحالة الغالبة بين الأرحام هى أن يعق بعضهم بعضاً، بسبب المشاكل والتوقعات أو اختلاف الأذواق أو تضارب المصالح الشخصية، فتحصل بينهم هوة وهذه الهوة قد تزداد بمرور الزمن، وهذا فى الأرحام شىء غير نادر، اللهم إلا أن يسارع ذوى الأرحام فى معالجة ذلك والسعى فى إصلاح ذات البين.

والعلاج فى العقوق - كما هو فى جميع البلايا - له ركنان، الأول: الدعاء، والثانى: السعى. فعلى الإنسان - كما قلنا مراراً - أن يسعى ويدعو، لا أن يدعو دون سعى، أو يسعى دون دعاء.

إنَّ الإمام السَّجَّاد سلام الله عليه يسأل من الله تعالى - ونحن ينبغي أن نقتدى به لأنه إمامنا المفترض الطاعة - أن يبذل عقوق ذوى أرحامه بالمبرّة، أى: ياربّ لا- تجعلنى ممّن يعملون ما من شأنه حصول القطيعة. ومعلوم أنّ المبرّة تعنى الصلّة وهى الطرف الضدّ للعقوق تماماً.

ولن يتسنى ذلك بسهولة ما لم يسع الفرد إلى دفع أو رفع وإزالة المشاكل التى توجب العقوق والشقاق. فلا ينبغي أن نقع فى الغفلة أو التغافل عن أولى أرحامنا بداعى سوء الظنّ أو النظر فى المصالح المادية البحتة، أو تتقطع سبل التواصل معهم بسبب الخجل أو ما أشبه.

وعمدة القول فى معنى هذا الطلب هو أن يتوسّل المرء برّبّه ليعافيه عن الابتلاء بعقوق ذوى الأرحام، لما فيه من التفكك الأسمى والاجتماعى، فضلاً عن سخط الله تعالى.

### نصرة الأقرين

ثم يدعو الإمام بالنصّ التالى: ومن خذلان الأقرين النصرة. ومعلوم أنّ الأقرين أعم اصطلاحاً من أولى الرحم، ولذلك يطلق على من يعيش الإنسان معهم بصورة أشمل وأوسع، كالجيران وطلبة المدرسه، وزملاء العمل، فأفراد هذه الأصناف قد يعيش بعضهم مع بعض ويقترّب بعضهم من بعض حتّى تصل درجات التأثير المتبادل فيما بينهم حدّاً كبيراً.

وقد يكون هؤلاء الأقربون أولى رحم أى نسيين أو غرباء لا رابطة بينهم، أو أنّهم قرابة من حيث السبب.

والخذلان عادة يصدر من هؤلاء الأقرين تجاه بعضهم، كأن لا يتساعدون لحلّ مشكلة ما قد أصابت أحدهم، نظراً إلى أنّ ديدن الناس غالباً الاجتماع حول ذى الثروة أو النفوذ، ويكونون منفضّين عن الفقير باستثناء بعض من هو مثله أو أدون منه. والإمام سلام الله عليه يحزّنا بدعائه هذا على أن نطلب من ربنا الكريم أن يبدل خذلان الأقرين بمحبّتهم لنا ليتحقّق عنصر تبادل المنفعة بيننا.

إذاً، فهنا قضيتان مهمتان: قضية الدعاء، وقضية السعى نحو تفعيل مضمونه؛ بمعنى أنّ الفرد كما يحبّ أن ينصره الأقربون عند حاجته إليهم، كذلك عليه أن يضع فى حسبانته تقديم النصرة لهم عند الضرورة وغيرها، لدفع أكبر نسبة ممكنة من احتمالات الخذلان عند الحاجة، فهو إذا خذل قريبه حين يحتاجه، فليتوقّع خذلان قريبه له كذلك.

### مدارة الناس

يقول الإمام سلام الله عليه: ومن حبّ المدارين تصحيح المقّة. أى المحبّة.

لقد حتّ الإسلام على مبدأ المداراة بين الناس وجعل للمدارين جزءاً موفوراً. حتى جاء فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من مات مدارياً، مات شهيداً. والمتواتر عن السيرة النبوية الشريفة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله - وهو سيّد الأخلاق الحميدة، الذى وصفه الله تعالى فى كتابه بقوله: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** - كان يعامل الناس معاملة هى الغاية فى الحكمة والطيبة حتّى ليظنّ كلّ منهم أنّه أحبّ الناس إلى النبى فكان بذلك المصداق الأكمل للمداراة.

فإن كان المرء لا يحبّ أحداً، فلا يلزمه أن يظهر هذا الإحساس له أو يبيديه فى وجهه، وهذا من الأمور المستحبّة، حتّى ورد فى النبوى الشريف أنّ نصف العقل مداراة الرجال. فيعاملهم معاملة يتصوّرون أنّه يحبّهم، وهذا ليس من النفاق فى شىء، بل هو من مقتضيات العقل وأصول الأخلاق الرفيعة؛ إذ لا شكّ فى وجود الاختلاف والتفاوت فى الأذواق والأساليب والتوجهات بين الناس، ولكن ليس من الضرورى أن يظهر المرء كلّ ما فى قلبه للآخرين، بل من الضرورى أن يبدي احترامه لأذواقهم وأساليبهم وتوجهاتهم وآرائهم، كما يمكنه أن يعكس وجهه نظره ورأيه أو طبيعته ذوقه وما يرتثيه من أسلوب بالصورة المناسبة والحكيمة، لكى لا يقع الشقاق والفرقة. وهذا النصّ من الدعاء الشريف يشير إلى أهميّة طلب المرء من ربّه أن يساعده فى تحويل المودّة الظاهرية التى نعبر عنها بالمداراة من

قبل الناس له إلى حبّ باطنى حقيقى يضاعف الترابط الاجتماعى ويكرس العلاقة الطيبة بينه وبين باقى أفراد المجتمع. وبذلك يفهم من سياق النصّ وكأنّ الإمام سلام الله عليه يقول: إلهى، اجعل من الحبّ الظاهرى الذى يبدو بسبب مداراة الناس لى، حباً واقعياً فى قلوبهم.

### الاستفادة من بلاغة المعصومين عليهم السلام

وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية وضرورة الاستفادة من بلاغة الأئمة عليهم الصلاة والسلام، لتتعلّم من أساليبهم الحكيمه ما يعود علينا بالفائدة والنجاح فى التواصل مع الآخرين. فمن البلاغة مثلاً عدم التكرار فى الكلام، أى أنّ المعنى الواحد إذا كان بحاجة إلى التكرير والتكرار، فمن الأجدر أن لا يُكرّر اللفظ نفسه، بل يُذكر فى قوالب لفظية مختلفة، لكى يكسبه جمالاً على جمالٍ، ويجعله أكثر وقعاً فى نفس المخاطب. وهذا الجمال يشمل فيما يشمل جمال الألفاظ وحسن التعبير وبلاغة البيان، كما يعلم سلام الله عليه أنّ العبد ملزم بمعرفة موقعه وحقيقته كمخلوق تجاه خالقه. ورغم أنّ الله غنى عن ألفاظه، إلّا أنّ الإنسان ينبغي أن ينتخب الأجل والأروع والأبلغ فى الكلام. ولذلك؛ فإنّ الإمام سلام الله عليه لم يكرّر عبارته تلك ولم يقل: «من حبّ المدارين تصحيح المحبّة»، بل استخدم لفظه (المقّة) لتكريس جمال الأسلوب فى مناجاته مع الله تعالى.

### لنتعلّم من القرآن ومن أهل البيت

ونحن من جانبنا ينبغي أن نتعلّم من القرآن الكريم ومن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام جمال التعبير، لأنّ اللفظ بمثابة الإناء، والمعنى محتواه. فإذا كان الإناء جميلاً ومحتواه أيضاً، كان ذلك مدعاهً إلى القبول والإقبال، أمّا إذا كان الإناء غير جميل، فلن تكون ثمة ضمانه فى تقبيل المحتويات وإن كانت على شىء من الجمال فى نفسها. وعلى ذلك؛ فإنّ للتعبير الجميل مدخلية فى استساغة المعنى، حتّى فى حال المناجاة مع الربّ العظيم تبارك وتعالى، لأنّه جميل يحبّ الجمال.

### طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمين

### طلب فنّ المعاشرة، والأمن من الظالمين

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: ومن ردّ الملابس كرم العشرة. فى هذه العبارة يعيد الإمام الكثرة نفسها فى استخدام الأسلوب الأمثل من ذكر الكلمات الأبلغ فى التعبير. فالملابسون هم المعاشرون أنفسهم، ولكنّ الإمام لم يقل: (ومن ردّ المعاشرين كرم العشرة) أو (من ردّ الملابس كرم الملابس) مع أنّ الملابس هى المعاشرة أو كناية عنها. وذلك لإمكان أن تصل المعاشرة بين الناس حتّى يكون مستوى القرب فيما بينهم كقرب الإنسان من لباسه. وبسبب هذا التقارب والاقتراب تنكشف النواقص والمساوى فى الأخلاق والفعال، ولذلك تكثر المخاوف من حصول الخلاف فيما بينهم، وذلك لأنّ ديدن الملابس الخلاف.

من هنا، يجدر بالإنسان أن يطلب من ربّه الكريم أن يحول بينه وبين وصول الخلافات وردود الأفعال التى تسيء إلى عشرته مع الملابس له، ويحرص على أن تكون العلاقة بينه وبين القربين منه والملابس من علاقة طيبة وكريمة لا علاقة تتبع العثرات لإبدائها فى النقد الهدام أو الاغتيال والانتقاص أو الحسد، فالعشرة لها كرامه، أو هكذا ينبغي أن تكون؛ وكأنّ الإمام سلام الله عليه يريد أن يقول: فامنحهم ياربّ هذا الكرم، لئلا يردّوا على ما يزعمون أنّها من نواقصى.



وهنا - كما سبق في نظائره - يلزم أن يعمل الإنسان أمرين:

الأول: أن يبادر هو قبل أي كان إلى أن يكون فرداً كريماً في معاشرته للآخرين، فلا يردّ عليهم باللؤم وسوء الأدب، وإنما يعاملهم بالحسنى ما استطاع.

الثاني: أن يطلب من ربّه التكرّم عليه بأن يساعده على تحويل ردّ الملايسين - المعاشرين - له، ويبدل صدودهم بعشرة كريمة؛ ملؤها السماحة والإنصاف والعقلانية.

### الأمن من الظالمين

ثم يطلب الإمام الأمن والاستقرار مناجياً ربّه تبارك وتعالى فيقول: ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمانة. ومعلوم أنّ للخوف مرارة أشدّ وقعاً من مرارة الآلام البدنية التي تُخلّ بنوم المريض، فيهجّر لها نومه وتسلبه راحته، ولكنها رغم ذلك تبقى آلاماً بدنية فقط بينما الخوف ذو مرارة وآلام تمسّ الروح والبدن معاً. جاء في الحديث الشريف: نعمتان مجهولتان: الصحة والأمان ممّا يعني لزوم أن يستشعر الفرد نعمة الأمن وهو ينعم في ظلّه ويطلب من ربّه أن لا يبتليه بظلم الظالمين، فيضطرّه إلى مكابدة مرارة الخوف منهم.

قد يكون الشعور بالخوف حالة إيجابية وبتّاءة إذا تعلّق بوقوع العقاب من طرف العادل، وذلك لأنّ الإنسان المحكوم إذا قدر له العيش تحت مظلمة حاكم أو رئيس عادل، فإنّه سيحدّث نفسه أنّ من الخطأ الخوف، لأنّ العقوبة التي يمارسها الحاكم العادل إطارها التشريع وغايتها الإصلاح، وإلاّ فإنّ الحاكم العادل رجل مأمون الجانب لا يتبغى لنفسه نفعاً جزاء حكمه؛ بينما الحاكم الظالم أو ربّ العمل الظالم أو المعلم الظالم أو البائع الظالم أو غيرهم يختلف حاله عن ذلك بكثير، إذ لا يُعلم سبب ظلمه أو مقداره أو زمنه مادام يصبّ في نفع الظالم نفسه. لذلك يطلب المرء من ربّه أن لا يبتليه بهذا البلاء وأن يجعله بمأمن من جميع الظالمين.

### قصة فيها عبرة

ممّا ينقل في هذا المجال أنّه في إحدى البلدان عزم رئيسها على إرسال قاضٍ إلى إحدى المناطق، إلاّ أنّ حاكم تلك المنطقة سرعان ما قام بقتله، وحتّى يتبين للرئيس السبب في ذلك، قام بإرسال قاضٍ آخر، ولكنّ الحاكم أحقّه بالقاضي الذي سبقه. وهذا الأمر أدى ببعض القضاة إلى الامتناع عن التوجّه إلى ممارسة القضاء في تلك المنطقة. غير أنّ أحدهم، بعد فترة تبرّع بقبول المنصب لقاء أجرٍ باهض جدّاً، مدّعياً أنّه سيعمل في سبيل الكشف عن أسباب مقتل القاضيين اللذين سبقاه، ومن ثمّ يُعلم رئيسه ليقتضى على الحاكم وفي الوقت نفسه يكسب ثقة الرئيس بعلمه وعمله لكي يضمن لنفسه بعد ذلك منصباً أرفع وأجراً أعلى. وحين توجّه إلى تلك المنطقة أخذ القاضي بمسامرة ومجالسة حاكمها في محاولة منه ليعرف أسباب قتله القاضيين السابقين، ولما اطمأنّ له الحاكم بعدما أخذ بمجامع عقله وقلبه، قال له: إنّهُ لم يقتل القاضي الأوّل إلاّ بعد أن رأى في منامه ذات مرّة أنّه عدوّ لدود له، وحينما استيقظ مرعوباً، أمر بقتله فوراً. أمّا القاضي الثاني فرأى فيه رؤيا وكأنّه حلّ مكانه حاكماً، ففزع، ولذا ألحقه بصاحبه.

فلما سمع القاضي الثالث هذا الكلام لم يجد بداً حينها إلاّ الهروب والعودة إلى رئيسه، فأخبره مؤكّداً له بأنّه ربما يتمكّن من ضبط كلّ شيء من ذلك الحاكم، سوى رؤياه، فإنه لا يقدر أن يتحكّم فيها وقد يرى رؤيا لهذا الثالث ويلحقه بسلفيه.

إذاً ليس كلّ خوف له مرارة. أمّا الخوف من الظالم فإنّ له مرارة شديدة، لأنّه لا يُعلم ماذا سيصدر عنه، ولأى سبب سيعاقب، وكيف ومتى سيعاقب ويعتدى. ولا يكفي أن يحتاط المرء في تجنّب ما نهى عنه، ما لم يسأل الله عزّ وجلّ أن يحرسه بعينه التي لا تنام، ويرعاه في الشدّة والرخاء.

فالإمام بعد أن يطلب من ربّه أن يبدله عن عقوق أرحامه بمبرّتهم، وعن ردّ الملايسين بكرم العشرة، وعن بغضة أهل الشنآن بالمحبّة،

طلب من الله تعالى أن يبدل مرارة خوفه من الظالم إلى شعور بالأمان، أى عدم العيش تحت ظل الظالم. انظروا إلى دقّة التعابير فى دعاء الإمام سلام الله عليه: فإنّ ظاهر عبارة الإمام تدعو إلى تغيير حالة أولئك يعنى الأرحام والملايسين وأهل الشتان و... سوى الظالم، فإمّا أن لا يرانى ويسوؤنى، أو اجعلنى اللهم فى مكان وزمان بعيدين عن الظالم، لأنّ وجود الظالم يعنى وجود الخوف من ظلمه.

### الدعاء دعوة للتغيير وتحصيل ملكة العدالة

ومقطع الدعاء هذا يتضمّن بين طياته أن على الإنسان أن يهجر الظلم ويمتنع عنه تجاه نفسه أولاً، وتجاه الآخرين ثانياً، فينبغى أن يعى مدى لزوم تحصيل ملكة العدالة فى نفسه، وهو واجبٌ عقلى أيضاً.

فإذا أراد الفرد عدم ارتكاب المعصية، فاللازم أن يخالف هواه، ومن أولويات ذلك أن يخلق وينمى ملكة العدالة فى نفسه. ولعلّ من أحسن الفرص أمام الإنسان لتنمية هذه الملكة، وتقويتها هى الأشهر الحرم ذات الفضيلة على باقى الشهور، فكما يمكن للراغب أن يستثمر هذه الأشهر فى مضاعفة ثواب الصلاة والصيام والصدقة، كذلك يمكنه أن يستثمرها فى الارتقاء بمستوى أخلاقه الحميدة وحسن سلوكه الذى يجزّ صاحبه جزاً إلى الجنّة، وفى الحديث: ما وضع فى ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق... لا شكّ أن حسن الخلق الذى هو أحد أركان ملكة العدالة كما يلزم أن يكون داخل نطاق الأسرة كذلك يلزم فى خارجها، ولا شكّ أن استدامته ليس بالأمر السهل، تبعاً لوجود الموانع الصعبة والشديدة التى منها وساوس الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء التى ترهق الإنسان. ويتيسّر ذلك بالعزم والإستعانة بالعلی القدير.

إنّ من لم يطرد الشيطان، ولم يبذل قصارى جهده فى ذلك وعجز عن كبح جماح نفسه الأمارة بالسوء فإنه يخسر ديناه وآخرته، فكثيرٌ من هؤلاء الطغاة والظلمة الذين حكموا تعسّفاً ماتوا من فرط شهوات أنفسهم الأمارة بالسوء، فترون القليل منهم قد عمّر، فلم تدع لهم شهواتهم وتكالبهم على الدنيا مجالاً للعمر فى الدنيا طويلاً، وقد ورد فى الروايات أنّ الذى يأكل أكثر من حاجته، يُصاب بكذا وكذا، فعن النبى صلى الله عليه وآله: إياكم والبطنه، فإنّها مفسدة للبدن، ومورثة للسقم، ومكسلة عن العبادة.

إنّ الأنبياء والرسل عليهم السلام، وعلى مقدّماتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانوا أعرف الناس بالدعاء والتضرّع إلى الله تقدّست أسماؤه، وكانوا أكثر الناس سعياً لتكريس معانى الدعاء، فكانوا يتحمّلون المشاقّ والجوع والأذى والقتل من أعدائهم بل حتى من أقاربهم وأصدقائهم ومن بعض أتباعهم! وكم سعى رسول الله صلى الله عليه وآله وجاهد وعانى ودعا إلى جانب ذلك، لكى يرسم للإنسانية النموذج الربانى الأمثل.

فمن اللازم على المؤمن أن يجعل من الدعاء عاملاً مهماً فى شحذ همّته وإقدامه على ما ينبغى له أن يقوم به من الطاعات، وما ينتهى عنه من المحرّمات، إذ الدعاء عامل دفع إلى عمل الخير من جانب، وعامل كبح للشهوات من جانب آخر.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

وَاجْعَلْ لِي يَدًا عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي،

وَلِسَانًا عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفْرًا بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْرًا عَلَى مَنْ كَايَدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَى مَنْ اضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيبًا لِمَنْ قَصَبَنِي، وَسَلَامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، وَوَقْفَنِي لَطَاعَةَ مَنْ سَدَّدَنِي وَمُتَابِعَهُ مَنْ أَرْشَدَنِي.

?دفع الظلم والمخاصمة

?الظفر بالمعاندين والمكر على الكائدين

?القدرة على المضطهدين

?تكذيب القاصيين

?السلامة من المتوعددين

?طاعة المسدد ومتابعة المرشد

## دفع الظلم والمخاصمة

يقول الإمام السجّاد سلام الله عليه: اللهم صل على مُحَمَّدٍ وآلِهِ واجْعَلْ لِي يَدًا عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَلِسَانًا عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي.

مقدمه يحسن بيان الفرق بين الظلم والمخاصمة، ونذكر في المقام أمرين:

الأول: إن الظلم عادةً يكون من طرف واحد، أمّا المخاصمة فغالباً ما تكون من طرفين، ويجوز أن يخاصم الإنسان غيره من دون أن يعاديه.

الثاني: إذا كان الظلم صادراً من الطرفين لم يكن إذاً من موارد الدعاء، إذ لا معنى لأن يطلب أحد الظالمين من الله تعالى أن يهبه القدرة على الظالم الآخر؛ لأن الله تعالى لا يحب الظالمين.

وهذا المعنى غير متصور بالنسبة للإمام المعصوم الذي لا يرتكب ذنباً فكيف بالظلم وهو ذنب عظيم، فضلاً عن أن يطلب من الله تعالى مثل هذا الطلب، وهو يعلم أن الله تعالى لا ينصر ظالماً على ظالم بوسيلة الدعاء، بل إن كلا الظالمين في النار، كما ورد: القاتل والمقتول في النار وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله...: قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: لأنه أراد قتلاً. بعد هذه المقدمة نقول: إن الإمام سلام الله عليه طلب من الله تعالى أن يمنحه القوة لدفع الظلم عنه - وهو ما يصدر عادةً من طرف واحد وهو الظالم - وكنتى عن القوة هنا باليد، وحيث إن المخاصمة تكون بين طرفين يحاول كل منهما إفحام الآخر، فإن الإمام يطلب من الله تعالى في هذه الحالة أن يمنحه القوة التي تجعله متفوقاً على خصمه وهي قوة الرد التي عبر عنها باللسان.

## الظفر بالمعاندين والمكر بالكائدين

### الظفر بالمعاندين والمكر بالكائدين

ينبغي الالتفات بدءاً إلى نقطة مهمّة هي: أنه ليس كل إنسان منحرف عن الحقّ يكون معانداً؛ إنّما المعاند هو الذى عرف الحقّ فزاع عنه مصرّاً. قال تعالى: ? وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا? الأمر الذى استوجب خلودهم فى النار، كما نقرأ فى دعاء أمير المؤمنين سلام الله عليه الذى رواه كميل رحمه الله: وأن تخلد فيها المعاندين.

إن كثيراً من المنحرفين عن منهج أهل البيت سلام الله عليهم قد غرر بهم وغسلت أدمغتهم الدعايات المضلّلة والكاذبة لوعياظ السلاطين ومن حذا حذوهم فمنعت أبصارهم من رؤية الحقّ، لذلك نسمع عن كثيرين منهم ما إن أطلعوا على الحقيقة حتى سارعوا إلى الأخذ بالهدى. وما أكثر القصص فى هذا المجال والتي تنتهى بالمستبصر بترديد قول الله تعالى: ? اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ? وما أكثر الذين بلغوا من بين هؤلاء المستبصرين مراحل عالية فى الإيمان والقرب من الله تعالى، حتى تفوقوا على كثير من غيرهم، وأفضل مثال على ذلك بعض شهداء كربلاء الذين يقف الملايين أمام قبورهم إجلالاً وإكراماً يفادونهم قائلين: «أبى أنتم وأمتى»، وما ذاك إلا لأنهم لم يكونوا معاندين، وما إن انكشفت لهم الحقيقة حتى مالوا إليها وساروا معها حتى الشهادة، فاستحقوا بها الفوز العظيم الذى حظى به سائر شهداء كربلاء.

أمّا المعاند فهو الذى لا يرضخ للحقّ رغم معرفته به؛ قال تعالى فى وصف علماء اليهود المعاندين - الذين يعرفون الرسول صلى الله عليه وآله ومع ذلك ينكرونه? - : يَغْرِفُونَ كَمَا يَغْرِفُونَ أَتْنَاءَهُمْ?.

أمام أشخاص كهؤلاء ليسوا منحرفين فقط بل معاندين لا تجدى معهم الموعظة يطلب الإمام السجّاد سلام الله عليه من الله تعالى أن

يُظفره بهم وينصره عليهم؛ فيقول: وظفراً بمن عاندى.

## المكر على الكائدين

ها هنا أيضاً ثلاث نقاط ينبغي الالتفات إليها:

النقطة الأولى: إن الإمام سلام الله عليه في الموارد التالية غير عبارة الطلب، فبعد أن كان طلبه في الموارد الثلاثة المتقدمة بعبارة: اجعل لى عدل عنها إلى عبارة: هب لى. ولعل هذا يعود للاختلاف في نوع المطلوب؛ لأن الأمور الثلاثة السابقة كانت تحتاج إلى عمل خارجى، ولذلك عبّر عنها الإمام سلام الله عليه بقوله: اجعل لى أما هنا فإن المكر وما بعده يتطلب الفهم والفكر، ولذلك قال الإمام سلام الله عليه: هب لى.

النقطة الثانية: إن المكر يختلف في الاستعمال العرفى عن معناه اللغوى، فالمكر في اللغة يعنى: التدبير على العدو، أى أن الماكر يُنزل المكره بالمكروه به من حيث لا يعلم، بمعنى تقدير ضرر الغير من غير أن يعلم به.

وهو غير الحيلة، التى تُستعمل في نفع الغير أيضاً.

ومكر الله كما في قوله تعالى: **وَمَكْرُوا اللَّهَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**؟ عبارة عن إيصال الجزاء الى الماكر واستدراجه من دون أن يعلم.

فنسب المكر لله تعالى تأتى من باب الازدواج في الكلام كما في قوله تعالى: **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه؟** فالأول عدوان والثانى ليس بعدوان ولكنه سُمى به ليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به.

من هذا نستخلص أن المكر الذى يطلبه الإمام سلام الله عليه من ربه تعالى يتحدّد في استيهابه حسن التدبير في مواجهة الكائدين له حتى يسقطوا هم في شرّ فعالهم فلا ينالوا سوى الخسران المبين.

النقطة الثالثة: صحيح أن من معانى المكر التدبير على العدو في محاولة إيقاعه في المشكّلة، ويجوز في الحرب المكر والخدعة، كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله: **أنه قال: الحرب خدعة، ولكن استعمال المكر والخدعة لا يعنى اللجوء إلى الكذب والفتك، لأنهما من سيئ الأعمال، فإن الكذب من أعظم الكبائر، كما أن الإيمان قيد الفتك.**

فمثال الخدعة في الحرب أن الشخص يقوم بعمل من شأنه أن يوحى لخصمه بأمر ما وهو ينوى خلافه، وقد يُحاول تضليل عدوّه قبل الحرب أو في أثنائها بيتغى بذلك تقليل الخسائر أو تعجيل النصر أو ما أشبه، التى يدعو إليها العقل ويحبها الله تعالى، كما ورد من فعل النبي صلى الله عليه وآله في كتب السير، أنه سار قبل غزوة بدر في خلاف الجهة التى كان يتوقّعها الناس يريد صلى الله عليه وآله بذلك تضليل العدو ولئلا يشعر به الجواسيس، فتبقى المبادرة بيده من دون ظلم أحد، ولكن لا يجوز أن يُمنح العدو الأمان ليسلم نفسه فإذا سلم نفسه بادرُوا لقتله غيلةً أو صبراً؛ لأنّ هذا يعدّ فتكاً؛ والإسلام لا يرضى به.

أما مخادعة العدو يُراد ستر المذهب عنه، فهذا مطلوب على كلّ حال، كما روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنه قال: **فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك.**

## القدرة على المضطهدين

يقول الإمام بعد ذلك: **وقدرة على من اضطهدنى، وقبل بيان المعنى العام لهذه الجملة نوّه إلى أن كلمة «اضطهاد» مشتقة من لفظه «ضهد» وهى فى الأصل «اضتهاد» ثم أبدلت تاؤها طاءً، لأنّها من المواضع التى تبدل فيها التاء إلى طاء فى اللغة العربية تخلّصاً من الثقل وصعوبة التلفّظ بالتاء التى تأتى بعد الضاد فى الكلمة.**

والاضطهاد فى اللغة هو ظلم خاص، وهو الظلم الذى يقع على الإنسان بسبب عقيدته، ثم توسّع استعماله من باب المجاز فصار يشمل

كلّ ظلم.

فكأنّ الإمام سلام الله عليه يقول: إلهي، هب لي القدرة على من يريد ظلمي بسبب عقيدتي وتوجهاتي الحقّة، لئلاّ يتمكّن من ذلك. والملفت للانتباه هنا أنّ الإمام عندما طلب من الله تعالى العون مقابل الظلم قال: اجعل لي يداً على من ظلمني فاستعمل كلمة «يد» للتعبير عن القوّة والقدرة. ولكنّه هاهنا - في مقابل الاضطهاد، وهو الظلم الواقع على المرء بسبب العقيدة والمبدأ - استعمل لفظه القدرة نفسها، فقال: وقدرة على من اضطهدي، ولا شكّ أنّ وراء هذا الاختلاف تكمن معانٍ دقيقة، حرى بأهل العلم الوقوف عندها والتأمّل فيها.

### تكذيب القاصبين

يقول الإمام سلام الله عليه بعد ذلك: وتكديماً لمن قصبني أي أعاب عليّ. من الواضح أنّه لا- يخلو أيّ إنسان من عيب؛ لأنّ الله تعالى خلق الدنيا هكذا، لكي يمتحن بها العباد. فإذا كان الإنسان غتياً أصيب بعيوب كالكبر والغرور والبخل وغير ذلك، وإن كان فقيراً ابتلى بالعيوب التي يسببها الفقر، وربما انتقصه بعض الناس بسبب الفقر نفسه وعدوّه عيباً فيه، وهكذا هو الإنسان في كلّ حالاته. وبما أنّ بعض الناس لا يكفون ألسنتهم عن أحد، لذلك يطلب الإمام السجّاد سلام الله عليه من الله تعالى أن يهبه إمكانيّة تكذيب من يُعيّر وينتقص من غير حق.

### السلامة من المتوعدين

#### السلامة من المتوعدين

الوعد إمّا أن يكون في خير كما لو وعد الإنسان ابنه: إذا نجحت في الامتحان فسأعطيك جائزة، وإمّا أن يكون في الشرّ وهو الوعد ومنه التوعّد، وهو الذي يطلب الإمام سلام الله عليه من الله تعالى أن يسلمه منه.

### عظة أخلاقية

لقد طلب الإمام سلام الله عليه في دعائه من الله تعالى أن يخلّصه من شرور الظالمين والمخاصمين والكائدين والمعاندين والمضطهدين والقاصبين والمتوعدين، ولكن ينبغي أن نذكر أنّ هناك عدواً أعدى منهم كلّهم، ولو تمكّن هذا العدو من الإنسان الحق به عذاباً لا يزول أبداً، وذلك العدو هو النفس الأمّارة بالسوء. أتدرون ماذا تصنع النفس بالإنسان إن هو مكّنها من عقله؟ سوف تقوده إلى نار سجّرها جبارها لغضبه.

إنّ الله تعالى خلق الخلق ليرحمهم؛ فقال عزّ من قائل?: **إلّا- من رحمة ربّك وإتدلك خلقهم؟** أي ليرحمهم، إلّا أنّ الإنسان بتصرّفاتة واتباع هوى نفسه الأمّارة بالسوء يجلب غضب الله عزّ وجلّ. فلا بدّ إذا من التفكير بصورة جادّة لهذه المشكلّة. إنّ الدعاء جزء مهمّ من العلاج، غير أنّ الجزء الأهمّ فيه يتمثّل في قوله تعالى?: **وأنّ ليس للإنسان إلّا ما سعى.**؟ فلا بدّ من الاستعانة بالرياضة الروحية المشروعة، فعن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: **وإنما هي نفسى أروضها بالتقوى وفي الحديث الشريف أيضاً: ليس منّا من لم يحاسب نفسه كلّ يوم...**

وروى أنّه بينا موسى بن عمران عليه السلام يعظ أصحابه إذ قام رجل فشقّ قميصه فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: **ياموسى قل له: لا تشقّ قميصك ولكن اشرح لي من قلبك.**

فلنفكر قليلاً- من أجل ضبط ما قد يصدر من هذه النفس التي أودعها الله فينا ليختبرنا أندسّها أم نزيكها، قال تعالى?: **قدّ أفلح من**

زَكَاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا؟ ويكون الناس بعد ذلك كما قال تعالى؟: هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ.؟ فَرَبَّ أَخْوَيْنَ عَاشَا مَعًا فِي مَحِيطٍ وَاحِدٍ وَلَكِنْ اِخْتَلَفَا فِي الدَّرَجَاتِ اِخْتِلَافًا شَاسِعًا. ومن الأمثلة على ذلك: محمد بن الفرخ الرخجى، وأخوه عمر الرخجى. فلقد كان محمد الرخجى من أوثق أصحاب الإمامين الجواد والهادى عليهما السلام، ولعله الآن فى روضة الخلد مع الذين فيها يحبرون، بينما صار أخوه عمر بن الفرخ الرخجى فى حصب جهنم مع الذين فيها يصطرخون، لأنه كان من أشد أعداء أهل البيت سلام الله عليهم. وقد تجد إنساناً آل أمره إلى أن يكون من أهل الثابوت بينما ابنه فى زمرة الأبرار المؤمنين. يقول أمير المؤمنين سلام الله عليه فى حق محمد بن أبى بكر: محمد ابنى من صلب أبى بكر.

### لا بد من ترويض النفس

إنّ النفس لا تتغير نحو الأفضل أو الأسوأ دفعةً واحدة، وإنما بالتدريج؛ فعن أمير المؤمنين سلام الله عليه أنه قال: النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب، والنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة، والعبد يجهد بردها عن سوء المطالبة، فمتى أطلق عنانها فهو شريك فى فسادها، ومن أعان نفسه فى هوى نفسه فقد أشرك نفسه فى قتل نفسه. ولذا شدد على ترويض النفس حتى لا- تتمادى فى غيها، فقال سلام الله عليه: مَنْ لَمْ يَسِسْ نَفْسَهُ أَضَاعَهَا أَى كَمَا تَخْدَعُكُمْ خَادِعُوهَا وَجَرَّعُوهَا الْخَيْرَ رَوِيدًا رَوِيدًا، ابتداءً بالأسهل فالأسهل وهكذا. فمثلاً لو لم يكن الشخص من أهل صلاة الليل فلا يفرض على نفسه أداءها بمستحباتها كلها فى أول الأمر، بل ليكتف بأقل ما تطاوع به نفسه أولاً ثم يزيد شيئاً فشيئاً لئلا تغفل بعد ذلك؛ فإن من لم يرفق بمطيقته فى السير، لا هو يصل إلى غايته ولا وسيلة تبقى له. عن النبى صلى الله عليه وآله: المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. فعلينا التدرج بالنفس، والاستئارة بكلمات المعصومين سلام الله عليهم وسيرتهم لئلا تنعطف بنا أنفسنا فترىغ.

ورد فى رسالة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف: ألا- وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه... ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك ولكن أعينونى بورع واجتهاد وعفة وسداد. فلنحاول الاقتداء بأئمتنا ما أمكننا ذلك، وإن عجزت أنفسنا عن بلوغ ما هم عليه صلوات الله عليهم فلا يبقى لنا سوى الورع والاجتهاد والعفة والسداد، عسى أن نفوز بمرضاة الله تعالى.

روى عن أبى جعفر الباقر سلام الله عليه أن امرأة ادّعت على أبيه (على بن الحسين سلام الله عليهما) عند والى المدينة أن لها عليه أربعمئة دينار. فقال والى: ألك بينة؟ قالت: لا ولكن خذ يمينه. فقال والى المدينة يا على، إما أن تحلف وإما أن تعطىها. فقال لى: يا بنى قم فأعطها أربعمئة دينار. فقلت: يا أبة جعلت فداك، أأست محققاً؟ فقال: بلى يا بنى، ولكنى أجل الله تعالى أن أحلف به يمين صبر.

علينا أن نفتدى بالأئمة سلام الله عليهم ونأخذ سبيل التسامح والعفو ونغفر لإخواننا ونعذرهم؛ فإن بروز المشكلات بين الإخوة والمتعاشرين كالأرحام والزمامم والزوجين والأساتذة والتلاميذ والأصدقاء أمر طبيعى يؤلده القرب والاحتكاك؛ فلذا لا- ينبغى تضخيمها بل ينبغى التسامح بشأنها، واللائم الاقتداء بأئمتنا الذين كانوا المثل الأعلى فى الأخلاق الفاضلة، ولا يتأتى هذا كله إلا بالترويض والتدرج مع النفس كما قلنا.

كما ينبغى لنا أن ننتهز كلَّ الفرص والمناسبات التى من الله تعالى بها علينا، مثل شهر رمضان المبارك، والأيام التى نحن مقبلون عليها من أيام شهر ذى الحجة الحرام لاسيما العشر الأول منه، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله: ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من أيام العشر. التى تكرر ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى؟: أَيَّامٌ مَّعْلُومَاتٌ؟ و؟ أَيَّامٌ مَّعِيدُودَاتٌ؟ فهذه الفرص نادرة فلنغتنيها ونأخذ بزمام أنفسنا بأية نسبة استطعنا.

فلنتأمل فى هذه العبائر من دعاء الإمام ونتصور أن مصاديقها الأجلى هى نفس الإنسان، ولنطلب من الله تعالى أن يهبنا القدرة على

أنفسنا لكي نوفق ونكون من الذين اتَّخذوا طريق التدرّج في الصعود والرقى بلوغاً إلى أعلى الدرجات ببركة محمد وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

طاعة المسدّد ومتابعة المرشد

صحيح أنه يمكن التوسّع في هاتين الكلمتين وأشباههما في استعمال إحداها مكان الأخرى مجازاً، مثل جعل كلمة الطاعة مكان المتابعة أو العكس، وكذا بالنسبة للتسديد والإرشاد؛ ولكن إذا أخذنا بنظر الاعتبار مجيء هذه الكلمات معاً في سياق واحد فإنّ الدقّة تقتضى اختلاف معانيها، خاصّة وأنّ الأئمّة الأطهار سلام الله عليهم هم أمراء الكلام وأسياد البلاغة وأرومة الفصاحة، وما يسردونه من نظم كلامهم لا بدّ وأن يكون موافقاً لفصيح الكلام وفنونه. ومن يراجع كتب اللغة يجد فرقاً واضحاً في استعمال هذه الكلمات وفق معانيها.

فمن موارد الطاعة إستعمالها في الامتثال بلا تأمل، والعكس صحيح، فالامتثال دون تأمل يعنى الطاعة بعينها، أما المتابعة فتعنى دوام الامتثال. في الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العامّة.

### الفرق بين السداد والرشد

أمّا الفرق بين السداد والرشد فالظاهر من الرجوع إلى كتب اللغة أنّ السداد يعنى التوجيه نحو الصواب كما في دعاء الافتتاح للإمام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه: وأنت مسدّد للصواب بمنك.

إذا فالمراد من المسدّد في دعاء الإمام زين العابدين سلام الله عليه هو الدالّ على الصواب الذي لا يعاب عليه.

أما الرشد فهو الأمر الذي لا زيغ فيه ولا غواية وهو أقرب إلى الحقّ منه إلى الهدية، لأنّ الهدى بيان طريق الرشد ليسلك دون طريق الغي. هذا إذا أُطلق. فإذا قيد استعمال في غيره؛ كما في قوله تعالى: وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ. كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ.؟ فإنّ أصحاب الأفكار الباطلة يهدون إلى الباطل، أمّا الرشد فلا يستعمل إلاّ في الموارد التي تنعدم فيها نسبة الزيغ والغوى. ولذا فمتابعة المرشد هو سبيل نحو الصلاح والرشد والصواب، وحقّ من يعمل عليه أن ينجو، وحقّ من يعمل على خلافه أن يهلك.

إنّ الإمام يطلب من الله تعالى أن يجعله مطيعاً لمن يسدّده لا يناقشه فيما يصوّبه اليه، متابِعاً لمن يرشده لا يعصيه فيما يدلّه عليه، مثله كمثل طاعة المريض للطبيب الثقة الحاذق فيما إذا أشار عليه بتناول الدواء أو اجتناب بعض الأمور لأنّه مطمئنّ إلى أنّه إنّما يسدّده إلى ما ينفعه، ويرشده لما يصلحه.

والملفت للنظر هنا أنّ الإمام سلام الله عليه لم يستعمل صيغة المضارع في الجملتين بل استعمل صيغة الماضي فقال: طاعة من سدّدنى ومتابعة من أرشدنى. ولا شكّ أنّ وراء ذلك نكتة خاصّة تتلخّص في أن يوفّقه لامتثال أمر المسدّد والمرشد سواء عرف المصلحة فيما يأمرانه أم لا.

وإنّ المصداق الحقيقي والواقعي لهذه الجملة. هم أهل البيت سلام الله عليهم. فلا يوجد أحد على مَرّ التاريخ تبع أهل البيت ثمّ ضلّ بل لا يوجد أحد تبع أهل البيت سلام الله عليهم ولم يتبيّن له وجه الحقّ. إنّه صلوات الله عليهم يرشدوننا إلى الصواب ويسدّدوننا لما فيه الصلاح.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّئِي بِحَلِيَّتِهِ الصَّالِحِينَ، وَالْبَسِّنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِي بَسِطِ الْعَيْدِلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسِتْرِ الْعَائِيَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجِنَاحِ، وَحُسْنِ السَّيْرِ، وَسَيِّكُونَ الرِّيحِ وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفُضَيْلَةِ، وَقَوْلِ الْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِفْلالِ الْخَيْرِ؛ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفَعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ؛ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي

وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ ...

? بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة

? ضم أهل الفرقه، وإصلاح ذات البين

? إفشاء العارفة، وستر العائنه

? لين العريكة

? خفض الجناح، وحسن السيرة

? طيب المخالقة، والسبق إلى الفضيلة

? قول الحق وإن عَزَّ

? استقلال الخير، واستكثار الشر

? دوام الطاعة

### بَسْطُ الْعَدْلِ، وَكَظْمُ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءُ النَّائِرَةِ

### بَسْطُ الْعَدْلِ، وَكَظْمُ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءُ النَّائِرَةِ

قد يحس الإنسان بحاجته واضطراره بعمق وشدة، فيكون طلبه حين يدعو الله تعالى طلباً حقيقياً ويدعوه من أعماقه، وقد لا يحس بهما بمثل تلك الشدة، فيكون طلبه حينئذ طلباً عادياً، أي ليس صادراً من الأعماق.

فالمبتلى بمرض خطير أو ألم شديد مثلاً إذا دعا الله تعالى وطلب منه الشفاء، يكون دعاؤه بكل وجوده لأنه يحس بالاحتياج، وكذلك الذي يعاني من تآكل الديون عليه أو زحمة الهموم، فهذا أيضاً عندما يدعو الله تعالى ويلتمس منه الخلاص في قضاء ديونه وإجلاء همّه فإنما يدعو عن إحساس بالاحتياج فيكون دعاؤه حقيقياً، لصدوره من أعماقه.

فلو فرضنا شخصين كل منهما مدين لغيره بالمال، ولكن المدين الأول لم يواجه من دائنه أي ضغط عليه، بخلاف الثاني، حيث دائنه يهدده إن لم يسدد المبلغ حتى غد، وربما يضطره لأن يرفع ضده شكوى تؤدي به إلى السجن، فكلا الشخصين يدعو ويقول: «اللهم اقض عني الدين». ولكن دعاء الثاني أعمق لأنه يصدر عن الإحساس بالحاجة أكثر ولا حيلة له في قضائها إلا عن طريق الدعاء، فيلج في الدعاء والطلب.

والإلحاح في الطلب من أسباب استجابة الدعاء، كما أن الاستفادة من الروايات بل صريح بعضها أنه كلما كان الدعاء صادراً من أعماق القلب كان أقرب إلى الإجابة. فلنحاول أن نروض أنفسنا إذاً على حالة الإحساس بالاحتياج دائماً؛ ليكون دعاؤنا صادراً من أعماق القلب، فيكون أقرب إلى الإجابة.

### حلية الصالحين وزينة المتقين

يقول الإمام: وحلني بحلية الصالحين وأبسني زينة المتقين.

الحلية كل ما يُحلى به لإظهار جمال الشيء، فما هي حلية الصالحين؟ وما هو لباس المتقين؟ لاشك أنه لا يراد به ما يستر البدن، بل المقصود من لباس المتقين التقوى نفسها. وكما أن اللباس المادي يستر البدن ويغطي عيوبه، فإن لباس المتقين يستر الشهوات والقبائح في نفس الإنسان والتي تمثل مركز المشكلات له. إن المتقي إنسان كبقية الناس له شهوات، إلا أنه يعيش في عملية تجاذب دائم بينها وبين عقله، بيد أن غيره تكون شهواته وقبائحه ظاهرة، والسوء باد في عينيه وعلى لسانه وعمله، أما المتقي فشهوته وسوءاته مستورة، قد



سترها بلباس متين وورصين ليس رثاً ولا وسخاً ولا ممزقاً بل كله زينة وتقوى.

ولعل الإمام سلام الله عليه أشار إلى هذا المعنى توافقاً لما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكُمْ خَيْرٌ؟**

ثم يستطرد الإمام سلام الله عليه لبيان مفردات حلية الصالحين وزينة المتقين فيعدد مجموعة من الصفات، كل منها ينطوي على عالم من المعاني التي لا يستوعبها أمثالنا إلا بمقدار، الأمر الذي يحتم على أهل العلم المتابعة والتأمل والتدقيق في ما تنطوي عليه هذه الكلمات السامية. وأول طرق التدقيق هذه تكمن في تتبع آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والتدبر فيها، بحثاً عن الموارد التي استعملت فيها لتكون الاستفادة أعمق.

## بسط العدل

البسط في اللغة مقابل القبض؛ قال الله تعالى: **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ؟**

روى عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنه سئل عن تفسير قوله تعالى: **وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ؟** ففتح كفه وفرج بين أصابعه وقال: لا تفعل هكذا. ثم ضم أصابعه بعضها إلى بعض وقال: بل اجعلها هكذا، فلا تقبض أصابعك إلى كفك حتى لا يخرج منها شيء ولا تفتح كفك وتفرج بين أصابعك حتى لا يبقى لك فيها شيء، فلا إفراط ولا تفريط، بل حد وسط، فما وقع من كفك أو خرج فدعه يخرج، وما بقى فيه فدعه يبقى لك ولا تفرط به.

وهذا يعني أن الشارع قد نهى في الإنفاق المادى عن كل البسط في بعض الموارد التي يتعقبها ضرر وإخلال، ولذلك عدّه من التفريط، بينما في الفضائل والقيم حسن الشارع كل أنواع البسط ومدحها، ولذلك نرى الإمام هنا مع البسط كل البسط، فقال: في بسط العدل. أى مطلقاً؛ لأنّ العدل ليس فيه إفراط بل كله ممدوح مأجور فعله، ومن ثم فعلى الإنسان أن يسعى لبسط العدل ونشره مهما وسعه.

والعدل يعنى وضع الشيء في موضعه، فالله سبحانه وتعالى قد سنّ العدل في الأمور التكوينية والتشريعية على حد سواء، وما من شيء قد قام في السماوات والأرضين إلا يعدل بارئه سبحانه وتعالى.

إنّ العدل قائم في الأمور التكوينية كلها، ففي الحديث: بالعدل قامت السماوات والأرض. فهذه الشمس الهائلة والأرض والنجوم والوجود كله يجرى بتمام العدل، فلا إفراط ولا تفريط ولو بمقدار أنملة واحدة، وهكذا الأمر لو نظرنا إلى أبداننا نجد ملايين الخلايا كلها تسير بالعدل. ومعروف في الطب القديم والحديث أنّ الإنسان إذا كان متوازن المزاج لا يمرض؛ لمتانته القوة الدفاعية فيه، وعدم المقتضى لإصابته بمرض. علاوة على ما تقدّم فإنّ في العدل تتجلى زينة المتقين بأبهى صورها؛ لذلك عدّد من مفرداتها.

فعلى المؤمنين أن يبسطوا العدل، وأن يبدأوا بأنفسهم حتى يصلوا بعدلهم إلى من سواهم قولاً وعملاً. روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: سياسة العدل ثلاث: رقة في حزم، واستقصاء في عدل، وإفضال في قصد. وفي حديث آخر: العدل أساس به قوام العالم. أمّا إذا جانب المؤمن العدل وصار فعله لا يطابق قوله، فأول من يزهده فيه أهله خصوصاً إذا كان من أهل العلم، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: أزهده الناس في العالم بنوه ثم قرابته. طبعاً المراد من العالم هذا غير ما نحن فيه، إلا أنّ الشاهد في كلمة الزهد خاصة. لهذا ترى أهل البيت سلام الله عليهم قد اعتنوا بأبلغ العناية في بسط العدل من خلال مطابقتهم للأعمال للأقوال، فتجد من كان قريباً منهم مشدوداً في السعى نحو ما يرشدون إليه؛ لما يرى من صدقهم ومطابقتهم سيرتهم العملية والقولية ووفرة سعيهم لله تعالى.

## كظم الغيظ وحدوده

ومن مفردات حلية الصالحين وزينة المتقين أيضاً كظم الغيظ، ففي النفس شهوات لها ألسنة من لهب تستعر نيرانها بمجرد أن تثار

بأدنى إثارة. فلو قال شخص لغير المتقى كلمات وظنّها لا تناسبه فإن أثر الغيظ وألسنة نار الغضب تظهر على وجهه ولسانه وتصرفاته، أما المتقى فيستر غيظه ويكظمه بلباس التقوى.

إذا قيل لزيد من الناس: لمّ كم تكظم غيظك؟ يقول: لكلّ شيء حدود، فكم أصبر، وإلى متى أكظم غيظي؟ صحيح أن لكلّ شيء حدوداً، ولكن من الذي يعين الحدود؟ هل نحن الذين نعيّن الحدود وفق ما تملّيه علينا غرائزنا، فنضيقها ونوسعها كيفما نشاء، أم الأئمة المعصومون عليهم السلام؟ ليس الإمام السجّاد إمامنا؟ أو ليس المفترض أن يقتدى كلّ مأموم بإمامه؟ إذاً فلنصمّ على أن نقتدى به ونتعلّم منه حدود كظم الغيظ من خلال سيرته سلام الله عليه لكيلا نقع في المحذور.

روى: إنّ قوماً كانوا عند علي بن الحسين عليهما السلام فاستعجل خادماً بشواء في التنور، فأقبل به مسرعاً، فسقط السفود من يده على ولد للإمام فأصاب رأسه فقتله، فوثب علي بن الحسين عليه السلام، فلما رأى ابنه ميتاً، قال للغلام: أنت حرّ لوجه الله تعالى، أما إنك لم تتعمده. ثم أخذ في جهاز ابنه.

حقاً، ما أسعد الناس لو ولي حكمهم هؤلاء الأطهار، وكم كانوا سيتعلمون منهم. أوليست هذه القصّة أعظم من جبال الدنيا ذهباً، لأنّ جبل الذهب ينفد ويفنى أما مضامين هذه القصّة ودورها في بناء الذات فلا تنفد ولا تفنى.

ولننظر إلى أنفسنا ونتفحصها هل نحن مقتدون بهم سلام الله عليهم؟ أو نقول: إلى متى نكظم غيظنا؟ ونحن مختلفون مع بعضنا على مبلغ من المال أو على مشكله صغيرة أو شيء تافه.

إنّ هذه السفساف التي يختلف عليها الناس غالباً لا سوق لها في حوزة الأتقياء من أهل الآخرة بل لا اعتبار لها عندهم، ولنعلم أنّ من لا يكظم غيظه تتحطّم أعصابه ويسوء خلقه أكثر من غيره ممّن يكظم غيظه، فيخسر بذلك ثواب الدنيا والآخرة، أمّا كظم الغيظ ففيه ربح الدنيا والآخرة وهو أمر ممكن وإن كان لا يخلو من صعوبة.

## إطفاء النائرة

العداء نقيض الولاء وقد يكون في الباطل أو الحقّ، والذي عناه الإمام في دعائه هو عداء الباطل، فإنّ غير المتقى إذا عاداه أحد، فلا يخلو أن يكون هذا العداء إمّا باطلاً أو حقاً، فتراه إمّا أن يردّ العداء بمثله، وإمّا أن يسكت في أحسن الأحوال. أمّا المتقى الذي يرسم الإمام السجّاد سلام الله عليه لنا صورته فهو لا يكتفي بالسكوت على من اعتدى عليه، بل يحاول إرضاءه، لأنّه يسعى جاهداً أن لا يدخل شخص مسلم بسببه النار، فيحاول إطفاء نائرتة مسارعاً بإسداء الخير إليه.

روى عن محمد بن جعفر وغيره، أنّه قال: وقف على الإمام عليّ بن الحسين سلام الله عليهما رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحبّ أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا ردّي عليه. قال: فقالوا له: نفع، ولقد كنا نحبّ أن نقول له ونقول.

قال: فأخذ نعليه ومشى وهو يقول:؟ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ؟ فعلمنا أنّه لا يقول له شيئاً.

قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به. فقال: قولوا له: هذا عليّ بن الحسين.

قال: فخرج إلينا متوثباً للشرّ وهو لا يشكّ أنّه إنّما جاءه مكافئاً له على بعض ما كان منه. فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: يا أخي إنك كنت قد وقفت على آناً فقلت وقلت، فإن كنت قلت ما فيّ فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك.

قال: فقبل الرجل ما بين عينيه، وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك، وأنا أحقّ به!

فهل هذا التصرف من قبل الإمام أفضل أم ردّه بمثل باطله أو معالجة الأمر من خلال السكوت عليه؟ خصوصاً وأنّ تركه دون الأخذ

بيده يبقيه على ما هو عليه حتى يموت ناصبياً ويدخل نار جهنم.

لا تقل وما شأنى به فليدخل جهنم، فهذا لا يعدّ اقتداءً بالإمام عليه السلام.

إذاً فلنسأل الله تعالى أن يثبتنا على الاقتداء بمن اصطفاهم على خلقه محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ونسأله أن يلبسنا زينة المتقين، فدعو ونعمل ونطبق ونبدأ بأنفسنا أولاً.

## ضَمَّ أَهْلَ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ

### ضَمَّ أَهْلَ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ

الفرقة تعنى الانفصال، فالناس إذا كانوا مجتمعين على أمر فلا توجد فرقة فيما بينهم، أما إذا اعتزل بعضهم بعضاً وصار بعضهم منفصلاً عن بعض فهذا يعنى حدوث فرقة بينهم.

ويطلق أهل الفرقة على من ديدنه الافتراق، أما من حليته الصلاح وزينته التقوى فإنه يحاول أن يجمع ويضم إليه جميع أهل الفرقة حتى يعيدهم إلى صفّ الحقّ، والإمام سلام الله عليه يطلب من الله تعالى ويعلمنا بدوره أن نطلب منه سبحانه الإعانة في هذا الأمر وهو ضمّ أولئك الذين يفصلون أنفسهم عن الآخرين متبعين أهواءهم. هذه الخصلة الأولى.

أما الخصلة الثانية التي يطلبها الإمام فهي إصلاح ذات البين، فمما يعنيه البين هو الصلّة والحال التي عليها أفراد المجتمع، وهو نقيض الفرقة. فإصلاح ذات البين يعنى: صيانة الألفه والمحبة من خلال إدامتهما ومعالجة أى شرخ ممكن حدوته قبل اتساعه مهما كان حجمه سواء بين الإخوة، أو الزوج والزوجة، أو الأصدقاء، أو بين الأستاذ وتلميذه، أو الأب وابنه أو غير ذلك. أما الذات ففسّرت بالحقيقة. فالمعنى إصلاح حقيقة البين. وقال بعض الأدباء: إن «ذات» كلمة زائدة ككثير من الكلمات التي تتراد في التعبيرات اللغوية، خاصة في اللغة العربية لغرض التأكيد وغيره.

### هل هما خصلتان أم خصلة واحدة؟

وهل تعود هاتان الجملتان إلى خصلة واحدة؟

يقول اللغويون وبتبعهم الأصوليون: إن الأصل في الواو هو المغايرة، إلا إذا كانت هناك قرينة على وحدة الأمرين. فمثلاً: لو قيل: جاء زيد وأبو عمر، فالتبادر للذهن أن شخصين جاء، وليس المقصود أن الجائي واحد وهو زيد الذي كنيته أبو عمرو. نعم قد تأتي الواو لبيان المعطوف عليه نفسه بتعبير آخر، ولكن الأمر بحاجة إلى قرينة.

إذاً يقتضى أن يكون «ضمّ أهل الفرقة» و«إصلاح ذات البين» أمرين متغايرين، ولكن هذا لا يمنع أن يكون بينهما عموم وخصوص من وجه، لكن بعض العلماء قالوا: إن «ضمّ أهل الفرقة» يتناول الدائرة الواسعة أى المجتمع، أما «إصلاح ذات البين» فالمقصود به الدائرة الأصغر وهي الأسرة والعشيرة والأقرباء، وهذا له وجه لا بأس به في نفسه، وقد يستوحى ذلك من كلمة «فرقة» و«بين».

وعلى كلّ حال، فإنّ من الأمور التي ينبغى للإنسان المؤمن أن يعنى بها في المجتمع، أى على الصعيد العامّ والواسع، أن يكون ديدنه الحيلولة دون حدوث الفرقة والاختلاف، كما عليه أن يسعى أيضاً من أجل الإصلاح على صعيد العلاقات الاجتماعية الصغرى كالعلاقات بين الإخوة والأقارب والزملاء، فهاتان الخصلتان ضمّ أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين تعدّان من حلية الصالحين وزينة المتقين.

### ضمّ بالحقّ وتفريق بالباطل

هنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: هل الإمام السَّجَاد سلام الله عليه يدعو للاجتماع وعدم الفرقة دائماً من دون نظر إلى الحقِّ والباطل؟ حاشا أن يكون الإمام يريد ذلك؛ لأنَّ الإمام السَّجَاد عدل القرآن، والقرآن يقول: «كَانَ النَّاسُ أُمَّيَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ؟ وهذا معناه أنَّ الناس كانوا مجتمعين على الضلال والباطل، فبعث الله تعالى الرسل ليمزقوا وحدة الباطل فيهم بينات الوحي والتنزيل. أجل، الوحدة من الفضائل ولكن إذا كانت في إطار الحقِّ والفضيلة لا في إطار الباطل والرديلة.

ثمَّ عبارة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحقِّ أهل الشام يجدر الوقوف عندها - كما هو الحال مع كلِّ كلمات المعصومين سلام الله عليهم - يقول مخاطباً فيها أهل العراق...: والله لقد خشيت أن يدال هؤلاء القوم

- يعنى أهل الشام - عليكم، بإصلاحهم في أرضهم، وفسادكم في أرضكم، وأدائهم الأمانة لمعاوية، وخيانتكم، وبطاعتهم له، ومعصيتكم لي، واجتماعهم على باطلهم، وتفترقكم عن حقِّكم... فلا- يقال للإمام سلام الله عليه ما دام الاجتماع أمراً حسناً فلماذا يلامون عليه؟ فالاجتماع في نفسه مطلوب، إلّا- أنه ينبغي أن تكون الغاية حقّة. والتوجه للباطل إذا كان من فرد واحد فهو ضلالة واحدة، فإذا اتَّجه اثنان إلى الباطل فهذه ضلالتان، وهكذا كلما زيد اجتماع أهل الباطل زاد عدد الضالِّين، فأين هو الحسن فيه. فضمَّ أهل الفرقة ممدوح ومطلوب إذا كان إلى جهة الحقِّ، لأنَّ الاجتماع على الحقِّ ضروري، ولو حاد فرد واحد عنه فعلى المؤمن أن يسعى لإرجاعه وضمّه ثانية.

ولنمثّل بمثال في هذا المجال من سيرة أهل البيت سلام الله عليهم حيث يروى أن هناك رسالة مهمّة من الإمام السَّجَاد سلام الله عليه بعث بها إلى الزهري مروية في كتب الخاصية والعامية، يقول الإمام عليه السلام فيها: وأن تُسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة... جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظالمهم وجسراً يعبرون عليك الى بلاياهم. فعمل الإمام هنا في الحقيقة ضمُّ لأهل الفرقة، وإن كان في ظاهره تفريقاً ومنعاً عن الانضمام؛ لأنه تفريق للباطل ومنع عن الانضمام إليه.

ولنا في الإمام الحسين سلام الله عليه مثل آخر، فإنَّ علماء السوء قالوا عنه إنَّه شقَّ عصا المسلمين، لأنَّ يزيد كان حاكماً مسلماً وكان المسلمون يمارسون حياتهم وطقوسهم الدينية ولا وجود لخلاف فيما بينهم ولكن الحسين سلام الله عليه بزعمهم هو الذي أوجد الخلاف!! ونقول: إنَّ هذا الخلاف والافتراق الذي أوجده الإمام الحسين سلام الله عليه هو من أهمِّ الواجبات بل كان أهمِّ الواجبات في زمانه سلام الله عليه فإنَّ الافتراق عن حكومة الحقِّ كحكومة الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن سلام الله عليهما هو الضلال الذي يجب السعي لضمِّ أهل الفرقة عنه، أمّا إحداث الفرقة في صفوف أهل الباطل فهو من الفضائل والواجبات.

لقد كان صفوان الجمال من خيرة أصحاب الإمام الكاظم سلام الله عليه، فأكرى جماله لهارون العباسي لسفر الحجِّ، فبلغ ذلك الإمام عليه السلام فقال له كلمة عظيمة؛ قال: كلُّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً. ولاشكَّ أنَّ هذا تقرُّظ عظيم من الإمام ممَّا يكشف عن منزلة صفوان، ولكن الإمام استنكر عليه إكراهه جماله لهارون. فقال صفوان: يا ابن رسول الله، هذا يريدنا للحجِّ. فقال له الإمام: أتحبُّ بقاءهم حتى يخرج كراك؟ قلت: نعم. قال عليه السلام: فمن أحبَّ بقاءهم فهو منهم.

هذا والإمام كان يعلم أنَّ هارون سيعرف السبب، وبالفعل جاء هارون في اليوم الثاني فاعتذر له صفوان بأنَّه باعها كلها. بل الأمر قد يتعدى ذلك حتى إلى بناء مسجد، فقد روى عن الإمام الصادق سلام الله عليه قوله: لا تعنهم على بناء مسجد هذا والإمام يعلم عظمة المسجد والصلاة فيه، ولكنَّه يعلم كذلك أنَّهم سيخذون منه شعاراً لتقوية ظلمهم من خلال إشعار الناس بأنَّهم أهل تقوى وصلاح؛ فيلتفون حولهم ويدينون لهم، والدين منهم براء، وإلَّا فإنَّ الإمام الصادق سلام الله عليه هو القائل: من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة شريطة أن يكون مسجداً قد أُسس على التقوى والصلاح، لا على الظلم والفساد.

## بين الصلاح والإصلاح

تقدّم أنَّ ضمَّ أهل الفرقة يقع في الدائرة العامّة من المجتمع، أمّا إصلاح ذات البين فالمقصود به الدائرة الأصغر كالعائلة والعشيرة.

وربّ سائل يسأل عن الإصلاح الذى ورد فى الدعاء والفرق بينه وبين الصلاح الذى عناه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه فى إحدى وصاياه: أوصيكما وجميع ولدى وأهلى ومن بلغه كتابى بتقوى الله، ونظم أموركم، وصلاح ذات بينكم فإننى سمعت جدّ كما صلى الله عليه وآله، يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام أى المستحبّة.

هنا نكتة بلاغية وهى أنّه وردت فى بعض النصوص عبارة «إصلاح ذات البين» فيما وردت فى بعض آخر منها عبارة «صلاح ذات البين» والمؤدّى واحد؛ إنّ الإصلاح إمّا أنّه نتيجة الصلاح لأنك إذا رفعت الفساد وأصلحت بين اثنين، فإنّ نتيجته هو الصلاح أو يراد به دفع الفساد قبل وقوعه، كما لو أحسست أنّ خلافاً ما سيحدث بين زيد وعمرو فبادرت إلى عمل ما من شأنه الحيلولة دون وقوعه، فيطلق على عملك هذا صلاحاً وليس إصلاحاً لأنّه لم يكن فساد فى البين لتصلحه وإنّما حُلت دون وقوعه، بينما الإصلاح أمر يعقب الإحداث دائماً، لغاية العلاج فيه، والذى بين الصلاح والإصلاح كالذى بين الوقاية والعلاج.

للإمام الحسن سلام الله عليه جملة عظيمة تنفعنا فى مجال «إصلاح ذات البين»، يقول الإمام لجنادة: واعلم أنّه تطلب الدنيا والموت يطلبك. فلو آمن الإنسان بهذه الكلمة وكانت حاضرة عنده دوماً لسهل عليه السعى فى طلب الفضائل، ولأمن على نفسه الصراع من أجل ركام الدنيا، لأنّه يعلم أنّ كلّ ما يطلبه من الدنيا لا محالة زائل، فإنّ ذكر الموت وحده كفيلاً بأن يحدّ من شهوات النفس.

### حذار من التسويف

جاءنى شخص وسألنى عن الحجّ، قال: كنت مستطيعاً منذ عشرة أعوام ولم أحجّ، ولكنى كتبت فى وصيتى أن يحجّ أولادى بالنيابة عنى، فقلت له: إنّ التسويف فى الفرائض يعدّ من الكبائر، إلى أن اقتنع بأن يحجّ بنفسه، وإن استلزم أن يقترض فى ذلك، وإن كان هو مستطيعاً كما تبين لى، وبعد أن أبدى استعداداه وكان فى شهر ذى القعدة انصرف.

وبعد أسبوع أتوا لأذهب الى الصلاة على جنازته، وعندما وصلت المكان كان أبناؤه موجودين، وقالوا لى: لم يكن به شىء ولكن أصيب بسكتة قلبية. فأخبرت أكبر أولاده أنّ عليهم أن ينفذوا ما كتبه لهم فى وصيته التى أخبرنى عنها قبل موته بأسبوع، وذلك بأن يبعثوا شخصاً خلال هذه السنة أى فى غضون أيام أو أسابيع لكى يحجّ نيابة عنه، فهذا يعدّ من أوجب الواجبات.

إنّ على الإنسان أن يضع الموت نصب عينيه دائماً، فإذا فعل ذلك خفّت حدّة شهواته واستطاع أن يعمل على ضمّ أهل الفرقة وإصلاح ذات البين بنحو أحسن، ولا يكثرث للأعداء غير الصحيحة.

ورد فى الحديث الشريف ...: فإنّك لا تدري ما اسمك غداً.

### إفشاء العارفة، وستر العائبة

### إفشاء العارفة، وستر العائبة

يطلب إمامنا زين العابدين وسيد الساجدين سلام الله عليه فى طيّ دعائه هذا الذى نستنير به والموسوم بدعاء مكارم الأخلاق أن يحلّيه الله تعالى بحلّية الصالحين ويلبسه زينة المتقين، والتى من جملة مصاديقها ما قد سلف بيانه، فيقول تميمًا لمبتغاه: وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة.

الإفشاء: النشر والإذاعة والإظهار. والعارفة: المعروف، والتاء فيها باعتبار الخصلة؛ إفشاء العارفة يعنى نشر المعروف.

أمّا العائبة وهى مؤنث العائب، والتأنيث فيها باعتبار الخصلة فهى ضدّ العارفة والمعروف. وأمّا السّتر فالإخفاء؛ فيكون معنى إفشاء العارفة: نشر المعروف وعدم إخفائه، ومعنى ستر العائبة: إخفاء المنكر وعدم إظهاره. وهاتان الخصلتان من صفات الله تعالى؛ ففى الدعاء المروى عن الإمام الصادق سلام الله عليه: يا من أظهر الجميل وستر القبيح.

أما كيف يكون إفشاء العارفة وستر العائبة؟ الجواب:

أولاً: بالعمل بالمعروف، والانتهاز عن المنكر؛ فإنَّ العمل بالمعروف يُعدُّ أصدق مصاديق إظهاره، كما أنَّ الانتهاز عن المنكر يعدُّ كذلك من مصاديق إيماته وإخفائه. فالواجب إذاً يحتسب على المؤمن أن يلبس رداء المعروف واجبه ومندوبه، ويتزعم رداء المنكر محرّمه ومكروهه.

ثانياً: أن نذكر الذين يعملون المعروف ونمدحهم، فنقول مثلاً: فلان وقور وفلان مخلص وهكذا. فهذا يعدُّ نشرًا للعارفة، وأن نستر على الذين زلوا ولا نشيع ذكر ما عملوا من المنكرات.

ثالثاً: أن لا ننسى معروف الآخرين إلينا ونذكره، وننسى معروفنا إليهم فلا نذكره؛ روى عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أنه قال: إذا صنع اليك معروف فاذكره، إذا صنعت معروفًا فانساه. أى إذا أحسن إليك شخص ما، فمن إفشاء العارفة أن تذكر لغيرك أن فلاناً قد أحسن إليك. أمّا إذا أحسنت إلى غيرك، فليس من العارفة أن تذكر ذلك أينما حللت وارتحلت لتقول مثلاً: «لولاي لكان وضع فلان كذا وكذا» لأنَّ هذا يعدُّ من العائبة.

### الافتداء بسيرة العلماء

لقد كان السيد محمد تقى الخونسارى رحمه الله مرجعاً للتقليد فى مدينة قم يوم دخلها السيد البروجردى وكلاهما كانا من تلامذة المرحوم الآخوند (صاحب الكفاية) رحمه الله.

ففى إحدى الزيارات المتبادلة بينهما قال السيد الخونسارى للسيد البروجردى: كنت أحضر درسكم فى النجف الأشرف، فأنت أستاذى.

وربما كانت المدّة التى تتلمذ فيها السيد الخونسارى عند السيد البروجردى رحمه الله قصيرة جداً، ولكن السيد الخونسارى كان يرى أن من إفشاء العارفة وأداء حقّ التعليم أن يذكر ذلك ويبيّنه، وإن كان مرجعاً للتقليد. الأمر الذى يبيّن أن إفشاء العارفة بحاجة إلى عزم وإيثار وإيمان وتوكّل على الله تعالى؛ فإنّ النفس لا تدع الإنسان عادةً يتنازل أمام أصدقائه ومعارفه.

ففى مثل هذه الحالة، وبعد أن ذكر السيد الخونسارى ذلك، ترون ماذا سيكون موقف السيد البروجردى تجاه ما أعلنه السيد الخونسارى؟ هل يؤيّد كلامه وهو يعلم أنه ليس من العارفة أن يذكر الإنسان إحسانه إلى غيره؟ أم ينكر الحقيقة، وذلك لا يصحّ أيضاً.

لقد بادر السيد البروجردى إلى حلّ وسط، فجعل نفسه كمن لا يتذكر أى أعطى انطباعاً لذلك، دون أن يقع فى الكذب تخلّصاً من حراجة الموقف. ولكن السيد الخونسارى أعاد الكلام ثانية وأكّده.

فقال السيد البروجردى: لعلى لا أتذكر.

فتبسّم السيد الخونسارى وقال: يحقّ لك أن تنسى لأنّ كثيرين من أمثالى درسوا عندكم؛ ولذا من الطبيعى أن لا تتذكرونى، أمّا أنا فمن حقّى أن لا أنسى لأننى قلّما رأيت أستاذاً مثلكم، ولذلك لا أنساكم.

كما ينبغى لنا أن نتحلّى بحليّة الصالحين فى إفشاء العارفة، كذلك الحال فى ستر العائبة وإخفاء عيوب الآخرين فضلاً عن عيوب أنفسنا.

### الإسلام وستر العائبة

فمن يراجع الأحكام الجنائية فى الإسلام يلاحظ بوضوح تأكيد الإسلام لهذا المبدأ، فى حين لا تجد هذا فى القوانين الوضعيّة أبداً. تحكى الروايات الشريفة فى موارد عديدة أنّ أشخاصاً كانوا يأتون إلى النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله ليعترفوا بذنوب قد تستوجب

إقامة الحدّ عليهم كالزنا مثلاً، وعلى الرغم من أن إقرار العقلاء على أنفسهم حجة، أى نافذ ومقبول، إلا أن الإسلام لا يكتفى بإقرار المذنب على نفسه مرة واحدة دائماً، بل تميّة موارد يُحتاج فيها الى تكرار الإقرار أربع مرّات. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله لا يعيرهم اهتمامه، كأن يُعرض بوجهه الشريف عنهم أو ما شابه ذلك؛ لكى يمهل المذنب ويدفعه على التراجع مادام فى الأمر فسحة، ولم يكمل نصاب شهادته على نفسه.

فقد روى أن ماعز بن مالك جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني زنيت، فأعرض عنه، ثم جاء من شقه الأيمن، فقال: يا رسول الله إني قد زنيت، فأعرض عنه، ثم جاءه فقال: إني قد زنيت، قال ذلك أربع مرّات. وروى أنه صلى الله عليه وآله قال له: لعلك قبلت، أو غمزت أو نظرت؛ كل ذلك محاولة منه صلى الله عليه وآله للستر على المعترف ودفعه للتراجع والاكْتفاء بالتوبة، مما يدلّ على أن الإسلام وتعاليم النبي وأهل بيته سلام الله عليهم هى ستر المعايب لا إفشاؤها ونشرها. كما روى أيضاً أن رجلاً جاء للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أيام حكومته الظاهرية وطلب منه أن يطهره من زنا قد ارتكبه، فقال الإمام...: أيعجز أحدكم اذا قارف هذه السيئة أن يستر على نفسه كما ستر الله عليه. إن المجتمع الذى تسرى فيه روح ستر العائبة وإفشاء العارفة لهو حقيق بأن ينعم بالطمأنينة والسعادة.

### ومن عبر القصص

كان السيد أحمد الروحانيّ القمى خطيباً واعظاً يرتقى المنبر، سمعت منه بعض القصص الغتية بالمواعظ والعبر، وقد حكى مرّة فقال: أتصل بى فى أحد الأيام شخص أعرفه وطلب منى حضور تشييع جنازة أحد المؤمنين، فاعتذرت منه وقلت له: إني لا أعرف المتوفى وربما كانت لديه التزامات أخرى كان يراها أهم، وإلا- فإن تشييع المؤمن أمر قد حثت عليه الروايات كثيراً، ولا يشترط فيه معرفة المتوفى فقال لى: ولكنه إنسان مؤمن، فأرجو أن تحاول حضور تشييعه وإن لم تعرفه.

يقول: فوافقت، ولما حضرت التشييع لفت انتباهى شخص من المشييعين يبكى بكاءً مرّاً دفعنى لأن أسأله: هل أنت ابن المرحوم؟ فقال: لا.

قلت: فمن أقربائه؟

قال: لا.

قلت: إذاً فلما هذا البكاء عليه، وما هو السبب.

قال: لذلك قصّة سأحدثك عنها بعد انتهاء التشييع.

وبعد انتهاء التشييع قال: كنت رجلاً فقيراً ومعيلاً وأخجل أن أمدّ يدي إلى أحد، ولم يكن المال الذى أكسبه يكفى لمعيشتى وعائلتى، فقد كنت أستأجر لهم غرفة فى مكان متواضع وبأجرة رخيصة، وعندما يطالبني المؤجر بالزيادة، اضطرّ لنقل عائلتى إلى مكان آخر، وهكذا أغيّر مكانى كلّ مدّة، فمكثت على هذه الحال أعانى من صعوبة الحياة وضمنك العيش حتى اتّفق فى أحد الأيام أن التقيت بهذا الرجل، ولكن أى لقاء.

صادف أن دخلت إحدى المساجد فى أحد الأيام لأداء الصلاة، وكانت الجماعة منعقدة والصفوف متراصية، ولم أجد مكاناً بين الصفوف، فوقفت وحدى خلف آخر صفّ، وإذا بهذا الرجل الذى فرغنا من تشييع جنازته قد جاء ولم أكن أعرفه قبل ذلك فوقف بجانبى، وقبل أن يكبر تكبيرة الإحرام أفرغ بعض الأشياء من جيبه ووضعها أمامه لعله كان يلتزم ببعض الآداب من عدم حمل بعض الأشياء أثناء الصلاة ثم التحق بالجماعة، وفى أثناء الركوع لفت انتباهى أن فى الأشياء التى وضعها أمامه خاتماً من ذهب.

وفجأة بدر إلى ذهنى فكرة سرقة، مع أنّى لم أكن قد تجرّأت يوماً للسرقة قبل ذلك - وكنت فى ذلك اليوم أمرّ فى أسوأ حالاتى الماديّة، حتى أنه لم يكن عندى ما أبتاع به طعاماً لعائلتى.

فبقيت متردداً لحظات أحدث نفسي وتحديثي، وأجذبها وتجذبني، أسرقه أم لا؟

وأخيراً جذبتني نفسي فطاوعتها على السرقة وبدأت أخطط للأمر وأراقب الرجل؛ هل هو منتبه للأشياء التي وضعها أمامه، أم هو غارق في الصلاة ليس ملتفتاً إلى غيرها؟ فرأيت أنه كأنه غارق في صلاته، فقررت أن أسرق الخاتم في حال السجود لأن المسافة بين موضعي سجودنا لم تكن بعيدة، فكان لا يتطلب مني الأمر سوى أن أضع يدي على الخاتم قبل أن يرفع رأسه، ثم أسحبه في خفة وأضعه في جيبي وأواصل صلاتي لئلا ألفت انتباهه، ثم أغادر بمجرد أن تنتهي الصلاة.

ولكنني لم أجرؤ على القيام بذلك في سجود الركعات الأولى حتى بلغنا السجدة الأخيرة من الركعة الأخيرة وفي تلك اللحظة قررت أخيراً أن أقوم بالمجازفة مهما كلف الأمر.

وفعلاً وضعت يدي على الخاتم وسحبته، ثم وضعت يدي على رجلي، إلا أنني كنت متوجساً خيفه من احتمال أن يكون قد شعر بي، فصرت أرقبه باختلاس وريبة، فرأيت أنه وكأنه غير منتبه، فضلاً عن عدم إبدائه لأي رد فعل، خصوصاً وأنا لازلنا في الصلاة، ولكن مع ذلك بدأت دقات قلبي تتسارع وبدأت أفكر كيف أفر بالخاتم إذا انتهت الصلاة.

وبينما الأفكار تصارعني، نفذت إلى سمعي صوت الإمام قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ولما هممت بالقيام وضع الرجل يده على يدي وقال لي: الخاتم لك! ولكن قل لي: لماذا فعلت هذا؟ وعندما سمعته يقول لي: "الخاتم لك" اطمأنت قليلاً وهدأ قلبي. قلت له: صدقني إنها المرة الأولى وإني لم أسرق قبلها في حياتي قط.

فقال: هذا بادٍ عليك لأن وجهك قد اصفر ويديك ترتعشان وبدنك يرتجف، فأخبرني عن شأنك؟ فقلت له: أنا رجل معيل وقد أضرب بي الفقر، حتى بلغ بي الحال أن لا أقدر على تأمين قوت أهلي.

فقال لي: الخاتم لك خذه، ولكن إياك أن تبعه بثمن بخس. فأنا رجل غنيّ وجديد عهد بالزواج، وقد اشتريت هذا الخاتم لأقدمه هدية لزوجتي، ولكن لا بأس سأشتري لها غيره، ولكنني أنصحك أولاً أن لا تفرط به وتعرف قدره لئلا يغشوك. وثانياً إذا أردت بيعه فحين تذهب إلى بائع الذهب ربما ينكر أن يكون هذا الخاتم لك، وإذا ما حصل هذا ولكي تتخلص من مساءلة قل له: إن فلاناً وذكر لي اسمه يعرفني.

وكان الأمر كما أخبرني بالفعل، فعندما أعطيته بائع الذهب أخذ ينظر إليه وينظر إليّ مستغرباً ثم قال: من أين أتيت بهذا الخاتم، قلت: هو خاتمي. قال: ليس خاتمك، قلت: إن كنت تشتريه فادفع لي ثمنه وإلا فادفعه لي لكي أنصرف. قال: لا أدفع ثمنه ولا أسلمه لك إلا في مركز الشرطة! فقلت له: إن فلاناً يعرفني ويعرف أن هذا الخاتم لي. ولكنني لم يقتنع وطلب مني أن أحضره لكي يستين الأمر.

وبالفعل حضر الرجل وشهد لي عنده بأنه يعرفني وأن الخاتم خاتمي، فأعطاني بائع الذهب حينها ثمنه وكان كثيراً وخليّ سبيلي. ولكن هذا الرجل صاحب الخاتم لحقني وقال: ماذا ستصنع إذا نفذ ثمن الخاتم؟ فلم أحر جواباً.

فاقتحرت عليّ أن أشتري به بيتاً صغيراً في منطقة مناسبة، لكي أسكن في قسم منه، وأؤجر القسم الآخر، لكي يكون لي عائداً مستمر، ولو قليل، من إجارته.

فوافقت، وظلّ هو يبحث معي حتى وجد لي منزلاً بنفسه، فاشتريناه وكان كما اقترح.

ومرّت عليّ السنوات بعد ذلك وقد خفّ ثقل الماضي ولم يعد يقلقني ضنك العيش بتلك الصورة، فهلاً يحقّ لي إذاً أن أبكيه من كل قلبي، كيف لا، وهو الذي ستر عليّ ولم يحدث أحداً بصنيعه هذا.

أنظروا كيف أن ستر العائبة من قبل هذا الرجل التاجر أخذت بيد إنسان كان على شفير السقوط، وربما لو كان هذا الرجل قد صاح به ونهره وأذاع به أثناء سرقة الخاتم لسقطت شخصيته وانهارت كرامته ولم يبال بعدها بما سيؤول إليه أمره؛ لسقوطه عن أعين الناس،



ولتحول من إنسان بسيط إلى سارق محترف يضر نفسه والمجتمع.

## لين العريكة

### لين العريكة

العريكة: تعنى النفس والخلق، والمستفاد من استعمالاتها فى الروايات طبيعة المعاشرة مع الآخرين؛ لأنَّ العرك هو الدلك والتحمل؛ يقال: عرك الأديم أى دلك الجلد.

وحسب هذا الدعاء وكذلك من وجهه نظر الإسلام ومنطق أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فإنَّ المطلوب من الإنسان المؤمن أن يكون لين العريكة، أى سلس الخلق فى المعاشرة مع الناس.

وهذه الفضيلة فى بنى آدم إما أن تكون بالطبع، أى ما جُبل عليه الانسان، وإما بالتطبع، أى بالأخذ والاكْتساب، أو ما عُبر عنه فى بعض الروايات بالتيه، أى أن يروّض ويحمل الإنسان نفسه عليها ويتصنّعها حتى يكتسبها.

فمن لم يكن لديه نية الوصول إلى خصلة لين العريكة أو كان فى الدرجات النازلة من التقوى والصلاح فى النفس فهو كالصخرة التى يصعب التأثير فيها، أمّا من توفّر على نية الوصول إلى تلك الخصلة أو من كان فى الدرجات العليا من التقوى والصلاح فهو من هذه الجهة كالماء يأخذ شكل كلِّ شىء يحتويه.

لاشك أن الذى له نفس شديدة العريكة كالصخر، يصعب عليه تحويلها إلى نفس لينة قادرة على تحقيق المعالى ولكن يمكنه تحملها والتغلب عليها بالرياضة والتطبع ليتصّف بالفضائل فى الأقوال والأفعال، فى السراء والضراء، والشباب والشيوخه، والسفر والحضر، مع الأهل والجيران والأصدقاء بل حتى مع الأعداء.

فصقل الذات قضية صعبة للغاية، غير أنه لا بدّ للمؤمن من ذلك، ولا بديل له عن إنجاز هذه المهمة الضرورية؛ لأنَّ كلَّ إنسان تواجهه فى الحياة عقبات وصعوبات قد يشيب الطفل من بعضها، ولكن لا بدّ له من تجاوزها لئلا يتحسّر على عدم التحمل فى يوم لا ينفع فيه حسرة ولا ندم.

### ألم الحسرة على تفويت الفرصة

لقد روى أن الحسرة تعمّ جميع الخلق فى يوم القيامة بمن فيهم المؤمنون؛ لأنهم سيتحسّرون على عدم مضاعفة جهودهم فى الإكثار من العمل الصالح فى الحياة الدنيا ليزدادوا إلى أجرهم أجراً، لذا فإنَّ واحداً من مسميات يوم القيامة هو يوم الحسرة والندامة. وليست الحسرة فى الآخرة كما هى فى الدنيا؛ لأنَّ حسرات الدنيا يمكن تداركها بالسعى ومضاعفة الجهد، أمّا حسرات الإنسان فى يوم القيامة فلا يمكن تداركها؛ لانقطاع العمل بحلول الأجل.

فإذا كانت الحسرة على تفويت الفرصة تؤذى الإنسان فى الحياة الدنيا فكيف به فى يوم القيامة الذى وصفه الله تعالى بقوله: **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ؟**

نقل أحد العلماء وكان فى مجلس حضره بعض الفقهاء ومراجع التقليد:

كنت جالساً فى صحن مرقد أمير المؤمنين سلام الله عليه مع رفيق لى كان مرجعاً دينياً كبيراً حينذاك، وقد توفاه الله تعالى وكنا نتداول بعض البحوث العلمية، إذ مرّ من أمامنا سقاء يوزع الماء، وكان رجلاً كبير السن يحمل جرّة الماء بصعوبة.

فقال لى صاحبى المرجع: هل ترى هذا السقاء؟ لقد كنّا معاً زميلين فى الدراسة قبل ثلاثين عاماً، وكان يمتاز بالذكاء، ولكنّه توقّف عن مواصلة الدراسة بسبب ضغوط الحياة، فلم يقاوم، فترك الدرس واتّخذ مهنة السقاية للزائرين بدلاً عنه، لعلّه يحرز جانباً من تكاليف

معيشته.

ثم قال الناقل:

فاصطحبني ذلك المرجع ونهضنا إليه لنسأله عن حاله، فقال لنا بعد أن تذكّر زميله: إنني أتأسف وأتأسف ليلي مع نهاري على قلّة صبري وعدم تحملي بضع سنوات من الصعوبة حتى استبدلت الأدنى بالذي هو خير. فالحسرة في الدنيا تنتهي خلال سنة أو سنوات وربما تداركها الانسان، ونادراً ما تستغرق العمر كله، ولكن حسرة الدار الآخرة لا تنتهي؛ لفوات تداركها؛ فتكون أبدية ولا حيلة للإنسان حينها في التخلص منها.

### رسول الله أليهم عريكة

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو القميّة في كلّ الفضائل والأخلاق، وقد وصفه ربّ العرش بقوله تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**? وقال تعالى أيضاً: **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**، وقال في وصفه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: **وأليهم عريكة**.

ولقد نقل التاريخ آثاراً كثيرة، تروى لنا عظمة النبي صلى الله عليه وآله وتبين مدى لين عريكته، منها:

ما جرى بينه صلى الله عليه وآله وبين زوجته عائشة، فرغم أنّها تصغره بسنين كثيرة، وهو رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، والذي وصفه الله تعالى من فوق عرشه العظيم بأنّه «على خلق عظيم»، تروى عائشة أنّه: حدث نوع من الخلاف بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله فحاكمته الى أبيها، وحينما اجتمعوا بادرته بالقول: «أقصد يا رسول الله» أى أعدل. ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يردّ على إساءتها تلك ولو بأبسط ردّ، وتحمل منها ما تحمّل.

وثمة حادثة أخرى تعكس هذه الخلة الكريمة لنبينا الأعظم صلى الله عليه وآله عرفت فيما بعد بقضية القطيفة الحمراء، فقد روى أنّه في غزوة بدر فقدت قطيفة حمراء من الغنائم فزعم رجل من الأصحاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذها. فأنزل الله تعالى هذه الآية: **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ**. فجاء رجل فقال: **إن فلاناً قد غلّ قطيفة واحترفها هنالك**، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحفر ذلك الموضوع فأخرج القطيفة. وبرّ الله تعالى رسوله الكريم.

فمن لين عريكته صلى الله عليه وآله ستره للغال لتلك القطيفة وعدم تعريفه للناس فضلاً عن عدم أخذه بما اتهم به كذباً وزوراً. الخلاصة: حرّى بنا أن ندعو الله سبحانه وتعالى بأن يمنحنا هذه الخصلة، ولا ينبغي أن يتخيل بأن الانسان إذا كان لين العريكة أكل، أمّا إذا كان صلباً جلب احترام الناس وهيتهم له؛ بل العكس فإنّ لين العريكة في محلّه هو الذي يجلب القوّة والاحترام، كما أن المؤمنين إذا تحلّوا بهذه الخصلة أمكنهم أيضاً أن يكونوا دعاءً للدين بصورة عملية ويكونوا خير مصداق للحديث الشريف المروي عن الإمام الصادق سلام الله عليه: **كونوا دعاءً للناس بالخير بغير ألسنتكم**.

إنّ الدعوة العملية قد لا تكون سريعة الاستجابة، ولكنّها ستكون عميقة التأثير توتى أكلها ولو بعد حين، كما أن التوفّر على خصلة لين العريكة قد يكون أمراً صعباً ويحتاج الى ترويض، ولكنّها إذا توفّرت فإنّها تكون من أقوى أسباب التأثير في المجتمع.

### خَفُضُ الْجَنَاحِ، وَحُسْنُ السَّيرَةِ

### خَفُضُ الْجَنَاحِ، وَحُسْنُ السَّيرَةِ

يطلق الجناح لغة على الميل والكنف. فمن لا يملك مالاً فليس له كنف مال، والجاهل ليس له كنف علم. إنّ ما يستفيد الطائر من جناحه متوفّر لدى الإنسان أيضاً ولكن بصفة أخرى. فكما أنّ الجناح يعدّ مصدر قوّة ووسيلة يستعين بها الطير

على الطيران، فكذلك الإنسان ومن باب المجاز يكون له جناح متمثلاً- بقواه التي يستعين بها على الخوض في أمور الحياة. فالعلم والمال والعضلات والذكاء والعشيرة وغيرها، كلها تعدّ أجنحة يستطيع الإنسان التحليق بها في حياته؛ فمن طريق هذه الأجنحة يعي الإنسان الأشياء ويبيع ويشترى ويبطش أو يعفو، ويحفظ من المعلومات ويستنتج من التحليل أو يكون مرهوب الجانب. ولاشك أن العلم الذي يتمتع به الإنسان إنما هو نعمة تكرم الله تعالى بها عليه كسائر المواهب والقدرات، لذا يجدر به أن يحسن التصرف بهذه النعمة كما في غيرها، فيكون ذلك في رضا الله تعالى.

إن الإمام زين العابدين سلام الله عليه يسأل الله تعالى في هذا المقطع أموراً تعدّ هي الأخرى من حليّة الصالحين وزينة المتقين، منها خفض الجناح، حيث يدعو الله تعالى أن يمكّنه من الإمساك بجناحه والسيطرة عليه وخفضه عند مواضع رضاه سبحانه وتعالى؛ فلا يتكبر الإنسان بعلمه على الناس، فيخفض جناح علمه لمن سواه، وكذلك الأمر بالنسبة لسائر الأجنحة، فلا يبطر بماله وجاهه، ولا يطغى بقوته البدنية، ولا يسيء استخدام ذكائه، ولا يتعصب لعشيرته وذوى قرابته، كما لا يستميلهم في الباطل على خصمه. ولا بد للمؤمنين أن يقتفوا أثر الإمام سلام الله عليه لأنه الأسوة والقُدوة لهم فيسعدوا في التحلي بهذه الخصلة بمعونته الله تعالى.

### خفض الجناح تبة وسجية

إن خفض الجناح لدى الإنسان يُعدّ من مصاديق الخلق الحسن الذي ينبغي أن يكون عليه، لكي يكون بواسطته أهلاً لأن يشق طريقه في الحياة بقليل من الصعوبة، وهذا يوجب محبوبيته عند الناس أيضاً، وإنه خفض الجناح أمر صعب جداً، إلا أنه ممكن تحقيقه. روى عن إسحاق بن عمار عن الإمام الباقر سلام الله عليه أنه قال: إن الخلق منحة يمنحها الله خلقه، فمنه سجية ومنه تبة. قال إسحاق: فقلت: فأيهما أفضل؟

قال: صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره، وصاحب التبة يصبر على الطاعة تصبراً فهو أفضلهما.

فبدءاً، يكشف الإمام الباقر سلام الله عليه أن الخلق الحسن ومنه التواضع والصدق وخفض الجناح نعمة قد تكرم الله بها على خلقه.

ثم يؤكد أن هذه الأخلاق تكون على نحوين:

الأول: السجية، أي طبيعته متأصلة في ذات الإنسان بفعل عامل التربيّة والأجواء التي يعيش فيها، كأن يكون الجوّ المنزلي أو العام جوّاً أخلاقياً طيباً، فينمو الإنسان في ظلّه، فيتطبع بالأخلاق الطيبة. وهذا يكون من السهل عليه الالتزام بالأخلاق الفاضلة، بل قد يصعب عليه خلافها.

الثاني: التبة، أي الإرادة والقصد إلى الفعل الحسن والخلق الحسن؛ بمعنى أن الشخص بحاجة إلى إرادة وتصميم ليشق طريقه في الحياة. فالذي ترعرع في أجواء غير حميدة أخلاقاً، تراه يعاني كثيراً لكي يلتزم بالأخلاق الفاضلة والسلوك الطيب. وهذه المعاناة، إنما تقف وراء تحمّلها تبة صادقة وإرادة قاهرة لتجاوز الحالة أو الطبيعة السيئة التي يعيشها المرء مع نفسه أو مع غيره.

ولذلك فإن صاحب الطبيعة أو السجية الحميدة لا يستطيع التخلي عنها بسهولة، أي من الصعب عليه أن يستبدل بها غيرها، فلا يتكبر مثلاً، لأنه مجبول على التواضع، ولا يسرق لأن الأمانة تسرى في عروقه.

أمّا صاحب التبة فتجده يكابد ويقسو على نفسه ليصبرها على الطاعة والخلق الحسن. فعندما يحاول أن يكون متواضعاً ذا خلق حسن يجد في نفسه امتناعاً عن ذلك، حينئذ تراه يصبرها جهاداً ليرقى بمستواها حتى تأخذ طابعاً جديداً ومسلماً طيباً عبر إرادة صلبة. فكان والحال هذه صاحب التبة المكافح أفضل درجة وأرفع منزلة.

### إمكان التغيير رغم صعوبته

أمّا الذي يبدي عجزه عن إحداث التغيير في نفسه وسلوكه نحو الأحسن، بذريعة الرواسب العالقة في ذاته، فغير صائب في ذلك لأن

عملية التغيير ممكنة وإن كانت صعبة. والأمثلة على ذلك.

من المعروف وجود التنافر بين رئة الإنسان وبين الدخان الداخلة فيها يفوق التنافر الذى بينه وبين أعضاء أخرى من بدن الإنسان بما فيها العين؛ وذلك بسبب حساسية الرئة ولطافتها ورقتها من جهة، ولكونها العضو المهم فى عملية التنفس من جهة أخرى. ولكننا مع ذلك نلاحظ أن كثيراً من الناس يقومون بإدخال كميات كثيرة من الدخان إلى رئاتهم عبر السجائر بشوق ورغبة، بل أن بعضهم يشتاق إلى السجائر أكثر من شوقه إلى ألد الأَطعمة، فكيف بلغوا هذه الحالة؟

لاشك أن هذه الحالة لم تحصل دفعة واحدة بل حصلت بالتدريج، ولاشك أن الرئة قاومت الأمر برد فعل شديد فى المرة الأولى، ولكن شيئاً فشيئاً بدأت المقاومة تخف، حتى تبدلت إلى شوق ورغبة.

ينقل أن طبيياً قال لأحد المدمنين على التدخين: إن الدخان يُنقص من عمرك إلى حدّ النصف، فإذا كان عمرك سيبلغ المئة عام دون تناولك السجائر فإنه سيتدنى إلى الخمسين معها. فقال الرجل: إن خمسين سنة مع السجارة أفضل عندي من مئة سنة بدونها! وكان الرجل صادقاً فى كلامه؛ لما يحس من ضعف فى نفسه عن ممارسة إرادته التى دفنها بنفسه.

وعلى كل حال فإن إمكانية أن يبدل الإنسان طبعه بإرادته لا يخلو من صعوبة ولكنه يمكن تجاوزها مع العزم والإصرار، وهكذا الأمر فى ترك التدخين فهو الآخر بحاجة إلى نية صادقة وعزم شديد، بل هكذا هو الحال فى التحلى بالأخلاق الفاضلة عموماً، ومنها خفض الجناح.

### الأئمة سلام الله عليهم أفضل قدوة

يروى عن الإمام محمد الباقر سلام الله عليه أنه لقي فى طريق عودته من الشام إلى المدينة نصرانياً ديرانياً فسأله النصرانى: أنت من علمائها أى المدينة أم من جهالها.

ورغم أن الإمام الباقر لا يمكن أن يُقاس به أحد، إلا أنه اختار جواباً هو الغاية فى الحكمة، والقمة فى التواضع وخفض الجناح.

قال الإمام: لست من جهالها.

فعدم ادعائه سلام الله عليه العلم فى معرض جوابه، بل التلميح له من خلال نفي الجهل عنه، يعتبر القمية فى الخلق الرفيع والتواضع رسمه لنا سلام الله عليه.

### تأسى العلماء

إن الكثير من علمائنا عملهم هكذا فى مواجهة من يسىء إليهم؛ متأسين فى ذلك بسادة الخلق أهل البيت سلام الله عليهم الذين كانت من أولوياتهم وقبل كل شىء هداية الناس.

يُنقل عن هؤلاء العلماء، أن أحدهم لما أتم تأليف موسوعة فقهية له، فى النجف الأشرف بعد جهد جهيد، جاءه أحد المدرسين فقال له: إن الشيخ الأنصارى رحمه الله قد رفع المستوى العلمى فى النجف بكتبه القيمة، وأنت قد أخفضته بكتابك هذا.

وكان بإمكان مؤلف ذلك الكتاب أن يطرد هذا الرجل وينهره ويهينه من خلال استفادته من مكانته المرجعية أو مواجهته مباشرة علمية يطل فيها زعمه فى ادعائه. إلا أنه لم يختار هذا ولا ذاك، بل قال له بكل أدب وتواضع وخفض جناح: وكيف تقارننى بالشيخ الأنصارى، أين أنا من الشيخ، حبذا لو تدون ملاحظتك على الكتاب، لأكون شاكراً لك.

فلم يسع الرجل حينها سوى الاعتذار إلى ذلك المرجع وطلب الصفح عنه لما بدر منه من تحامل عليه، بالإضافة إلى أنه حدث فى ذلك الرجل بسبب هذا التواضع وخفض الجناح تغيير كلي تجاه ذلك المرجع.

## بنود خفض الجناح

لا ينحصر التواضع في كلمات معدودة أو سطور بقدر ما هو حياة عملية يعيشها المرء في أكثر أوقاته؛ وقد أشار الإمام الصادق سلام الله عليه إلى أربعة بنود فيه، في قوله:

١. من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس فلا- يتوقع الإنسان أن تكون له الصدارة دائماً في كل مجلس؛ وإن كان مستواه العلمي أو السياسي أو الاقتصادي أو غير ذلك أعلى مرتبة من غيره، بل يجلس بما إنتهى به ولا- يتعقب أسباب ذلك، بل يقبل به تواضعاً، فلا يعتبر نفسه أرفع مكاناً من الآخرين، إذ الناس مهما تفاوتت مستوياتهم المادية، تبقى لهم كراماتهم ومشاعرهم الإنسانية، فلا موجب للمساسس بها عبر التكبر وتصعير الخد لا سمح الله.

ينقل عن أحدهم أنه تعود سنين طويلة على الوقوف في الصف الأول لأداء صلاته خلف إمام الجماعة، وكان ذلك المشهد صار جزءاً لا يتجزأ من صلاته. وذات يوم جاء كعادته لأداء صلاة الجماعة فرأى المسجد مكتظاً بالمصلين ولا مجال له للوقوف سوى في الصف الأخير، فاستاء أيما استياء! واضطر للصلاة في الصف الأخير.

ولكن وهو في أثناء صلاته كأن نوراً قد أضاء في قلبه وكان هذا بمثابة فرصة ذهبية لهدايته من قبل الله تعالى حين تبتته لنفسه وللغرور الذي أصابه بإصراره على أداء الصلاة في الصف الأول، فرأى نفسه بعد ذلك مجبراً على إعادة كل صلاة كان قد صلاها في الصف الأول، احتياطاً خوفاً من أن تكون باطله لما شابها من الرياء والتكبر.

٢. وأن تسلّم على من تلقى أى لا فرق بين من تعرفه ومن لا تعرفه، الكبير والصغير، العالم والجاهل، الغنى والفقير؛ لما لذلك من أثر في إبراز أجمل صور التواضع في الإنسان؛ لأنّ إبداء السلام تستلزم كبح الذات وتأديبها وإيقافها دون انطلاقها نحو الكبر وتصوّر الأفضلية.

٣. وأن تترك المرء وإن كنت محقاً والمقصود بالمرء الجدال غير المثمر الذي لا يراى عبره التوصل إلى النتيجة المطلوبة، بقدر ما يريد المرئى أن يظهر أنه الأفهم وأن رأيه هو الصحيح، فالذات ونصرتها هي الهدف. وهذا مذموم في الإسلام.

ينقل أنّ الشيخ البهائي رحمه الله وكان المرجع الدينى الأعلى في إيران قبل حوالى أربعمائه عام زار النجف الأشرف والتقى هناك المقدّس الأردبيلي رحمه الله الذي كان معروفاً بأعلميته وكراماته ومدى اقتدائه بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام فدار أثناء لقائهما حوار علمي بينهما، شوهد خلاله المقدّس الأردبيلي يتقطّع في الجواب، مما ترك انطباعاتاً لدى الحاضرين بأعلمية الشيخ البهائي بما قدّمه من أدلّة وآراء. وفي اليوم التالي عندما ذهب الرجلان إلى مقبرة وادى السلام لقراءة سورة الفاتحة على أرواح المؤمنين ذكر المقدّس الأردبيلي ضعف أدلّة الشيخ البهائي التي قدّمها يوم أمس بالنقض والتحليل، حتى اقتنع الشيخ البهائي بصحّة آراء المقدّس الأردبيلي، وعندما سأله الشيخ البهائي عمّا إذا كان قد عكف ليلة أمس في البحث عن الأدلّة الأكثر عمقاً؟ أجابه المقدّس الأردبيلي بأنّه كان على اطلاع بها ولكن منزلته أى منزلة الشيخ البهائي كضيف فضلاً عن شهرته العلمية ومكانته الدينية، منعت المقدّس الأردبيلي من الردّ ومن كشف ضعف أدلّة الشيخ أو خطأ رأيه على مرأى من الناس، أما هنا، فلا يوجد ذلك المحذور، مما يصحّ إثبات رأيه العلمى ونحو ذلك.

وهذه الأخلاق الحميدة وخفض الجناح هو الذى أبقى اسم المقدّس الأردبيلي والشيخ البهائي وأمثالهما من علمائنا رغم مرور مئات السنين على وفاتهم.

٤. وأن لا تحبّ أن تحمد على التقوى. ولعلّ هذه الخصلة هي الأصعب من بين الخصال، إذ الحبّ وعدمه لهما مقدّمات كثيرة، فإنّ الحبّ عاطفة، وهذا ما لا يمكن السيطرة عليه بسهولة قياساً بإمكانية السيطرة على الجوارح والحواس. فعندما تكون مثلاً عالماً فقيهاً أو خطيباً بارعاً ولا تحبّ أن تُمدح على هذه المميزات، فذلك من الصعوبة بمكان، لذا ينبغي للإنسان أن يروض نفسه على عدم حبّ هذا المديح، فلا يستاء إذا لم يؤدّ الناس له ما دأبوا عليه من مدحٍ لذلك.

فيمثل هذا التواضع وخفض الجناح يبقى ذكر المرء مدى الدهر، فقد كان في زمن المقدس الأردبيلي الكثير من الأثرياء، ولكن التاريخ لم يأت لهم بذكر، لأنهم اعتمدوا في حياتهم على ثروتهم فقط، فذهبوا كما ذهب ثروتهم كهشيم تذروه الرياح، وبقي تراث المتقين المتواضعين مدرسة معطاء لمن يريد أن ينهل من معينها.

### حسن السيرة وقوة الشخصية

ومن جملة ما يطلبه الإمام السجاد سلام الله عليه من الله تبارك وتعالى من الأخلاق الحميدة التي تعدد من حلية الصالحين وزينة المتقين: حسن السيرة وسكون الريح. يقول عليه السلام: وحسن السيرة وسكون الريح. وحسن السيرة إنما يتحقق بحسن السريرة. فإذا كان باطن المرء طيباً طاهراً كان ظاهره كذلك فالسريرة الطيبة تنعكس على شخصيته الفرد وتصرفاته، والعكس بالعكس، حتى أن الإنسان ليلمسها في نفسه ويراها رأى العين. فمن كانت سريرته طيبة، لا تصدر عنه تصرفات تنم عن الكبر والغضب والعنف، سواء كان ذلك من خلال العين أو اللسان أو سائر جوارحه، حين تعامله مع أسرته، أو ما يحيط به من أفراد المجتمع على مختلف أطرافهم وأصنافهم. قال أمير المؤمنين سلام الله عليه: طوبى لمن ذل في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته (سيرته)، وحسنت خليفته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه. وبما أن قضية حسن السيرة مهمّة ومصيرية في حياة الفرد، لذا فمن الجدير بالإنسان المؤمن أن يدعو الله تعالى لينعم عليه بهذه الصفة الخيرة، ويكون دعاؤه دعاء المضطر، فيدعو من كل قلبه وبكل صدق وثقة ليحصل على ما يريد.

### سكون الريح

تعددت الشروح والبيانات لعبارة «سكون الريح» لكن الأرجح أن كلمة «سكون» تعني الثبات. أمّا كلمة «الريح» فهي استعارة للتعبير عن شخصية الإنسان، فيكون معنى سكون الريح، ثبات الشخصية وعدم تزعزعها، كما قال سبحانه وتعالى: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ؟» أي تزول قوة شخصيتكم ويفتت كيانكم.

إن حسن السيرة وسكون الريح من صفات الصالحين وحلية المتقين، فالتصرف اللائق وقوة الشخصية، والاتزان في المواقف والسلوك تأخذ بالإنسان نحو التقوى والصلاح. فلا تجدون صالحاً تقياً يميل مع الرياح أينما تميل، كأن يعتنق اليوم مذهباً وغداً يؤمن بآخر، أو يدافع عن جهة أو شخص ما دون أن يزن موقفه وفق موازين التقوى والصلاح المذكورة في كتاب الله وسيرة النبي وآل بيته عليهم الصلاة والسلام. هذا بينما ضعيف الإيمان يتحرك وفق هواء الأجواء، فبدافع حب المال وطلب الجاه يمدح هذا أو ذاك، فلا يرى شخصه ولا يهتم لكرامته بقدر اهتمامه بمن حوله، وشدة حرصه على تحصيل المكاسب الآنية الزائلة، فهو لا يهتم فيما إذا كان هذا الموقف حقاً أم باطلاً، لأنه لا يجد متسعاً تحت وطأة ميوله وهوى نفسه لاحترام هذه القاعدة الشرعية والإنسانية لأن نفسه قد استولت على شخصيته وكرامته حتى أعمته عن الرؤية الصحيحة، تلك الرؤية التي يجب عليه أن يرى من خلالها الواقع بمنظار الصلاح والتقوى.

### مثال على الذين يميلون مع الريح

لعلكم كلكم قد وصل إلى سمعكم إسم (شيث بن ربيعي)، هذا الشخص الذي يعد من النماذج الأبرز للشخصية المترلزلة، حيث يُنقل عنه أنه قد بدّل معتقده قرابة خمس أو ست مرّات أو أكثر من ذلك!! فهو الذي كان يقاتل في ركاب الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، وكان يوصف بالذكاء الانتفاعي، أو ما يُطلق عليه بالواقعية النفعيّة، أي يتصرف وفق ما يمليه عليه الواقع وما يدرّه عليه بغض النظر عن مدى حسنه أو بشاعته. فقد روى أن أمير المؤمنين سلام الله عليه اختاره من بين عشرات الآلاف من جنوده بمعينه بشر بن عمرو

وسعيد بن قيس للتفاوض والمحاورة مع معاوية؛ لعله يؤوب الى الطاعة في اتباع أمر الله سبحانه، وذلك قبيل واقعة صفين. كما أنه كان من الذين كتبوا للإمام الحسين سلام الله عليه الكتب التي تطلب منه أن يقدم إلى الكوفة، بعد أن أعلن ورفاقه نقض بيعه يزيد بن معاوية.

ولكنه حيث كان ميلاً مع كل ربح، فقد انتهى به الأمر للاشتراك بمباشرة ذبح سيد الشهداء سلام الله عليه، فضلاً عن قتاله والتأليب عليه، فكان مثال العالم الضال المتذبذب، الذي كان قد مدح أمير المؤمنين يوماً، وذمه يوماً، وكاتب الإمام الحسين يوماً، وقتله يوم عاشوراء وهو يعلم أنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه، حتى أنه كان من أمره أن بنى مسجداً عرف باسمه قد أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم. ففي رسالة صفوان عن أبي عبد الله قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام نهى بالكوفة عن الصلاة في خمسة مساجد ... ومسجد شيب بن ربيعي ... وعن سالم عن أبي جعفر قال: جددت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً لقتل الحسين ... ومسجد شيب بن ربيعي.

ومن قبله كان أبو هريرة نموذجاً بيناً لعدم الثبات في المعتقد وانعدام الشخصية، فهذا الرجل الذي يصفونه بأنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ويتردد اسمه كثيراً في كتب العامة وأعلامهم وكأنه حامل لواء الإسلام والمدافع عن حياضه، ينقل عنه التاريخ، أنه قال: الصلاة خلف عليّ أتم، وسماط معاوية أدمس، والوقوف على التلّ أسلم! أي أنه كان يصلي خلف عليّ، ويأكل عند معاوية، وإذا نشبت الحرب تنحى ووقف متفرجاً على بعد!

### الكذب والفجور

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار؛ لأن الكذب ليس مجرد مخالفة المعتقد، وإنما هو مخالفة الواقع أيضاً. قال الله سبحانه وتعالى بشأن المنافقين?: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ؟ فقولهم «إنك لرسول الله» إنما هو خلاف ما يضمرون؛ لكونهم كافرين بالله قبل إنكارهم الرسالة، فلسانهم ينطق بما لا يعتقدون، كذلك كان أبو هريرة ومثله شيب بن ربيعي، الذي كان يكذب حتى في قتاله إلى جانب أمير المؤمنين سلام الله عليه، لأن قتاله كان نابغاً عن قلب مترنزل مضطرب، فكان شأنهما ومن شاكلهما في ذلك مصداقاً لقوله تعالى?: مُذِيبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ؟

لذا يجدر بالإنسان أن يهتم كل الاهتمام بحسن سيرته كما يهتم بحسن سيرته لأنه مهما حاول التظاهر بالصلاح فإنه لا محالة سينكشف إن كانت سيرته طالحة، وإذ ذاك يكون الغرم عليه أفذح وأفطع.

### الاعتبار بقصص الماضين

كَانَ عَلِيٌّ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُؤْمِنٌ فَقِيرٌ شَدِيدُ الْحَاجَةِ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَكَانَ مُلَازِمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ كُلِّهَا لَا يَفْقِدُهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَرِقُّ لَهُ وَيَنْظُرُ إِلَى حَاجَتِهِ وَغُرْبَتِهِ فَيَقُولُ: يَا سَعْدُ لَوْ قَدْ جَاءَنِي شَيْءٌ لِأَغْنِيَتِكَ.

فَأَبْطَأَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاشْتَدَّ غَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِسَعْدٍ، فَعَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ غَمِّهِ لِسَعْدٍ، فَهَبَطَ عَلَيْهِ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ دَرَهْمَانٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلِمَ مَا قَدْ دَخَلَكَ مِنَ الْغَمِّ لِسَعْدٍ، أَفَتُحِبُّ أَنْ تُغْنِيَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ: فَهَآكَ هَذَيْنِ الدَّرَهْمَيْنِ فَأَعْطَهُمَا إِيَّاهُ وَمُرَّةً أَنْ يَتَجَرَّ بِهِمَا.

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى صِيْلَةِ الظُّهْرِ وَسَعَدٌ قَائِمٌ عَلَى بَابِ حُجْرَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَنْتَظِرُهُ، فَلَمَّا

رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: يَا سَعْدُ أَوْ تَحْسِنُ التَّجَارَةَ؟ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُ أُمْلَكَ مَالًا أَتَجِرُ بِهِ. فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الدَّرَهَمَيْنِ وَقَالَ لَهُ: اتَّجِرْ بِهِمَا وَتَصَرَّفْ لِرِزْقِ اللَّهِ.

فَأَخَذَهُمَا سَعْدٌ وَمَضَى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى صَلَّى مَعَهُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فَمَنْ فَاطَبُ الرِّزْقِ فَقَدْ كُنْتُ بِحَالِكَ مُعْتَمًا يَا سَعْدُ.

فَأَقْبَلَ سَعْدٌ لَا يَشْتَرِي بِدَرَاهِمٍ شَيْئًا إِلَّا بَاعَهُ بِدَرَهْمَيْنِ إِلَّا بَاعَهُ بِأَرْبَعَةٍ دَرَاهِمٍ. فَأَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى سَعْدٍ، فَكَثُرَ مَتَاعُهُ وَمَالُهُ وَعَظُمَتِ تِجَارَتُهُ، فَاتَّخَذَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مَوْضِعًا وَجَلَسَ فِيهِ فَجَمَعَ تِجَارَتَهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا أَقَامَ بِلَالٌ لِلصَّلَاةِ يَخْرُجُ وَسَعْدٌ مَشْغُولٌ بِالدُّنْيَا لَمْ يَنْتَهَرْ وَلَمْ يَنْتَهَيْهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ أَنْ يَتَشَاغَلَ بِالدُّنْيَا، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: يَا سَعْدُ شَغَلْتِكَ الدُّنْيَا عَنِ الصَّلَاةِ؟ فَكَانَ يَقُولُ: مَا أَضِيعُ؟ أَوْضِيعُ مَالِي؟ هَذَا رَجُلٌ قَدْ بَعَثَهُ فَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَوْفِيَ مِنْهُ، وَهَذَا رَجُلٌ قَدْ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ فَأُرِيدُ أَنْ أُوفِيَهُ.

فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَمْرِ سَعْدٍ غَمٌّ أَشَدُّ مِنْ غَمِّهِ بِفَقْرِهِ. فَهَبَطَ عَلَيْهِ جَبْرئيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلِمَ غَمَّكَ بِسَعْدٍ، فَأَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ حَالُهُ الْأُولَى أَوْ حَالُهُ هَذِهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا جَبْرئيلُ بَلْ حَالُهُ الْأُولَى. قَدْ أَذْهَبَتْ دُنْيَاهُ بآخرته.

فَقَالَ لَهُ جَبْرئيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا وَالْأَمْوَالَ فتنَةٌ وَمَشْغَلَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ، قُلْ لِسَعْدٍ: يَرُدُّ عَلَيْكَ الدَّرَهَمَيْنِ اللَّذَيْنِ دَفَعْتَهُمَا إِلَيْهِ، فَإِنَّ أَمْرَهُ سَيَصِيرُ إِلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَوْلًا.

فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَرَّ بِسَعْدٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا سَعْدُ أَمَا تُرِيدُ أَنْ تُرَدَّ عَلَيَّ الدَّرَهَمَيْنِ اللَّذَيْنِ أَعْطَيْتُكَهُمَا؟ فَقَالَ سَعْدٌ: بَلَى وَمَائَتَيْنِ.

فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَسْتُ أُرِيدُ مِنْكَ يَا سَعْدُ إِلَّا الدَّرَهَمَيْنِ.

فَأَعْطَاهُ سَعْدٌ دَرَهْمَيْنِ، فَأَذْبَرَتِ الدُّنْيَا عَلَى سَعْدٍ حَتَّى ذَهَبَ مَا كَانَ جَمَعَ وَعَادَ إِلَى حَالِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا.

## عوامل انكشاف السريرة

وهكذا يتضح أن من الممكن انكشاف السريرة عبر عوامل وحالات عديدة، كالمال والشهرة والعلم والذرية والمنصب والغضب والأمانة. وعليه فإن تأكد المرء من ما تطوى عليه سريرته ومدى معرفته بمقدار حسنها أو قبحها يمكنه من انتخاب السلوك المناسب لسيرته بين الناس لتحاشى أى خسارة أو فضيحة من جهة، وضمان أكبر قدر ممكن من الثقة والاعتداد بنفسه من جهة أخرى. فحرى بالإنسان المؤمن أن يجاهد نفسه حقَّ الجهاد لتحسين سريرته وصلها وفق الالتزام بالأوامر والنواهي الشرعية، لكي يعلم حقيقتها وما ترمى إليه، فيتفادى السقوط، ويضمن النجاح.

## مثال لحسن السيرة

لقد وعى المقدس الأردبيلي مرجع الشيعة في زمانه هذه الحقيقة فطبّقها مبتدئاً بنفسه، حتى أنه نقل عن حسن سريرته وسيرته ما يقف له الإنسان متعجباً؛ إذ قيل إنه كان ذات يوم يمشى في صحن مرقد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، فسأله أحد الزائرين دون علمه بمن يكون عما إذا كان يعرف محلاً خاصاً بغسل الملابس، فقال له المقدس الأردبيلي: أنا أغسلها لك بنفسى! ضارباً بذلك كل ما يمكن أن يكون عذراً قد يحول ما بين الإنسان وبين أداء الخدمة للمؤمنين والزائرين، الأمر الذى يكشف عن حقيقة السريرة الطاهرة لهذا الرجل النادر المثال، فقام بغسل ملابس الرجل الزائر، وعاد إليه بها في الوقت المحدد لتسليمها، فشاهده بعض من يعرفه، فقال للزائر: هل تعرف من غسل ملابسك؟ إنه المرجع الأعلى! فأخذ الرجل يبدى كل الاعتذار، فردّه المقدس الأردبيلي قائلاً: إنما أنت



صاحب الفضل عليّ، لأنك من زوّار أمير المؤمنين عليه السلام.

يُنقل أنّ الإمام، كان قد كافأه بأن كان يرحّب به في أيّ وقت أراد الزيارة حيث كانت الأبواب تفتح له دون مفتاح. وما أعظم ذلك من قدسيته وفضل.

## طيب المخالفة والسبق إلى الفضيلة

### طيب المخالفة والسبق إلى الفضيلة

لاشكّ أنّ الإنسان المؤمن يطمح لأن يكون من عباد الله الصالحين والمّتقين، ولكن لا بدّ لذلك من مقدّمات ومراحل تكون كفيلاً بذلك. هذه المقدّمات أشار إليها الإمام السّجاد في هذا المقطع من الدعاء، من جملته قوله: وطيب المخالفة والسبق إلى الفضيلة، فقد عدّهما سلام الله عليه مقدّماتين من مقدّمات تحقّق التقوى والصلاح في الإنسان.

### طيب المخالفة

لم أر في قصائد شعراء العرب أو كلمات فصحاءهم أنّهم أضافوا عبارة «الطيب» إلى «المخالفة» كما فعل الإمام سلام الله عليه في هذه الجملة. فهذا التعبير يعكس أدباً وبلاغاً رفيعتين للغاية. ولو تدبّر أدباء العرب في هذه الجملة وغاصوا في بحورها لأخرجوا من بديع معانيها وجمال الذوق فيها الكثير. ولعلّ كلّ من له أدنى إلمام بالأدب يمكنه أن يكتشف بعض كنوز ما قاله الإمام سلام الله عليه.

إنّ كلمة «طيب» تستعمل في الغالب بمعنى المستحسن المرغوب فيه، وهي نعت يشير إلى معنى حقيقي ذاتيّ غالباً، كما يُستعمل في الأمور التي هي خارج كذلك، فيطلق مثلاً على الأكل اللذيذ: بأنّه طعام طيّب؛ حيث أُضيفت إليه بعض المقبلات ذات النكهة الطيبة مع الطهي الجيّد، كما يطلق على المسك والعنبر أنّهما من الطيب.

إنّ موارد الاستعمال لهذه الكلمة، سواء في القرآن الكريم الذي هو القمّة في البلاغة جمالاً ودقّة أو في السّنة المطهّرة المرويّة عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام أو في قصائد فطاحل الشعراء مثل البحترى وأبي تمام والمنتبي ومن سبقهم كامرئ القيس وغيرهم، غالباً ما تكون في أحد موردين:

الأول: في الأمر الذاتى كما في المسك وسائر الأنواع الطبيعية حيث تسمّى طيباً.

الثاني: في الأمر الخارجى كما في الأطعمة الطيبة بسبب ممازجتها بما يجعلها كذلك.

أمّا استعمالها لإرادة معنى جديد عبر إضافتها إلى كلمة أخرى للخروج بمعنى ثالث يوحي بذاتية الأمر، فلعلّه مما تفرّد به الإمام السّجاد سلام الله عليه في هذا الدعاء، حين جمع بين الطيب والمخالفة، فلم يقل: (حسن المخالفة) مثلاً، لأنّ ذلك كان سيدلّل على رغبته في أن يكرمه الله تعالى بحاله خارجية، قد يكون باطنها غير ظاهرها، ولذلك قال: «طيب المخالفة» ليتعرّز طلبه من ربّه تبارك وتعالى بحاله داخلية يتكافأ فيها الباطن مع الظاهر.

ولعلّ من النكات الخاصّة بهذا الاستخدام، أنّه صلوات الله عليه أراد أن يضمّن كلمته أو يشربها معنىً آخر، حيث يأتي بتعبير واسع ثم يربطه بكلمة ما، ليستخرج من هذا الربط معنىً جديداً.

أمّا المخالفة فتعني لغةً: التعامل الخلقى أى المعاشرة، فمن المخالفة مثلاً إجابة الدعوة إلى الطعام وغيره من الأمور الحسنه والتكلم مع الناس والإصغاء إليهم، والتعامل بالحسنى معهم عموماً، فهي إذاً أمرٌ أكثر ما يرتبط بالحواس الخمس؛ العين والأنف واللسان والأذن والبشرة، ولذلك قيل في المخالفة: المخالطة والاستيناس.

فتارة ينظر المرء إلى أخيه بعين المحبّة وأخرى بعين الغضب، وقد يصغى إليه وقد يسمعه فقط، وقد يصفحه بحرارة، وقد يقدم يده إليه

بيرودة ليجامله وهكذا.

فهذه جملة من مصاديق المخالفة ذات العلاقة بالجانب الحسي من الإنسان والذي يطلق عليه اسم المخالطة أو المعاشرة، ولعل ما نسبته تسع وتسعون بالمئة من مصاديق المعاشرة باعتبار أن المعاشرة أعم من المخالفة مرتبط بهذا الجانب. فإذا قرنت المخالفة مع الطيب حصلت صورة جديدة تؤدي إلى تصوّر الصدق في العلاقة بين الإنسان ومن حوله، وكأن هذه العلاقة طيبة ذاتاً ومنذ البداية وأنها من الصميم. فالكلمة الصادرة عبر طيب المخالفة توحى بأنها قد خرجت من القلب، ولا يراد بها المجاملة وحسب، وتعرف على أنها كلمة صدق وليست مراوغة يراد بها المكيدة والخداع، وكذلك الأمر بالنسبة لجميع مصاديق المخالفة. فطيب المخالفة تعني إحراز الصدق وإبرازه في التعامل مع الناس. فلنغرس طيب المخالفة في نفوسنا، ونرق بعلاقتنا عبر صفاء ذواتنا ونقاء سرائرنا وسلامة قلوبنا من الكدورة. وليس شيء أبلغ وأنزه يمكن أن يحققه الإنسان في ميدان التعامل الاجتماعي أكثر من هذا الأمر.

### أهل البيت سلام الله عليهم وطيب المخالفة

يشهد المخالف والمؤلف أن أهل البيت سلام الله عليهم كانوا يتمتعون بأعلى مستويات طيب المخالفة في علاقاتهم مع الناس، مؤثرين لهم على أنفسهم، وأنهم كانوا صادقين في سلوكهم هذا ومتسمين به في كلّ المواقف وفي مختلف الظروف؛ سواء كانوا كباراً أو صغاراً، ظاهرين أو مستترين، قائمين بالأمر أو مقصيين عن الحكم. فالإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه هو نفسه في زمن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وهو نفسه في الخمسة والعشرين عاماً بعد النبي، وكذلك في أيام حكمه سلام الله عليه، لم يتغير في خلقه شيء.

لقد روى العامة والخاصة بل غير المسلمين أيضاً، قصة شراء الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه قميصين أعطى أفضلهما خادمه قنبراً، مع أنه كان يرأس أكبر حكومة على وجه الأرض، ويرتقى المنبر، ويلتقى كبار الرجال من مختلف الديانات والمذاهب والأقوام. ولم يكن يتصرف سلام الله عليه ذلك التصرف إلا لأن خلقه من سنخ خلق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فقالها سلام الله عليه مدوية: إن الله عز وجل قد فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كيلا يتبغ (أي يهيج) بالفقير فقره. ومن هنا نفهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد.

روى الفتية النيسابورية أن أمير المؤمنين سلام الله عليه أتى سوق الكرايس، فاذا هو ... فقال: يا غلام عندك ثوبان بخمسة دراهم؟ قال: نعم، عندي ثوبان. فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين. فقال: يا قنبر، خذ الذي بثلاثة دراهم ...

### طيب المخالفة تنفع صاحبها

وهناك قضية يلزم الانتباه لها، وهي أن المخالفة الحسنة إن لم تكن نابعة من داخل الإنسان، فإنه سيبتلى بالتعرض للضغوط النفسية الشديدة، جزاء تصّعه وتذبذبه، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى عجزه في المحافظة على سلامته وصحته، بينما إذا كان الفرد مؤمناً صادقاً بمخالفته أي كان طيب المخالفة فإنه سوف ينطلق إلى آفاق الحياة بكل أمن وسلامة.

إن من مميزات طيب المخالفة أنها تساعد الإنسان على مقاومة المشاكل، والصمود بوجه المشاكسين والمغالطين والمعاندين والوصول إلى بر الأمان رغم كل الظروف.

ولقد رأيت شخصين لكل منهما قصة، قد ابتلى كل منهما بمشكلة مالية، فكان الأول مختلفاً مع شخص على نسبة حصّته من أرض يتنازعان فيها، فكان يدعى أن نسبته ٨٠٪ في حين كان خصمه لا يقر له بأكثر من ٤٠٪ وكان لكل منهما أدلته وشواهد، فكان الأول يتظاهر بحسن المخالفة ويقول: رغم ثقتي بكسبي للدعوى فيما لو ترافعنا للمحكمة إلا أنني لا أقوم بذلك لأن الترافع ليس من شأنى،

كما أنّي لا أريد تعريض غريمي للهزيمة القضائية. ولكنّه بعد فترة وجيزة أصيب على أثر هذا الخلاف بانهيار أعصابه، ما أدّى إلى إصابته بالسكتة القلبية ومات على أثرها، وما ذلك إلاّ لأنّه كان يتصنّع ويتظاهر بحسن السلوك وعدم الاكتراث، ولم تكن حسن مخالفته نابعة من الداخل حتى أجهد نفسه وأتلف أعصابه.

أمّا الشخص الثاني الذي له قصّة مشابهة، فكان مثلاً حقيقياً لمن لا يكثرث بالنواحي الماديّة، وكان طيب المخالفة مع الناس، وذلك لأنّه عندما أُخبر بأن بيته قد صودر، لم يكثرث؛ وقال: إنّ الأمر ليس من شأنه أن يقلقني بالمستوى الذي يمكن أن يسوء فيه خلقى مع الناس، بل لا يمكنه أن يؤخّرني حتى عن موعد نومي الليلة.

ولعلّ من عمدة الأسباب في تفاوت سلوك الشخصين المذكورين، هو أنّ أحدهما لم يكلف نفسه عناء ترويض ذاته وتأديبها وتعويدها على الصلاح الحقيقي، بينما الثاني كما بدا من سلوكه كان أكبر همّه صقل شخصيته من خلال تهذيب نفسه بالقدر الذي يجعلها طيّعة لأمر بارئها سبحانه وتعالى. إذاً فطيب المخالفة ينتفع بها صاحبها قبل أيّ شخص آخر، سواء في الدنيا أو في الآخرة. فإذا كان لدى المرء لسان حسن، أو نظرة إيجابية، أو مصافحة حارّة، أو ظنّ حسن، أو عمل صالح فإنّ هذه وغيرها من مظاهر طيب المخالفة ستعود عليه بالنفع أولاً، وستشمل غيره أيضاً بمنافعها ومردوداتها الإيجابية.

### السبق إلى الفضيلة

من روائع البلاغة في تعبير الإمام السّجّاد سلام الله عليه أنّه ضمّ الى طيب المخالفة، السبق إلى الفضيلة. أي بعد أن يتأكد الإنسان من طيبه الداخلي وحسنه الذاتي، يمكنه أن يتقدّم خطوة نحو الأمام ليشرع في أعمال الفضائل، ثمّ يسمو إلى مرحلة التسابق أو السبق فيها. فالمرء إذا كان طيباً في داخله فإنّه لا يتوقع الفضل والإحسان من الآخرين بقدر ما يكون ديدنه الإسراع في عمل الخير وإنجاز الصالحات. فيزور قبل أن يزار، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب غيره، ويبدأ بالسلام قبل أن يضطرّ إلى ردّه، ويحترم قبل أن يُحترم، إلى غير ذلك من شواهد الإسراع في الخيرات وطيب التعامل.

وبالنسبة إلى ما ذكر من الابتدار في السلام، فقد أكّدت الروايات بأنّه من المستحبّ أن يبدأ الإنسان بالسلام على كلّ من يلقاه بل حتى على زوجته وأطفاله عند دخوله البيت، كما في قوله صلى الله عليه وآله: إنّ أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام وقوله صلى الله عليه وآله: وإذا دخل أحدكم بيته فليسلم فإنّه ينزل البركة وتؤنسه الملائكة.

ولطالما رأيت السيّد المرحوم والدى يبدؤنا بالسلام وكنت من ضمن الصبية، وعندما مضى بى العمر، تأكّدت بأنّ من وراء ابتداره بالسلام على من هم أدون منه قناعة تامّة لديه، بأنّه يحرز بذلك كثيراً من الفضل والدرجة وتربية الذات، فضلاً عن تعليم الآخرين هذا السلوك الحسن.

### قول الحقّ وإن عزّ

### قول الحقّ وإن عزّ

واحدة من أهمّ مصاديق حليّة الصالحين وزينة المتقين التي يطلبها الإمام زين العابدين سلام الله عليه من الله سبحانه وتعالى، قول الحقّ، وإن قلّ ناصروه وكثر مناوئوه وتبعته المخاطر والصعوبات.

### ملاحظتان في البدء

قبل أن نشرع في بيان ذلك لا بدّ من تأكيد نقطتين هامّتين في الموضوع، هما:

١. إن قول الحقّ يعدّ من أهمّ أسس الصلاح والتقوى للفرد المسلم، يؤيّد ذلك ما صدر عن أهل البيت سلام الله عليهم من القول بالحقّ دائماً، ولولاه لما كنّا اليوم مسلمين ولما بقى للإسلام والإيمان من أثر، خصوصاً في ظلّ محاولات الحكّام الظلمة، الهادفة إلى محو الدين وطمس أهمّ معالمه ورموزه.

٢. لقد أمرنا الدين الحنيف مراراً وتكراراً أن نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق للصلاح والتقوى، وأن نشفع سؤلنا هذا بالعمل والتطبيق؛ قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فِي إِطَارِ التَّحْرِيزِ عَلَى الدُّعَاءِ وَإِدْرَاكِ أَهْمِيَّتِهِ. وَقَالَ أَيضاً: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ حيث ينبغي أن يكون السلوك الصالح مصدقاً لما يلهج به في الدعاء.

## لماذا القول وليس العمل؟

قد يتبادر إلى الذهن هذا السؤال وهو أنه: لماذا قال الإمام في هذا الدعاء: «قول الحقّ» ولم يقل: العمل بالحقّ؟ إنّ لمعاريض كلام أهل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام جوانب عديدة وآفاقاً مديدة، وما غاب عنّا أكثر مما نستحضره، إلا أن ما يمكن قوله بهذا الصدد هو أن المجتمع الإسلامي كما هو بحاجة إلى فعل ليصدق عليه أنه مجتمع إسلامي، كذلك هو بحاجة إلى قول وتصريح بالموقف الحقّ وبحزم.

أمّا إذا اقتصرنا حياة الفرد على الجلوس في الدار دون أن يتكلّم بما يطلبه الحق منه، وتبعه الآخرون من أفراد المجتمع في الإحجام عن القول والتصريح أدّى ذلك إلى عدم العمل أيضاً، فعند ذلك لن يتحقّق الهدف المتمثّل ببناء مجتمع الصلاح والتقوى في المجتمع الإسلامي أبداً.

نعم قد جرت العادة في القرآن الكريم والأحاديث والروايات الشريفة على حثّ الإنسان على العمل أكثر من القول، نظراً لأنّ العمل هو الركيزة الأساسية في الإنسان؛ فإنّ تلفّظ الفرد بشهادة لا إله إلا الله أسهل عليه ملايين المرات من العمل وفق شروطها؛ إذ العمل بهذه الشهادة يستوجب في كثير من الأحيان تقديم التضحيات الجسيمة وتحملّ المصاعب والمشكلات الكبيرة.

ولكى يهون الأمر في سبيل ذلك فلا بدّ من نظرة إلى من نصّب بهم الله تعالى قدوة، لتؤنس وحشتنا بعضهم، وتشحذ هممنا بجميل صبرهم، فلقد كان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه نموذجاً أوحّد في العمل بمقتضى شرائط التوحيد، الأمر الذي كلفه أن يقصّي عن الحكم مدّة خمسة وعشرين عاماً، وهو الأعلم والأفضل والأتقى والأفضى من بين الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكذلك كان شأن الكثير من عظماء الإسلام ممّن شايعه واقتدى به مثل الصحابيّ الجليل أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه الذي التزم وعمل بشهادة التوحيد ما أمكنه جهده؛ فمات بسبب ذلك نفيّاً وغربةً ووحدةً وجوعاً، بعد أن كابد الفاقة والجوع قبل ذلك فترات طويلة.

إذاً المجتمع الصالح، بحاجة إلى القول كما هو بحاجة إلى العمل، ولعلّ الإمام استعمل هنا كلمة (قول) لإرادة هذا الأمر، وإن كان ثمة تناوب في الاستعمال بين هاتين الكلمتين، حيث قد تُطلق إحداها ويراد بها الأخرى، كقولهم: قال بيده هكذا أي عمل هكذا، إلا أنّ الذي هو ثابتٌ أنّه لا يكفي من أجل صلاح المجتمع، العمل بالحقّ وحده، بل لابدّ من الدعوة إليه، والتصريح به.

## ما هو الحقّ؟

ذكروا للحقّ معاني، ففي اللغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، واصطلاحاً: الحكم المطابق للواقع؛ ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك. وعندما نقرأ القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت سلام الله عليهم نجد لهذه الكلمة معاني متشابهة ومتداخلة، وكلّ معنى له خصوصيته، والجامع لكلّ معانيه هو وقوع الشيء في موقعه الذي هو أولى به. ويشخص الحقّ في الفتوى الفقيه، وفي البناء المهندس، وفي الصحّة الطبيب، وتشخيصه في التاريخ والسيره من اختصاص المؤرّخ، وهكذا.

## أفضل الحق

إن أفضل الحقّ عندما يكون إظهاره والعمل بمقتضاه عزيزاً.

أما كيف يعزّ قول الحقّ؟

إذا قلّ الشيء النافع وندر أصبح عزيزاً، فمثلاً الماء الذي تتوقّف عليه الحياة، وجعل منه كلّ شيءٍ حيٍّ، يصبح عزيزاً إذا ما ندر أو حيل بينه وبين طالبه. أما إذا كان متوفراً فلا يسمى عزيزاً رغم نفعه وأهميته، وهذا يعنى أن الشيء العزيز هو النافع النادر. والقول بالحقّ أمر حسنٌ جداً ونافعٌ، ولكن ما يجعله حليّة للصالحين وزينة للمتقين هو عندما يكون إظهاره والعمل به عزيزاً ونادراً، بسبب المخاوف والمخاطر، كالتعذيب والحرمان والاعتقال وسائر الصنوف الأخرى التى يستخدمها الظالم لإرهاب من يجترئ على قول الحقّ بوجهه.

إنّ التاريخ يتشرف بأولئك الذين صدعوا بالحقّ بعد أن عزّ وغاب قائله فضلاً عن فاعله، وأصدق من قال الحقّ فى عزّته، هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ومنهم السيّدة الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها حيث كانت أوّل المقدمين فى قول الحقّ بعد وفاء أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله حين ظهر الباطل فأصبح الحقّ عزيزاً، فكان أوّل ما قامت به عليها الصلاة والسلام هو فضحها للمؤامرة أو قل المؤامرات التى حيكت ضد الإسلام لاستهداف أصوله وصميمه، حتى تسنى بفضل قولها الحقّ أن حافظت على جوهر الدين من الدمار التام، وأبقت للمسلمين ما يتمسكون به، وإلا لنجح الشياطين فى إرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى. ومن هنا نفهم وندرك عمق تصريح النبى الأكرم صلى الله عليه وآله حينما أجاب عن أفضل الجهاد، فقال: أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر؛ فقول الحقّ بوجه الظلمة يعدّ جهاداً بل أفضل الجهاد، الأمر الذى يشير إلى مدى أهميته وخطورته، فضلاً عن ندرة المتصدى له.

وهذا الحديث الشريف ورد بلفظ عند إمام جائر أيضاً، وهذا يستدعى التأمل أيضاً؛ فكلمة (سلطان) ذات مفهوم أو استعمال أوسع من كلمة (إمام). ففى الاصطلاح الإسلامى إذا جار الحاكم الكافر سمى سلطاناً جائراً، أما إذا جار الحاكم المسلم، فيسمى إماماً جائراً. والجهاد ضدّ إمام الجور بقول كلمة الحقّ بوجهه، أفضل من الجهاد ضد سلطان الجور؛ لأنّ ما يضعف الإسلام ويؤدّى إلى تأكله من الصميم وفى نفوس المستضعفين من المسلمين ويدفع بغيرهم إلى الإعراض عنه، هو ما يقترفه إمام الجور، مثل يزيد بن معاوية لعنهما الله، الذى حكم باسم القرآن والرسول صلى الله عليه وآله، وكان فى الوقت نفسه من أعدى أعدائهما، حتى أنّه اختطّ خطّاً فى الجريمة والتجاوز على مقدّسات الدين ورموزه، لا تزال مظاهره تؤذى بدن الدين والأمة، ظاهرة فى كلّ من تقمّصها من بين الحكّام الذين توالوا بعده وهم يحملون معاول التحريف بالدين والتنكيل بالأمة كلّما تهبّأت الظروف لهم.

ومن هنا أكّدت الأحاديث الشريفة بأن ظالمى محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله لو كانوا قد امتنعوا عن الظلم والاضطهاد، وفسحوا المجال لأمر المؤمنين عليه الصلاة والسلام بممارسة دوره بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لما بقى على وجه الأرض كافر، لأنّ الإسلام الذى يطبّقه على بن أبى طالب ويحكم هو به هو الإسلام الحقّ وإنّما هو ضياء ورحمة للعالمين، وكلّ من لم يكن جاهلاً أو معانداً، فمن طبيعته أن يبحث عن الضياء ليتهدى به.

إنّ كلمة الحقّ كثيراً ما تؤدّى بقائلها إلى المشكلات وحتى القتل، كما فعلت مع الشاعر الصنديد دعبل الخزاعى. فما قاله فى إمام الجور هارون العباسى كان وحده يكفى فى تعريض حياته للخطر، فاضطرّ إلى التشرّد والتخفى بين البلدان، بسبب قوله:

قبران فى طوس خير الناس كلهم

وقبر شرّهم، هذا من العبر

لا ينفع الرجس من قرب الزكى ولا

على الزكي بقرب الرجس من ضرر حتى قال في مناسبة: أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة، لست أجد أحداً يصلبني عليها.

## وفي الزهراء قدوة

روى أصحاب الحديث ومن مختلف الطرق إسرار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بضعة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها حين دنت وفاته وقوله لها: ليس أحد من نساء المسلمين أعظم رزية منك.

وليس سبب هذه الرزية كما تشهد بذلك الوقائع التاريخية كافة سوى قولها كلمة الحق في باكورة الخيانة الكبرى التي أفرزتها السقيفة، وبعد أن علم مناوئوها باستعدادها وإصرارها على قول كلمة الحق وعدم اكتراثها بمن يتنازل أو ينهزم؛ خوفاً أو طمعاً بمن صير نفسه إماماً للمسلمين وهو الذي صرح بنفسه في أكثر من مناسبة «وُلِّيتكم ولست بخيركم»، ناهيك عن صنوه وقرينه الذي كشف عوراته للناس عندما أعلن سراً وجهراً بأن جميع الناس بمن فيهم النساء أفضله منه، وهو الذي أصدر حكم الإعدام الجماعي ضد كل من كان طوله يقل عن خمسة أشبار.

تري، لماذا رزئت الصديقة الزهراء سلام الله عليها وهي سيده نساء المسلمين والعالمين، بل كيف ولماذا تكون رزيتها الأعظم من بين سائر النساء المسلمات؟

ذلك لأنها تحملت مسؤولية الحفاظ على الإسلام مع زوجها الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، عملاً بوصية أبيها صلى الله عليه وآله وذلك عبر كلمة الحق التي قرعت بها سمع حشود المسلمين الذين قبلوا لوصي المصطفى ظهر المجن، حتى أنها اضطرت سلام الله عليها إلى مصارحة عدوها بالحرف الواحد حين قالت له: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة.

ما أعظم رزيتها سلام الله عليها وهي تتخطى الرقاب لتدلى بخطبتها، وما أعظمها من كلمة حق عند إمام جائر، قد صدرت ممن يغضب الله لغضبها ويرضى الله لرضاها، لترسم لنا بذلك خط الإسلام الأبوي، وتقول للتاريخ والأجيال: هذا هو الإسلام الأصيل الذي بُعث به أبي صلى الله عليه وآله.

فالتوفيق لقول الحق إن عز وندر، يعد من علامات التقوى وزيتها والصلاح وحليته، كما قال الإمام السجاد سلام الله عليه، ويتحقق ذلك بالطبع ضمن شروط وحالات حدتها كتب الفقه في مظانها.

والمعرضون عن إظهار قول الحق حين يحق بوجه الجبايرة والطغاة، لا يعدون من الصالحين والمتمقين، وإن كانوا يصلون ويصومون، لأنهم بإعراضهم يدهنون الظالمين الجائرين الذين لا يهتمهم صلاة من صلى أو صوم من صام، بقدر اهتمامهم بالطاعة وإبداء الصمت والتسليم لهم من قبل رعاياهم.

إن مولانا فاطمة الزهراء سلام الله عليها آلت على نفسها إلا قول الحق بوجه إمام الجور بل أئمة الجور، وإن كان يستجلب لها الظلم من قبلهم وسلبها راحة العيش. والأمر هكذا قد تم فعلاً بعدما أنهت خطبتها حتى وصل الحال بهم أن صنعوا ما صنعوا، مما يعرفه الكل. فالتمسك بقول الحق هو من أساس التقوى والصلاح، خصوصاً حينما يقل ناصره ويكثر مناوئوه ويعز قائله ويكثر الصامت عنه.

## استقلال الخير واستكثار الشر

### استقلال الخير واستكثار الشر

من المسائل التربوية الأساسية هي أن يستقل الإنسان الخير الصادر عنه، وأن يستحضر هذا المعنى دائماً ويلقن به نفسه باستمرار، وأن يلاحظ اللوازم التي أدت إلى صدور فعل الخير منه، فلا يعتبر سهمه في إنجازه.

وحرى بالإنسان المؤمن أن يوكل تقييم ما أنجزه إلى الله عز وجل، لقوله تعالى؟: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا؟

ليس المقصود من استقلال الخير احتقاره، بل أن يجد الإنسان نفسه أنه لا يستغنى عن الاستمرار في فعل الخير والمواصلة وإن كثّر فعله له، لثلا يرى أنه أتم الواجب وزاده.

إن الإنسان إذا أصابه هاجس الاستكثار لما فعل من الخير؛ أدى ذلك إلى الغرور. حتى أن بعض الناس يغتر لمجرد عمل بعض الصالحات، ولذلك فعلى الإنسان أن يعرف بأن استقلاله للخير هو بمعنى إيجاده الدافع في نفسه نحو إدامة العمل الصالح والإكثار منه.

ففى طلب الإمام سلام الله عليه، نرى نقاطاً جوهرية؛ وهى:

١. طلب المدد الإلهي.
٢. الكشف عن الطبيعة الإنسانية الخاصة، فى هذا الصدد.
٣. قدرة الإنسان على تحقيق هذه المهمة.
٤. استقلال الخير، قولاً أو فعلاً، فى داخل نفوسنا.

كما إن استكثار قليل الشرّ واستعظامه يعنى إيجاد الرادع الذى يحول دون ممارسة المزيد من الأخطاء، فضلاً عن عدم التجرؤ على الله عز وجل عبر استصغار السيئات والتغافل عنها.

إضافة إلى أنه ينبغى للعبد أن يراقب الله سبحانه وتعالى فى المعصية، بغض النظر عن كمية المعصية ونوعيتها؛ فلعله يؤوب الى رشده ويستعظم فى نفسه خطاياها وإن قلت وصغرت.

فإنك قد تمزح مزحة بسيطة أو غير مقصودة، أو قد تمسّ بيدك عباءة شخص ما محاولاً إبعاد شىء عنه، فيترعج لذلك؛ ففى مثل هذه الحالات أيضاً يجب عليك أن تستكثر خطأك وتستعظمه وإن كان غير مقصود.

وهذا الحث على متابعة مثل هذه الملاحظات كفيلاً بأن يصنع من الإنسان موجوداً رهيئ الحسّ يشعر بالمسؤولية الدائمة عما بيد منه من تصرفات وإن كانت صغيرة أو قليلة، فيتنبه؛ بينما الغفلة عن الصغائر وعدم الاكتران بها وإهمالها يمكن أن يحولها إلى كتل كبيرة كما هو الحال فى كرة الثلج التى تبدأ حين تدرجها من قمة المرتفع بحبات أو ذرات بسيطة من الثلج لتفاجئ من هم فى الأسفل بوجودها الضخم ولذا يجب أن يتنبه الفرد إلى أن عدم استصغار قليل الشرّ بحد ذاته يعتبر إصراراً عليه، وهو ما ورد التحذير عنه فى كثير من الروايات باعتباره تجريباً على الله سبحانه وتعالى، والعياذ بالله.

### بين الاستقلال والاستكثار

إن للمؤمن مع نفسه حالات يمكن من خلالها أن يعلم مدى ارتباطه بالله عز وجل.

مثلاً: لو قُدر للإنسان أن يصلّى صلاة الليل فى ليلة باردة، فذاك فعل خير متميّز يستحقّ عليه جزيل الثواب، ولكى يتعود على ذلك ويستمر به، عليه أن يستقلّه ويرى أن القسط الأوفر منه هو توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم نعمه الكثيرة التى هيأت له إمكانية الأداء.

وكذلك الحال لو بدأ بالسلام على أخيه المسلم أو صام صوماً استجبائياً إلى غير ذلك من الصالحات، فلا ينبغى له استكثاره أبداً. لا ينبغى الاستهانة بأية سيئة، مهما كان حجمها وبعدها، فإنه لو شاء الله عزّ اسمه، لأخذ الفرد على ذلك وأذاقه وبال أمره، لأنّ الخطيئة بغضّ النظر عن حجمها وطبيعتها، هى بمثابة التحدى والجرأة على الله عزّ وجلّ، من خلال الاستخفاف بتشريعه، وكأنّ الإنسان لدى ممارسته الذنب يريد أن يثبت بطريق باطل وجوده بإزاء وجود الله وجبروته وأوحديته فى حقّ التشريع وفرض الإرادة وبسط المشيئة.

فما هى قيمة الإنسان الذليل الفقير حين يضع نفسه بإزاء خالقه العزيز الغنى، كى يسوّغ لنفسه بأن يرتكب ما يرتكب من الخطايا

والذنوب، ثم لا- يستكثرها ويصرّ عليها مستكبراً جذلاً وكأنه قد بلغ الجبال طولاً وخرق الأرض قوّةً، وأنّى له التناوش وهو الكائن الضعيف لولا عقله الذى زينه به البارئ تبارك وتعالى، وأوجب عليه إعماله لمعرفة قيمته من خلال الاطلاع على خبايا نفسه، وليتسنى له معرفة ربه تعالى.

لهذا وغيره يجدر بالإنسان أن يكون حذراً للغاية فى موقفه من الخطأ، فيحصى على نفسه كل زلّة وهفوة، ضمن برنامج دقيق يقضى بمحاسبة النفس، لئلا يتسع عليه الخرق.

روى أن النبي صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: ائتوا بحطب. فقالوا: يا رسول الله، نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب. قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه. فجاؤوا به حتى رموا بين يديه، بعضه على بعض.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذنوب. ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شىء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شىء أحصيناه فى إمام مبین.

وبما أن الإنسان مبتلى بالنفس الأمارة بالسوء فضلاً عن وسوسة الشيطان اللعين، فإنه يغفل عن الواجب من محاسبة النفس.

ولأجل ذلك، فهو بحاجة إلى تصميم قاطع، تبعاً لأهمية الموضوع.

ويلزم أن نعلم جميع الواجبات الملقاة على عواتقنا وبالأخص تلك التى لا نغيرها أهمية بسبب جهلنا أو تجاهلنا لها والعمل بمقتضاها، مثل واجب أداء حقوق الجار وما ينبغى له علينا من العلاقة الطيبة وتفقد أوضاعه والدعاء له، كما كانت تفعل السيدة الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها حيث روى أنه رآها ولدها الإمام الحسن المجتبى عليه الصلاة والسلام فى مصلاًها تعبد ربها وتدعو للجيران حتى طال بها المقام إلى الفجر، فسألها عن سبب اهتمامها الكثير بالجيران وعدم ذكرها لنفسها أو أفراد أسرته فأجابته قائلة: الجار ثم الدار.

فالكثير من الواجبات المنسية يتوقع من الإنسان الاهتمام بها لكى لا يفاجا يوم القيامة بكتاب يحوى كل ما غاب عنه أو غيبه عامداً بنفسه فيتضاعف لديه الإحساس بالندم والحسرة، وقد صورت الآية القرآنية هذه الحقيقة؟: **وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ؟** حين يرى الناس أنفسهم صفر اليمين بسبب ما نسوا من الواجبات أو تناسوه، أو بما استكثروا من فعل الخيرات، حين ألحقوا أعمالهم بالمن والأذى، فحبطت أعمالهم وهم لا يشعرون، غافلين أن ما كانوا قد فعلوه من الخير إنما هو بهداية الله تعالى وتوفيقه، فهو الذى زودهم بنعمه الجزيلة، وهو الذى هداهم ومهد لهم السبل وسهل عليهم فعل الخير.

ولقد نقل لنا التاريخ ما قام به أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله فى هذا الإطار لتتخذ نبراساً تسير وفقه حياتنا الإيمانية، منها ما روى عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: أنه كان يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجراً، ولم يعتبر ما قام به شيئاً.

كما روى عن الإمام الحسين صلوات الله عليه حين قصده فقير، فقدم له أربعة آلاف دينار ما يعادل عشرة كيلوات من الذهب واعتذر له من وراء الباب على أنه لو كان باستطاعته تقديم الأكثر لفعل.

وكذلك روى عن الإمام السجاد وأولاده الميامين سلام الله عليهم هذا السلوك. وهؤلاء هم أئمتنا الذين يجب أن نفتدى بهم، وهكذا كان علماءنا رضوان الله تعالى عليهم، فقد كانوا على مستوى رفيع للغاية من الأدب مع ربهم، مما يشير إلى وعيهم وإدراكهم حقيقة الحياة ودورهم فيها، فكانوا يستقلون الخير المنبعث منهم ويستكثرون الشر الصادر عنهم ويقدمون خدمتهم للآخرين على طبق من الإخلاص، ولا- يلحقون بما قدموا مناً ولا- أذى ولا- عجباً ولا- رياءً، كما كانت عبادتهم الغاية فى الكثرة واليقين، ومع ذلك لم يستكثروها، فكانوا النموذج المثالى لذلك.



يطلب الإمام زين العابدين سلام الله عليه من الله سبحانه وتعالى، ويعلمنا أيضاً أن نطلب منه عز وجل أن يخلق في نفوسنا حالة استقلال ما يصدر منا من الخير، فلا نستكثره فتوقف عنده، وإنما نستعينه تبارك وتعالى ليجعل فينا حالة الإصرار على الأعمال والأقوال الصالحة، لنكون بمثابة شعله دائمة التوهيج، عميمة النور وكذلك نطلب من الله سبحانه، أن يجعل في ذواتنا حالة استكثار الأعمال والأقوال الطالحة التي ربما تصدر لا سمح الله منا.

وهذا الشعور ينبع من إدراك الإنسان بأن ما قدمه ويقدمه من الصالحات قليل، لعدم تناسبه مع ما ينبغي له من السمو في فعل الخير والصالح.

والإنسان إذا ما استطاع السير في طريق استقلال الخير واستكثار الشر، فإنه سيصل إلى واقع آخر، وهو شعوره بالتقصير والعبودية في آن واحد أمام ربه العزيز فيزداد تعلقه بربه ليرتقى الى مراتب من السمو والكرامة الحقيقية، كما تحقق ذلك للأولياء والصالحين ممن أنعم الله عليهم وأكرمهم بكرامة القرب منه.

### استكثار الشر

أمّا المطلب الثاني الوارد في الدعاء، فهو الطلب من الله تعالى أن يخلق فينا الشعور باستكثار الأعمال والأقوال الشريرة وإن كانت ضئيلة، ليكون هذا الشعور رادعاً يحول دون تمادينا في باطل الحياة الذي يؤول بالإنسان إلى عقاب الله وعذابه الشديد.

فالإنسان حينما يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعطيه ملكة استكثار الشر وإن قل، يكون قد سلك شيئاً طريق استقباح كل شر، وهذا ما يؤدي به تدريجاً إلى الامتناع عن كل شر وإن قل وصغر.

ولعل هذه الحالة النورانية هي التي بلغت ببعض الأولياء والصالحين إلى طي المسافات بعد تجشم العقبات ليبلغوا عند عتبات العصمة التي تمثل الذروة فيما يمكن للإنسان من غير النبي والأئمة أن يبلغها، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فإن مرتكب الشر والجريه ينبغي أن يعلم بأنه إنما يسيء لما استخلفه الله عليه، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي لكل شيء؟ إنا لله وإنا إليه راجعون. فنفس الإنسان وكيانه ووجوده ملك صرف لله تعالى وحده، وهذا الملك صائر وراجع إليه دون سواه، وعليه؛ فابن آدم مدعو إلى مراجعة نفسه ومحاسنتها على ما ارتكبتها من شر فيما لا تملك؛ إذ ارتكاب الشر يعني جملة وتفصيلاً تجاوزاً وانتهاكاً لحرمة الخالق وسلطته على مخلوقاته، والتي في ضمنها الإنسان نفسه، وسائر ما يحيط به.

لذلك فإن الذنب مهما تضاءل في نظر صاحبه، فهو كبير في مقياس العبودية فضلاً عن أنه يعد استخفافاً يجر إلى استسهال التجري على العصيان، وبالتالي يرى الإنسان نفسه أداة طيعة لمختلف حالات الإجرام والمعاصي.

فالمفترض بالإنسان أن يقطع الطريق على وساوس نفسه وما يملئ لها الشيطان، لئلا يقع فيما لا يحمد عقباه، فيستشعر فداحة ما يصدر عنه من الأخطاء التي منعه الشارع المقدس عن الوقوع فيها.

### هل يصدر الشر من الإمام ليستكثره!؟

لقد ثبت بالأدلة النقلية والعقلية القطعية عصمة أئمة آل البيت عليهم الصلاة والسلام ومنهم الإمام زين العابدين سلام الله عليه، ومما لا شك فيه عدم صدور الشر من الإمام، والإمام السجاد سلام الله عليه شأنه شأن سائر أهل البيت صلوات الله عليهم لا يصدر عنه ترك الأولى، فضلاً عن ارتكابه الشر والعياذ بالله.

فطلبه سلام الله عليه من الله تعالى أن يدفعه عن استكثار الشر، وأن يجعل فيه حالة استقباح الباطل وكرهه له، ينبغي النظر إليه بملاحظة سائر الجهات أي: بمنظار أوسع.

فمن تلك الجهات هي أن الإمام يهدف إلى إرشاد وتوجيه المؤمنين إلى أن يطلبوا من الله ذلك، وكأنه في هذا المقام يوحى إلى

قارنى هذا الدعاء بضرورة الانتباه وتمييز الحالات النفسية فى ذات كل إنسان لدى قيامه بعمل الخير أو الشر، كما تقدّمت الإشارة إليه. ومن تلك الجهات أنّ الإمام يخاطب الربّ بلسان المخلوق الذى لا تنفكّ عنه لوازم المخلوقية، ومنها العجز، فإنّ المعصوم وإن كان أعلى من غيره بفاصلة غير متصوّرة، ولكن هذه الفاصلة تبقى دون الفاصلة اللامحدودة بين الخالق والمخلوق. فمن لوازم المخلوق العجز والمرض، والإرهاق والتعب، لذلك فإنّ المعصوم مع تلك الطوارئ التى تعرض عليه كإنسان يجد نفسه قاصراً تجاه أداء حقّ العبوديّة لله تعالى وإن كان معذوراً.

لقد جاء فى روايته سماعه أنّ الإمام الصادق سلام الله عليه قد حال المرض بينه وبين الصوم لمدّة ثلاث رمضان متتالية لم يصم فيهنّ ثمّ أدرك رمضان، قد عافاه الله فيه، فصامه وتصدّق بدل كلّ يوم ممّا مضى بمدّ من الطعام. فكأنّه سلام الله عليه يشعر فى مثل هذه الحالة بالتقصير وإن رُفِع عنه التكليف بسبب مرضه.

وإذا أردنا أن نضرب لذلك مثلاً، نقول:

إذا سيطرت عليك رغبة قويّة لرؤية إمام العصر؛ الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه ولو لدقيقة واحدة، ثمّ بحثت عن وسيلة تحقّق ذلك، فقليل لك: إنّ وسيلة ذلك هى أن تعمد إلى أنواع خاصيّة من العبادة، بواسطتها يستجيب الله تعالى لطلبك فى رؤية الإمام، وفعلاً بدأت تلك العبادة والأعمال، ولكنك لم توفّق لرؤيته عجل الله تعالى فرجه الشريف، فأعدت الكثرة، واستغرق منك الأمر أشهراً وسنين مديدة، ولم تفتر فيها عزيمتك أو تخمد رغبتك، ثمّ صادف أن ابتليت بمرض عضال أقعدك عن القيام ورأيت نفسك مجبراً على ملازمة فراش المرض دون أن تستطيع حتى تحريك ساقيك. وفى تلك الأثناء، ظهر لك من كنت تتمنى رؤيته ولو لدقيقة واحدة وكنت على يقين بأنّ هذه الرؤية ستضمن لك سعادة الدارين الدنيا والآخرة فأردت أن تُظهر له مقدار حبّك وإجلالك له والتعبير عن مدى شوقك إليه، فعزمت على القيام، فعجزت، وأردت أن تجمع قدميك مستجمعاً كلّ قواك احتراماً له، فلم تقدر، إذ ذاك تبادر بالاعتذار إليه، معتبراً قصورك هذا تقصيراً بحقه وبرفيع منزلته، للعجز من جانبك، الأمر الذى من شأنه أن يقربك إلى وليّ الله الأعظم أرواحنا فداه.

فالمعصوم لا يخرج عن كونه إنساناً، علم الله ما سيكون عليه من النزاهة والإخلاص والتقوى، فزاده من فضله ضمن قوانين كتبها سبحانه وتعالى، كما كتب على نفسه الرحمة لخلق من قبل.

وليس أعظم من نعمه العصمة التى أنعم الله تعالى بها على الإنسان، فأصبح نبياً أو وصياً وإماماً، ولذلك فهى نعمه العصمة تستوجب المزيد من الخضوع له تبارك وتعالى، كما تستوجب على المعصوم تحمّل عدم قدرة الإنسان على استيعاب الفاصلة اللامحدودة بين المخلوق وعظمة الخالق وعدم وجود عبادة قادرة على تقليل تلك الفاصلة.

ومن مصاديق ما كان المعصوم يعتبره شراً رغم العذر الشرعى له هو ما ورد فى خبر سماعه عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه.

## دوام الطاعة

يوضّح الإمام السجّاد سلام الله عليه بقوله: وأكمل ذلك لى بدوام الطاعة. أنّ كمال استقلال الخير واستكثار الشرّ يتوقّف على دوام الطاعة، فلا يتوقّف ابن آدم عند حدّ من الحدود فى كدحه إلى ربّه عزّوجلّ، بل يسأل ربّه ثمّ يعزم على العمل الطاعة بصورة دائمة، وإن كانت قليلة، فقد ورد فى الأثر: قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول، والمرء إذا تعود فعل الخير وإن قلّ، تاق إلى أكثر منه، لما سيشعر بذلك من اللذة، وبما سيتكرّس لديه من الرغبة فى الحصول على الجزاء الأوفى.

## قصة الابتلاء وعبرة الإجابة

نقل لى من أثق به عن أحد العلماء أنّه كان بصدد تأليف كتاب فى الدفاع عن مقام أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وإثبات حقّهم،

فانشغل بجمع المصادر، حتى أوقفته الحاجة إلى أحد الكتب المهمة، فبحث عنه بحثاً كثيراً، لكن دون أن يوفق للعثور عليه، فرأى أن يذهب إلى مرقد أمير المؤمنين سلام الله عليه وأن يتوسل به ليهيئ له وسيلة العثور عليه، وطال توصله أشهراً، وهو خلال ذلك لم يكلل عن البحث عنه في المكتبات.

قال العالم: وذات يوم كنت قرب ضريح أمير المؤمنين صلوات الله عليه، واضعاً عباءتي على رأسي وكانت هذه الهيئة منه لثلاً يشغله شيء عن توجهه منشغلاً بالدعاء إلى الله تعالى والتوسل بالإمام ليرشدني إلى ضالتي، سمعت صوت رجل قروي قريب مني يكثر الإلحاح على الإمام في أن يجيبه لما يريد، وقد ضمن كلامه كلمات حادة وفيها تهديده بعزمه على عدم زيارة الإمام أبداً إذا لم يجبه. قال: فتأثرت لذلك كثيراً، وهالني هذا الأسلوب الفص في التحدث مع سيد الأوصياء وأمير المؤمنين سلام الله عليه، وأردت أن أعاتب الرجل وأؤنبه عما بدر منه، ولكنني أحجمت عن ذلك وقلت في نفسي إن الإمام أعرف بلسان الرجل.

قال: بعد أيام قلائل وبينما كنت عند الضريح مستمراً في توسلي بالإمام إذ سمعت الرجل نفسه وقد بدت على كلامه أمارات السرور، وهو يصفى للإمام عبارات المدح والثناء بأسلوبه الخاص، وكأن الإمام قد قضى له بإذن الله حاجته. فتأثرت في نفسي من سرعه الإجابة لهذا الرجل القروي في شأن من شؤون الدنيا، بينما أتعرض للإهمال في ما نويت فيه الدفاع عن حق أهل البيت.

فقلت ذلك لأمر المؤمنين، لكن ندمت بعده، وعدت إلى البيت غارقاً في التفكير ولم أعد أشتهي تناول الطعام وقد هجرني النوم. وحين الصباح جلست إلى أوراق لي لكي أكتب شيئاً، والضجر يملأني، جاءني ابني ليقول لي: بأن رجلاً كان جاراً لنا قديماً حيث كنا نسكن في منطقة أخرى يريد رؤيتي. فقلت له بأن يسمح له بالصعود إلى غرفتي.

وحينما استقر به المكان قال لي: إن سبب زيارتي لكم هو أننا انتقلنا من المحل الذي كنا وإياكم فيه، إلى بيت آخر، وحين انشغلنا بتنظيف البيت رفعت ولدي إلى أحد الرفوف لينظفه، فوجد فيه كتاباً قديماً، فنزل به وأنا لا أعرف القراءة والكتابة، فرأيت أن أمره بوضعه في مسجد المنطقة ليستفيد منه الآخرون، ولكنني غيرت رأياً حينما تذكرتك وقزرت أن آتيك به. فبحثت عنك، إلى أن وجدت دارك، وها هو الكتاب.

قال: فتناولت منه الكتاب وفتحته، فإذا نفس الكتاب الذي استغرقت في البحث عنه أشهراً، فأسقط في يدي، وتأكدت من أن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه إستجاب لطلبي، ولكن بعد مدة.

والسبب في تأخير الإجابة، رغم قدرة الإمام بإذن الله تعالى عليها فوراً، هو الإمتحان أحياناً، قال الله تعالى: **أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ؟** بمعنى أن لكل امرئ امتحانه وبلاءه ليثبت جدارته ويرفع من منزلته عبر الاستمرار في الطاعة والإلحاح في الدعاء الذي هو عبارة عن وسيلة لتقوية علاقة العبد بخالقه من جهة، ولكي يشمل الله سبحانه عبده بمزيد من العناية والرحمة من جهة أخرى: **قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ؟**

## إغتنام الفرص

من الضروري اغتنام الفرص الحسنة للاستزادة من العبادة والطاعة، لاسيما أيام شهر رجب الأصب وشهر شعبان المعظم وشهر رمضان المبارك، ليكرس فيها الإنسان ما يملك من قوة ليعي العبادة ويقوم بأدائها حق الأداء بالإضافة إلى مواصلة مهمة محاسبة النفس، كما أمرت بذلك الأحاديث والروايات الشريفة التي نقلها كبار علمائنا في كتبهم؛ فقد ورد عن أهل البيت صلوات الله عليهم أن الله يجزي عامل الصالحات والمحاسب لنفسه من الجزاء - خاصة في هذه الأشهر المباركة، ومنها شهر رجب الأصب الذي تُصب فيه الرحمة والبركة على رؤوس العباد صباً ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والورع عن محارم الله من الأمور الموصى بها في هذه الأشهر خاصة، الأمر الذي يستلزم معرفة المحرمات أولاً. وبالورع تقل نسبة الحسرة في يوم القيامة بعد ما يرى ما يناله المتقون مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وهذا كله يكون بالخروج

من الامتحان الإلهي بنجاح.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبُرْتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصَيْبْتُ، وَلَا تَبْتَلِنِي بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ وَلَا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَلَا بِالْتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ وَلَا مُجَامَعَةٍ مِنْ تَفَرُّقِ عَنكَ، وَلَا مُفَارَقَةٍ مِنْ اجْتِمَاعِ إِلَيْكَ...

?أوسع الرزق وأقوى القوّة

?الابتلاء بالكسل عن العبادة والعمى عن سبيل الله

?عدم التعرّض لخلاف محبّة الله

## أوسع الرزق وأقوى القوّة

### أوسع الرزق وأقوى القوّة

يسأل الإمام من الله تعالى سعة الرزق حين الكبر، وأقوى القوّة حين النصب. ولاشكّ أنّ رزق الإنسان على الله في تمام عمره بل كلّ مخلوق رزقه على الله تعالى؟! وَمَا مِنْ دَائِيَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا.?

والرزق قد يكون موسّعاً وقد يكون مضيقاً. وحيث إنّ قوى الإنسان تضعف في الكبر عادة، الأمر الذي يؤدّي الى ضعفه عن الحركة والنشاط كما كان أيام شبابه، لذلك فإنّه غالباً ما يحتاج إلى من يعينه ويأخذ بيده للقيام بأكثر أموره ومنها الحصول على رزقه. فإذا كان الرزق واسعاً كانت الحاجة إلى المساعدين أقل، والعكس بالعكس، وليس كلّ إنسان يتمكّن من تحصيل من يساعده في تمام شؤنه، حال شيخوخته. لذلك ترى الإمام سلام الله عليه يخاطب ربّه الجليل ويطلب منه أن يجعل أوسع رزقه له أيام كبره وشيخوخته ليكفيه مؤنه ولا يكله إلى غيره، لأنّه أحوج ما يكون لسعة الرزق في تلك الفترة؛ لضعفه عادةً وصعوبه تحصيل من يقدم له العون بلا منّة أو أذى.

### بحث في الرزق

هنا ملاحظتان:

الأولى: إنّ الرزق قد يكون بالمعنى الأخصّ وهو الرزق المادّي، وقد يكون بالمعنى الأعمّ وهو ما يشمله ويشمل الرزق المعنوي أيضاً، ولعلّه هنا يُراد به المعنى الثاني، أي الأعمّ.

الثانية: إنّ الإمام أضاف الرزق إلى الله تعالى، فقال: «أوسع رزقك» وإن كان يصحّ نسبته إلى نفسه أيضاً باعتبار آخر، أي الحصّة التي قسم له منها فإنّ الرزق يصدر عن الله تعالى ثمّ يصير إلى العبد، ولذلك يصحّ التعبير «رزقك يا إلهي وقوّتك» وأيضاً: «رزقي»، ويراد به «الرزق الذي أنت منحتني يا إلهي» لمناسبة دخول ياء المتكلّم هنا كما ورد في بعض الأدعية.

إذاً لماذا عدل الإمام في هذا الدعاء إلى التعبير الأوّل وهو «رزقك»؟

ما يمكن استفادته في المقام أمران:

الأول: استبطان الشكر في هذا التعبير. أي أنّه أشرب معنى الشكر من خلال الاعتراف بأنّ الرزق إنّما هو من عند الله تعالى دون سواه. فتارة يطلب العبد من مولاه أن يوسّع عليه ما قسم له من الرزق فيقول: أوسع عليّ في رزقي. أي الرزق الذي قسمته لي، وتارة يقول له: أوسع عليّ من رزقك. ولاشكّ أنّ المصداق في التعبيرين واحد؛ لكن في التعبير الثاني لحاظ الصدور. فقوله «رزقك» يكون مشرباً بذلك المفهوم وإن لم يرد في اللفظ فلم يقل: «رزقي الصادر منك» بل ارتقى وقال: «رزقك» ليؤكد على اللحاظ الثاني، وهو جهة الصدور، ويصرف الذهن عن اللحاظ الأوّل وهو جهة الوصول.

الثاني: إن هذه الإضافة إلى الله سبحانه تعنى اعترافاً من قبل الداعى بأنه لا حق له على ربه، بل الله هو المبتدئ بالإنعام، كما أنها تشير من ناحية أخرى إلى سعة الرزق عندما تنسب إلى الخالق سبحانه؛ فإنَّ الرزق إذ لوحظ من حيث نسبه إلى الله تعالى فسيأخذ آفاقاً واسعة لا تحدّها الحدود لأنّه سيّشمّل كلّ المخلوقات، وحيث إنّ الحديث عن أوسع الرزق فناسبه قوله سلام الله عليه: (من أوسع رزقك).

يقول أهل اللغة إنَّ الرزق مصدر مضاف، وإن المضاف يتّسع ويضيق بسعة المضاف إليه وضيقه. فإذا أضيف إلى العبد فيكون بقدر ما قسم الله له، ولكن إذا أضيف إلى الله تعالى كان بعدد ما لا يحدّ ويحصى.

### نكته أدبية

أمّا استخدامه صلوات الله وسلامه عليه لمفردة (علّيّ) عوضاً عن كلمة (إلّيّ) فى قوله: «أوسع رزقك علّيّ..» فإنّما يشير إلى أدب بالغ يهدف الإمام من ذكره أن الإنسان المؤمن يحسّ بالصغر أمام عظمة الله عزّوجلّ، فهو سلام الله عليه يصرّ للداعى حالة الرزق وهو ينزل من العالى وهو الله تعالى إلى الدانى وهم خلقه، فيكون مثله كالشلال الذى ينزل على من يقف تحته ويغمره. فاستفادة الداعى من كلمة (علّيّ) لدى مخاطبة ربه الجليل يوحى: بأنّك يا إلهى وحدك العالى، وما يصدر عنك إنّما يصدر من علوّ مكانك وشرافه قدسك، إلى دنوّ مكانى وضعه نفسى، فأنا عبدك الذى لا يملك لنفسه سوى ما يهبط عليه من فضلك، فضعف يا إلهى من رزقك علّيّ إذا ما تضاعفت حاجتى حين الكبر.

### القوة والنصب

يقول الإمام سلام الله عليه أيضاً: «وأقوى قوّتك فىّ إذا نصبت».

النصب: التعب والإعياء، وهو أعمّ من التعب الناشئ عن مزاوله بعض الأعمال، فقد ينتج التعب عن تقدّم الإنسان فى السنّ أو التعرض لمصاعب الحياة، وقد يكون نتيجة الفقر سيّما إذا كان المبتلى به عزيز النفس يصعب عليه الاقتراض فضلاً عن الاستعطاء، بل قد يتوسّع مفهوم النصب ليشمل ضعف النفس أو ما ينتج عنها، الأمر الذى يُقعد الإنسان ويعيقه عن الحركة والنشاط؛ باعتبار أن قوّة الإنسان الحقيقية تكمن فى قوّة النفس، والعلاقة بينهما طردية. فتمتّع النفس بالقوّة والنشاط يعنى تمتّع سائر بدن الإنسان بهما، والعكس بالعكس. وقد رأينا نماذج كثيرة من أنّ الوازع النفسى يعمل على تنشيط المُقعد من الناس، وكيف أن التثبط النفسى يُقعد عن الحركة صاحب البدن السليم النشط.

فمثلاً لو أنّ شخصاً كان مرهقاً لأنّه لم ينم منذ يومين ولاشكّ أنّ النوم أحبّ إليه من أى شىء فى تلك الحالة وكان على وشك أن ينام إذ طرق باب داره شخص عزيز عليه لم يره منذ فترة طويلة وكان يتمنى رؤيته، أترى كيف يزول عنه إحساس التعب والإعياء، وربما يجلس للحديث معه حتى الصباح دون أن يحسّ حتى بمرور الوقت، وهذا إنّما يدلّ على أنّ العامل النفسى تغلب على العامل البدنى.

وفى هذه الجملة من الدعاء يطلب الإمام السجّاد سلام الله عليه من الله سبحانه، ويعلمنا أيضاً أن نطلب منه أن يرزقنا أقوى القوّة حين النصب والإعياء.

ولعلّ من جملة ما يقصده الإمام فى طلبه هذا هو أن يُحدث الله تعالى فى نفس الداعى التوازن فى كلّ أبعاده المادّية والمعنوية، بمعنى أنّه متى ما حلّ فيه النصب النفسى وما يتبعه من تعب جسمى، أسعفته القوّة الربانية لتعيد له توازنه، فيبقى إنساناً متعادلاً الجوانب، سواء على صعيد المشاعر والأحاسيس أو الأقوال والأفعال.

فقد ورد فى الحديث عن الصادق سلام الله عليه، فى ذكر المؤمن وصفاته المتميّزة، ومنها صفة عالية لا يمكن للإنسان الاتصاف بها

مالم تكن له خلفيته إيمانية كثيرة؛ يقول سلام الله عليه: وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره.

هذا الحديث الشريف هو في سياق بيان مسؤولية الإنسان في إحراز قوة روحية تكفل له مقاومة المصائب وإن تكاثرت وتوالت عليه، فلا- ينهزم ولا- ينكسر ولا- يجزع في أول اختبار له. فالدنيا دار بلاء وتعرض للنوائب والمصائب، فالمطلوب منه الصلابة والاستقامة والوقوف بوجهها عبر ما أعد من قوة نفسية تؤهله لإنجاز مهمته في الحياة وإثبات جدارته وأهليته ليكون حقاً خليفة الله في أرضه، وليكون النموذج الأمثل الذي يستحق الأجر والثواب في الآخرة.

وخير مصداق لهذه الحقيقة ما نقل عن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء حين تداكت عليه المصائب والرزايا بكل صورها، حيث وصفه عبد الله بن عمار بقوله: ما رأيت مكثوراً قط قد قُتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً منه.

فالإمام الحسين سلام الله عليه كان في يوم عاشوراء حتى الساعات الأخيرة من المعركة طبعي المظهر، لا يعبا بحقد الأعداء وتكالبهم عليه، فكان يقاوم ما قد حلّ به من المصائب الكبرى والرزايا العظيمة التي لم تكن قد نزلت بأحد غيره، فكان قدوة للمؤمنين في الثقة بالله تعالى.

الخلاصة: إن التغلب على المتاعب والمصائب لا يتأتى إلا بممارسة الرياضة النفسية من خلال الورع والاجتهاد، ولعل من مفاتيح تلك الرياضة الأدعية المأثورة عن أهل البيت سلام الله عليهم والتي تمثل في الحقيقة أعظم كنز لمن أراد الاستفادة منها في تقوية نفسه لمواجهة ما يمكن أن يصدر عنها من سوء بسبب وساوس الشيطان ومصائب الحياة الدنيا ورزايها.

## الابتلاء بالكسل عن العبادة والعمى عن سبيل الله

### الابتلاء بالكسل عن العبادة والعمى عن سبيل الله

أصل الابتلاء في اللغة من «بلى، يبلى، بلى... الثوب وبلاء، إذا صار خلقاً، فهو، بال، أى خَلِقْتُ، رث.

والبلى والبلوة والبلية جمعها بلايا: المصيبة والغم؛ كأنه يبلى الجسم. والابتلاء: الاختبار بها.

أما بلا يبلو (من باب نصر ينصر) فهو بمعنى الاختبار، ويكون في الخير والشر؛ قال تعالى: «وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً؟»

وقيل: الابتلاء: هو الاختبار مع شدة؛ لأن أهل اللغة يقولون: إن الزيادة في المباني تدل على زيادة في المعاني.

وقيل أيضاً: إن هناك علاقة بين البلى (من بلى يبلى) والبلاء (من بلا- يبلو) لأن هناك ترابطاً في المعنى بين الكلمات التي تتألف مصادرها من ذات الحروف، وإن كانت من أبواب مختلفة ولها معانٍ مختلفة.

ومن ثم فإنه يمكن أن يكون هناك تناسب بين البلاء والبلى، فكأن الإنسان الذي يقع عليه البلاء يبلى جسمه، وقد تبلى نفسه أيضاً إن لم يصبر، ومن ثم فإن ضغط البلاء يجعله خلقاً بالياً، فكما أن الثوب إذا استعمل باستمرار بلى، كذلك الإنسان الذي يعرض للبلاء يبلى، إلا- إذا كان مستعيناً بالله تعالى، فكثره الضغط لا تثنيه ولا تبليه بل تزيده صلابة وقوة، تماماً كالذهب كلما تعرض للنار إزداد جلاءً، بينما غيره يسود.

وهكذا هو حال الانسان إذا تعرض للبلاء يُكشف عن معدنه، فإن كان غير مؤمن بالله بلى، وإن كان مؤمناً زاد إشراقاً.

## الكسل عن العبادة

إن من مصاديق الكسل كثرة النوم والقعود عن أداء الواجبات في العبادة بالمعنى الخاص والعام وسيطرة حالة الاتكالية التي من لوازمها انعدام الطموح، والرغبة عن التقدم والانطلاق لما أعد الله تعالى من نعيم الآخرة لعباده الصالحين.

ومع أن الله تعالى يقول في محكم تنزيله: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ؟» بمعنى أن الهدف من خلق الإنسان هو أن يعبد الله

سبحانه، إلا أن أغلب الناس يكسلون عن أداء حقّ العبادة التي خلقوا لأجلها، فترى كثيراً منهم نشطاً في سائر مجالات حياته، ولكن ما إن يصل وقت العبادة حتى يغلب عليه الكسل والنعاس وكأنه لم ينم منذ ساعات كثيرة، وإذا شرع بالعبادة لا يفكر إلا في سرعة إتمامها والتفرغ منها لينشغل بأمور أخرى، فتكون بذلك عنده أقلّ حظاً من كلّ اهتماماته. والأمّر من ذلك أنه حتى هذا المقدار القليل من الوقت الذي يخصّسه للعبادة ينشغل خلالها بالتفكير في أموره الدنيوية.

روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أبصر رجلاً يعث بلحيته في الصلاة، فقال: أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه. وأكثر الناس مبتلى بهذه الحالة. ولذلك فإن الإمام السجّاد سلام الله عليه يلفت أنظارنا في هذا الدعاء إلى هذه المسألة لكي نستعين بالله تعالى في التخلص منها.

أليس من العجب أن يفكر الإنسان في الأيام الباقية من عمره القصير، ولا يفكر في مستقبله الحقيقي الذي ينتظره في الآخرة.

### الاعتداء برسول الله في الاهتمام بالعبادة

إن الله تعالى عندما يخاطب نبيه الكريم في مجال طلب العلم يقول له: **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا؛** فحتى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بحاجة إلى الاستزادة في العلم، مع أنه أعلم خلق الله تعالى، ولكن عندما يصل الدور إلى الخلق الرفيع نراه تعالى يخاطبه بالقول: **؟ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ.** مما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله قد بلغ القمّة في الخلق، حتى روى أنه ما صافح النبي صلى الله عليه وآله رجلاً قط فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده منه.

وكذلك صلى الله عليه وآله قميّة في الخلق مع الناس، في كلّ الحالات ومع كلّ الاشخاص، يستوى عنده الفقير والغني والشيخ والشاب والرجل والمرأة والرئيس والمرؤوس، ولم يكن عنده استثناء إلا في حالة واحدة فقط ولم يُعرف له استثناء غيرها وهي حالة العبادة، فقد روى عنه أصحابه قالوا: إذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كلّ شيء. فأين نحن من عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فحرى بنا أن نقصدى به؛ قال سبحانه وتعالى: **؟ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.**

### الاستعداد للبلاء

الإنسان عموماً عرضة للبلاء والامتحان، سواء كان في المال أو الجمال أو العلم أو القوّة أو أصدادها؛ لذا ينبغي لكل فرد أن لا يغيب عن ذهنه أمران:

الأول: ليعلم أن البلاء كما يكون في الشر كذلك يكون في الخير؛ قال تعالى: **؟ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً.** ولا يغرنه تقلب الفاسقين فيما يحوزونه من الثروات والأموال وغير ذلك من مباحج الحياة الدنيا.

فلو تذكّر قوله تعالى: **؟ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا نُمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؟** لاستكان وما راعه الأمر بتاتاً. ثم ليعلم أن الخير ليس في كثرة الأموال والأولاد بالضرورة، بل الخير في كثرة العلم والحلم والقرب من الله تعالى.

الثاني: أن يعلم أنه لا بديل من الامتحان والبلاء لإثبات الجدارة واستحقاق مزيد الأجر والثواب، وإلا كيف يتسنّى معرفه الفرد فيما يدعيه من الإيمان والعبوديّة والإخلاص وهو لم يُختبر بعد؛ قال تعالى: **؟ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ؟**

لا ينبغي للإنسان التوقّع بأن يكون بأمّن من الامتحان، ولكن ليرجو ألا يكون عرضة لمضلاته؛ ولذا روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة؛ لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتنة.

## العمى عن سبيل الله

ههنا كلمتان لا بأس بالوقوف عندهما، هما: سبيل الله، والعمى.

أمّا سبيل الله فهو ليس إلّا- الوسيلة التي تقرب العبد إلى الله تعالى من أداء الواجبات والورع عن المحرمات، والحث على تعلمها وتعليمها قولاً وعملاً. ويبيّن القرآن الكريم وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

وأما العمى فلاشكّ أنّ المقصود به عمى البصيرة وليس البصر، وكما أنّ الإنسان قد يصاب بعمى البصر، فيسقط هنا ويتعثّر هناك، ولمعدوريته لا- يعاب عليه، ولكن العيب، كلّ العيب فيمن له عينان ويرى بهما ومع ذلك يتعمّد إغماضهما فيصطدم ويهوى، فمن يعيش حياته قاصراً في بصيرته، لا يدرك طيلة حياته سوى ما يحيط به، فمثل هذا لا يؤاخذ إلا بما سمح به عقله؛ لقاعده «قبح العقاب بلا بيان» فهو يحاسب بمستوى ما أدركه عقله، خلافاً لمن يعيش طيلة حياته مقصراً لا يسعى لإنماء بصيرته وإحيائها بالعلوم والمعارف. فالطامة الكبرى؛ أن يكون للفرد عقل ومرشد خارجي يهديانه سواء السبيل ولكنّه يعرض عنهما فيتعمّد سلوك طريق الغي والضلال، فهذا يكون قد أعمى بصيرته عن عمد وإصرار، ولذلك سيحاسب حساباً عسيراً.

## أهل البيت سلام الله عليهم هم سبيل الله تعالى

ولما كان أهل البيت سلام الله عليهم هم الحبل الذي أمرنا الله تعالى بالتمسك به وهم سبيل الله وبابه الذي منه يؤتى. كان اللازم درك هذا المعنى وهو أنّ القرب منهم بحاجة إلى السخية اللازمة بين التابع والمتبوع، وبين القائد والمقود.

لاشكّ أنّ رؤية الناس للأئمة سلام الله عليهم في أزمنتهم كانت سبباً لسهولة الاغتراف من سلسيل معينهم، لكن الأمر اختلف كلّ الاختلاف في زمن الغيبة الكبرى، فصار من يريد رؤية الإمام المهدي سلام الله عليه بحاجة إلى مزيد من البصيرة والوعى ما يرفع من التزامه الديني والأخلاقي.

إنّ المطلوب من الفرد في علاقه ومحبته لإمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف أن يسعى لإيجاد السخية بين طبيعته الأخلاقية وسلوكه اليومي وبين رغبة الإمام، ليرتقى إلى مستوى مشايعته حقّ المشايعة.

## عدم التعرض لخلاف محبة الله

### عدم التعرض لخلاف محبة الله

(ولا بالتعرض لخلاف محبتك)

هذه الفقرة من الدعاء هي الأخرى تحمل مطالب كثيرة بحاجة إلى التعمق والتدبر، ومن تلك المطالب الاستعارة للحروف وبما ينسجم مع المقصد، حيث إنّ للحروف في العربية معاني ومداليل خاصّة، وإنّ استخدامه صلوات الله وسلامه عليه للكلمات والحروف هو في غاية الحكمة بما يترتب عليه من بلاغة، وهذا هو ديدن أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين مع الناس، فما بالك حين يتحدّثون مع الربّ العظيم.

قال: ولا بالتعرض لخلاف محبتك.

ولم يقل: للتعرض لخلاف باستخدام اللام في الكلمتين.

أو: بالتعرض بالخلاف أو بخلاف باستخدام الباء في الكلمتين.

كما لم يقل: للتعرض بخلاف باستبدال موقع الباء واللام في الكلمتين.

فلكلّ من حرفي الجر (الباء واللام) في موقعه خصوصيته في مقصوده سلام الله عليه. ولو جاء الاستخدام بأيّ من الموارد الأخرى التي



عرضناها آنفاً لكان نقصاً بلاغياً ومعنوياً واضحاً، ولكنه سلام الله عليه استخدم بآء التعديء واللام على أروع ما يكون الاستخدام. إن أماننا مفردات ثلاث ارتكز عليها متن هذه الجملة من الدعاء، هي: التعرض والخلاف والمحبة، نذكر معانيها على نحو الإجمال:

### في معنى التعرض

التعرض هو التصدي للأمر وطلبه، كما جاء في الدعاء المروي عن الإمام الصادق سلام الله عليه: إلهي، تعرض لك في هذا الليل المتعرضون، أي أن من كانت له حاجة أخذ في التصريح والدعاء طلباً للرحمة الإلهية والعناية الربانية. والتعرض يختلف معنى حسب متعلقه، فقد جاء في بعض الأدعية أيضاً: وتنجيني من تعرض السلاطين أي أسألك اللهم أن تجعلني بعيداً عن تصديهم وطلبهم لي، فأكون في منأى عن خطرهم؛ فإن السلاطين عادةً يفتكون بمن يشكون بولائه لهم فكيف بمن يعلن عداة لهم، على العكس من الأنبياء والأولياء حيث لا يرى منهم إلا الكف والإحسان، وإن كان قد أسىء إليهم، لأن من شيمتهم العفو والكرم.

والشواهد على ذلك كثيرة، منها ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله مع الرجل الذي أراد الفتك به صلى الله عليه وآله حينما مكن الله تعالى رسوله منه وعفا عنه.

وكذلك حينما عفا النبي صلى الله عليه وآله عن عتاة قريش الذين آذوه وحاربوه طيلة أكثر من عشرين سنة. وكذلك فعل أمير المؤمنين سلام الله عليه حينما عفا عن الجماعة من أصحاب الجمل، حينما فزوا واختبأوا في دار عبد الله بن خلف بمعية عائشة بعد أن مكنه الله عز وجل منهم وهزم جيشهم.

### في معنى الخلاف

لم يستخدم الإمام كلمة (ضد) أو (نقيض) بل استخدم كلمة «خلاف» باعتبار أن من الجدير بالبعد أن يطلب من الله تعالى أن يجنبه مطلق ما من شأنه أن يعرضه لسخطه وبغضه.

فالضد أمرٌ وجودي كالسواد ضدّ البياض، ولا يجتمعان، لكن قد يرتفعان فيما كان لهما ثالث لا كالليل والنهار اللذين لا ثالث لهما فيكون الشيء لا أسود ولا أبيض بل لون آخر، والنقيض أمرٌ عدمي كالحركة وعدم الحركة، والنقيضان لا يجتمعان أبداً، ولا يرتفعان أبداً، وأما الخلاف فهو أمرٌ وجودي كالحلاوة، خلاف البياض، لكن يجتمع معه.

إن الإمام لا يطلب من الله تبارك وتعالى أن لا يبتليه بضد محبته فحسب، أي ببغضه والعياذ بالله ولا بنقيضها أي بعدم المحبة، بل يطلب منه تعالى أن لا يبتليه حتى بخلاف محبته أي بما قد يجتمع مع كرهه أو ببغضه؛ وذلك لكي يحرز محبة الله الكاملة والشاملة، وأن لا يصدر عنه ما يكون مخالفاً لتلك المحبة بأي حال من الأحوال.

في إحدى زيارات الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه نلاحظ أن الإمام الصادق سلام الله عليه الذي تروى عنه الزيارة بعد أن يسلم على الإمام يتوجه باللعن على أعدائه، ولكن نلاحظ اختلافاً في صيغة اللعن، فهو سلام الله عليه عندما يخاطبه يقول: لعن الله من خالفك، وهذا يكشف عن نقطة في غاية الأهمية وهي أن الذي يخالف الإمام المعصوم يستحق اللعن، أما غير المعصوم فلا، مهما علت منزلته وعظمت مكانته؛ وما ذلك إلا لأن المعصوم لا يخالف إرادة الله ومحبته أبداً، ومن ثم فإن مخالفة المعصوم تعد مخالفة لله تعالى. ولذلك عندما نخاطب غير المعصوم كعلي الأكبر عليه السلام نقول: لعن الله من قتلك، ولكن لا نقول: لعن الله من خالفك.

فالإمام هنا يطلب من الله أن لا يبتليه بالتعرض لمخالفته.

إن في كلمات المعصومين سلام الله عليهم نكات دقيقة بحاجة إلى التدبر من أجل الوصول إلى بعض أسرارها التي لا يدركها كلها إلا من كان قريباً منهم وعلى نهجهم.

## في معنى حبّ الله تعالى

ثم إن الإمام لم يقل: لا تتبلىني بالتعرض لخلافك، بل قال: لخلاف محبتك. وهذا يكشف عن مستوى أرفع في الأدب وأصدق في العبودية للربّ الجليل؛ فإنه يمكننا أن نتصور شخصاً ما يكنّ المحبّة لشخص آخر ويعمل على أن لا يخالفه في كلّ ما يطلبه منه، ولكن ليس بالضرورة أن يتطابق معه في كلّ ما يحبّ، أمّا الإمام سلام الله عليه فإنه يطلب من الله أن يجنّبه من الابتلاء حتى بالتعرض لخلاف ما يُحبّه تعالى.

ومن الواضح أنّ ما يحبه الله تعالى من عبده هو الامتثال لأوامره والانتهاز عن نواهيه، وبعبارة: القيام بالواجبات الشرعية واجتناب المحرّمات الشرعية، ويعضدهما بالسعى لأداء المستحبات وترك المكروهات أيضاً، شريطة أن لا تؤثر على العمل بالواجبات وترك المحرّمات، فإنه لا قرينة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض.

فكما أنك إذا كنت عازماً على مرافقة شخص تجلّه وتريد كسب ودّه في سفر أو غيره، ولم تكن تعرف ما يحبّ وما يكره، فلا شك أنك ستسأل العارفين والمطلعين على ميوله، ثمّ تعتمد إلى متابعتهم بكلّ حيطة وحذر لئلا يصدر عنك تجاهه ما لا يحبّ، فتتعرض لخلاف محبته.

فكذلك لا بدّ من معرفة الأمور التي يحبها الله تعالى لكي يؤتى بها، والأمور التي يكرهها لكي تتجنّب فلا يُتعرض لخلاف محبته، والطريق لهذه المعرفة ينحصر بالقرآن الكريم والنبى صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة، فلقد أوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وآله الطريق عندما قال: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي.

فالآيات القرآنية والأحاديث والروايات الشريفة قد جمعت كلّ المعارف الإلهية والأحكام الشرعية الكفيلة بقيادة الإنسان إلى طريق المحبة الإلهية والنأي عن طريق السخط والمقت الإلهي.

## ثلاثة مقترحات في شهر رمضان المبارك

لعلّ من الفرص الجيدة للسعى نحو بناء النفس كي تبغى المحبّة الإلهية، هو شهر رمضان المبارك الذي أعدّه الله تعالى لابن آدم كي يعيد فيه حساباته مع نفسه والآخرين.

وهو الشهر الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين كافّة في قوله: قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة. ففي هذا الشهر الكريم تكبل الشياطين؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فإنّ الشقى من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم. ولكي نضمن كون مسيرتنا على طريق المحبّة الإلهية ونستفيد من فيوضات شهر الله، شهر الطاعة والغفران شهر رمضان الكريم أقترح عليكم، ثلاثة أمور:

١. محاسبة النفس في كلّ يوم من هذا الشهر، ليعرف الفرد ما له وما عليه، وما ينبغي له أن يستمرّ به من سلوك أو يتركه، وليمرّن وجدانه على أن يكون حكماً منصفاً وقاضياً عادلاً على ما يصدر عنه خلال اليوم والليلة، مستغفراً عن السيئات، وشاكراً لله وطالباً منه الاستزادة في الحسنات.

٢. المواظبة على قراءة خطبة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله الخاصّة بشهر رمضان بتأمل وتدبّر، لتعرف الغاية التي يقصدها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من كلّ كلمة من كلماتها.

٣. محاولة الالتزام بجميع بنود الخطبة ولو لمرة واحدة خلال شهر رمضان المبارك.

فمن لم يكن عاملاً بهذه الأمور الثلاثة فليعقد العزم من الآن على العمل بها، ومن كان عاملاً بها فليسع للمزيد؛ قال تعالى: وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى.؟

وإذا كانت بعض بنود الخطبة خارجة عن تكليفنا فليس شرطاً أن يكون الالتزام بها حرفياً، بل لتتأسس بها في موارد مشابهة، مثلاً: التعامل مع ملك اليمين، فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله يأمرنا في هذه الخطبة الشريفة بأن نحسن إليهم، وليس منا من يملك عبداً أو أمة في هذا العصر، فهذا لا يعنى عدم الالتزام بهذه الفقرة من الخطبة بل يمكن تطبيقها في موارد الذين أمرهم بأيدينا كالزوجة والأولاد والتلاميذ والأجراء ...

### المعرفة شرط

لاشك أن معرفة الأحكام الشرعية، لاسيما الواجبات والمحرمات، والالتزام بحدودها، تجب الفرد الخسارة الكبرى في الآخرة، ولا بد من أن تكون المعرفة صحيحة ولا يكفي مجرد تصور كونها كذلك؛ قال تعالى: **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا؟**

ولاشك أن مثل هؤلاء ربما كانوا يصلون ويصومون ويحجون ويزكّون ويقاتلون ويقتلون ويعانون ويعذبون؛ ظناً منهم أنهم إنما يفعلون ذلك على طريق محبة الله تعالى، حتى ينكشف لهم يوم القيامة الخلاف؛ لعدم إقرانهم ذلك بما أمروا به من مودة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم فافتقدوا بذلك أهم ركيزة في الوصول إلى الله تعالى، قال أمير المؤمنين سلام الله عليه: إن ل (لا إله إلا الله) شروطاً، وإني وذريتي من شروطها. فبذلك يساق هؤلاء إلى جهنم مع أولئك الذين ربما لم يصلوا أو يصوموا حتى يوماً واحداً من حياتهم؛ فيجدون أنفسهم قرناء مع أناس لم يحرّموا أنفسهم شيئاً من ملاذ الدنيا وعاشوا عيشة المعرضين عن العبادة، وهذا الأمر يضاعف منهم الإحساس بالندم والحسرة، وهذا ما يعكسه التعبير القرآني الذي استعمل أقوى صيغ التفضيل (وهو أفعل التفضيل المعرف بالألف واللام) فقال: **الأخسرين.**

وما أكثر الأمثلة على الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فمن الأمثلة التاريخية البارزة على ذلك الخوارج الذين خرجوا على الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وكانوا يسعون لقتله، زاعمين التقرب بذلك إلى الله تعالى.

فيا له من ضلال ما بعده ضلال، يقتلون من حبه إيمان وبغضه كفر بنص رسول الله صلى الله عليه وآله بتية التقرب إلى الله تعالى. إذاً، ما لم يتعلم الإنسان فرائض الله تعالى من خلال المصادر التي أشار إليها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: القرآن وعترته، فإنه سيتعرض لخلاف محبة الله تعالى؟ وقال سبحانه وتعالى: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ.؟** واتباع النبي صلى الله عليه وآله يعني اتباع ما أمر الله تعالى، لأنه صلى الله عليه وآله عالم به عن طريق الوحي؟ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ.؟**

### الحسان نوعان

ثم إن ههنا ملاحظة جديرة بالالتفات، وهي أن العبد إذا قام بالفعل وكان يحسبه حسناً، أو امتنع عن أداء فعل وكان يحسبه سيئاً، ثم بان له العكس لكلا الحسبانين، فكيف سيحاسبه الله تعالى على ذلك؟

والجواب: إن الجهل قد يكون عن قصور، وقد يكون عن تقصير. ففي الحالة الأولى لا يعاقب الله تعالى الإنسان على ما بدر منه بسبب جهله للأمر وقصوره عن إدراك الواقع، أما في الحالة الثانية أي إذا كان جهل الإنسان ناتجاً عن تقصيره، فإنه سيكون مستحقاً للعقوبة. فابن ملجم مثلاً لم يصل إلى هذه الدركة الدينية دفعة واحدة، إلا بعد أن سقط بحسابه أنه يعمل حسناً حتى صار يعتقد أن قتل إمام الحق، حق بل واجب عليه، فحق عليه قوله تعالى: **؟ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَائِغًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ.؟**

## العلم وحده لا يكفي

كما أن العمل من دون علم يوقع صاحبه ويرديه كما في قوله تعالى: **؟ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ؟** فكذلك لا ينعف الإنسان العلم من دون العمل؛ قال سبحانه وتعالى: **؟ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ.؟**

ثم إن العلم يعتبر سلاحاً ذا حدين أي يمكن استخدامه في الخير وفي الشر على السواء، ما لم يستند إلى الورع؛ قال تعالى: **؟ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.؟** وقال تعالى: **؟ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.؟** ولو كان العلم وحده مجدياً لكان الشيطان الرجيم أرفع مستوى وأكثر فضيلة من جميع المكلفين من الجن والإنس، لأنه بلا شك على اطلاع دقيق بكل الواجبات والمحرمات الإلهية، والله در الشاعر حين قال:  
لو كان للعلم من غير التقى شرفٌ لكان أشرف خلق الله إبليس  
إذا لابد للعلم من سلوكك يصدقه، ليؤتى أكله وينهض بصاحبه، فيكون ما تعلمه علماً نافعاً حقاً.

## زكاة العلم تعليمه

هذا ولا ينبغي للمرء أن يؤطر طموحه وكدحه بإطار العلم والعمل فحسب، بل ينبغي أن يحلق إلى أسمى الغايات وأشرفها من خلال تركية علمه، فيبادر إلى تعليمه للآخرين ويبين لهم ما ينبغي لهم القيام به من واجبات، وما ينبغي لهم الانتهاء عنه من المحرمات، فيشركهم في علمه، ليحقق خصلة أخلاقية فاضلة كريمة وهي حبه للعلم ونشره بين الناس، وقد ورد في الرواية الشريفة: إن الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال لكي تتم الحجة على الناس جميعاً.  
إذا فقد اتضحت أركان محبة الله تعالى علماً وعملاً وتعليماً؛ وإذا اقترنت هذه المفردات بمحاسبة النفس ومراقبتها الدائمة، يكون المرء حينئذ قد قطع الطريق على الشيطان واتجه بنفسه ليزداد قرباً نحو المحبة الإلهية.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصِدُوقَ بَكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَتِ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالْإِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطَرَّرْتُ، وَلَا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلَا بِالْتَضَرُّعِ إِلَى مَن دُونِكَ إِذَا رَهَيْتُ، فَاسْتَحِقَّ بِذَلِكَ خِذْلَانِكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

؟الصولة بالله تعالى

؟السؤال من الله تعالى

؟التضرع إلى الله تعالى

## الصولة بالله، والسؤال من الله، والتضرع إليه

### إشارة

يطلب الإمام سلام الله عليه في الجملة الأولى من هذا المقطع من دعائه أن يوفقه الله تعالى لثلاثة أمور وهي:  
أن تكون صولته به عند الضرورة، وسؤاله إياه عند الحاجة، وتضرعه إليه عند المسكنة، أي: يا رب، عندما أكون مضطراً فلتكن صولتي بك لا- بغيرك، وعندما أكون محتاجاً فليكن سؤالى موجهاً لك لا لسواك، وعندما تواجهني مسكنة يكون تضرعي إليك دون خلقك.

## ١. الصلوة بالله تعالى

### ١. الصلوة بالله تعالى

ونبدأ بالوقوف على الطلب الأول وهو الصلوة عند الضرورة. فالضرورة هي التي يكون الإنسان فيها في منتهى الحاجة والشدة والضيق، فليس كل سوء يكون ضرورة للمبتلى ليتخلص منه، ولا تستعمل كلمة الضرورة إلا حينما يشعر المرء بأنه قد بلغ منتهاه في الحاجة والشدة والضيق، ولذلك فالإنسان في حال الإضطرار يكون في منتهى ضعفه.

أما الصلوة فهي تعبير عن أوج القدرة والتمكّن لدى الإنسان تجاه ما يواجهه؛ لذلك فإن ورود لفظ الصلوة في الكلام ينقل أذهاننا إلى تصوّر الحرب والقتال، لاسيّما عندما يبلغ المقاتل ذروة القوّة والغلبة والتوفّر على مقومات السيطرة في تسيير مجريات القتال ضد عدوّه الذي لا يسعفه الصمود تجاهه ولا يكون أمام ذاك العدو سوى الهزيمة الساحقة، ففي مثل هذه الحالة يكون الطرف الأول صائلاً على الطرف الثاني.

والإمام يعلم الإنسان المؤمن في هذه الجملة من الدعاء أن يطمح إلى السمو بمستواه فيسأل ربّه الكبير ليس فقط أن يخلصه من الوضع الاضطراري الهالك الذي يعيش فيه، بل يتفضّل عليه بأن يبدله غاية القوّة والغلبة والتوفّر على مقومات السيطرة في تسيير مجريات القتال ضد عدوّه الذي لا يسعفه الصمود تجاهه ولا يكون أمام ذاك العدو سوى الهزيمة الساحقة، بما يواجهه من اضطرار.

أما قوله سلام الله عليه «بِكَ» فمعناه أنّ على المؤمن أن يعلم عند الاضطرار وتلاطم أمواج البلاء وهجومها عليه، أن الله جلّ جلاله هو الجهة الوحيدة التي يجب أن يركن إليها لخلاصه، لأنّه تعالى إله كلّ شيء والقادر على كلّ شيء، وهو الذي لا تداني قوّة قوّة.

### النموذج العملي للصلوة

ومن المثل على الصلوة عند الضرورة ما تجسّد في سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، حينما لقي ما لقيه من المشركين قبل الهجرة وبعدها حتى قال: «ما أودى نبي مثلم أوديت» ولكنّ صولته بالله تعالى عند الضرورات واشتداد الخطب كانت تهوّن عليه الأمر.

فلقد هاجم المشركون نبيّ الله صلى الله عليه وآله من مختلف الجوانب، تارة بالتهريب عبر كيل الأذى وشنهم الحروب عليه، وأخرى بالترغيب حين اقترحوا عليه أن يعطوه المال الوفير حتى يكون الأغنى من بينهم، أو يزوّجوه الأجمل من نسائهم، بل بلغ بهم الحدّ أن عرضوا عليه أن يترأس عليهم، كلّ ذلك مقابل أن يتنازل عمّا يدعو إليه من أمر التوحيد والنبوّة، فلا يسفّه أحلامهم ولا ينكر عليهم ما تشبثوا من عبادة آبائهم وأجدادهم من قبل، بل وصل بهم الأمر أن اقترحوا عليه بعد أن علموا إصراره أن يعبدوا ربّه يوماً ويعبد آلهتهم يوماً آخر.

ثمّ لما يسوا عن تركه لأداء مهمّته الرساليّة، عرضوا عليه أن يزيل ما يحيط بمكّة من جبال لتكثر الطرق المؤدّية إليها، وأن يُجرى لهم الأنهار فلا يعتمدوا على الآبار المالحة، ثمّ تحدّوه خطلاً منهم أن يحيى آباءهم وأجدادهم.

ولكنّه صلى الله عليه وآله قاوم كلّ صور التهريب والترغيب، فصر على ما أحقوا به من الأذى، وردّ كلّ عروضهم وإغراءاتهم، كما رفض أن يأتهم بأيّ من المعاجز التي اقترحوها عليه لعلمه بأنهم لا يبحثون في حقيقة أمرهم عن دليل أو حجّة، فلطالما جرت على يديه صلى الله عليه وآله المعاجز مراراً وتكراراً أمام أعينهم، بل هم قد أيقنوا بنبوّةه ولكنهم جحدوها كبراً وحسداً وظلماً.

فصال صلى الله عليه وآله بالله عزّ وجلّ، رافضاً كلّ إغراءاتهم فضلاً عن إرهابهم، وتحزّباتهم ضدّه، قائلاً لهم بمحضر عمّه أبي طالب عليه السلام: «يا عمّ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته». فأفحمهم صلى الله عليه وآله بموقفه النابع أساساً من الاعتماد على الله تعالى والصلوة به.

وهكذا كان أمير المؤمنين سلام الله عليه، الذي لاقى الأمرين لاسيّما بعد شهادة أخيه المصطفى صلى الله عليه وآله، إلى أن استشهد

هو أيضاً مظلوماً مهضوماً.

ورغم ذلك لم يهن ولم ينكل ولم تبد عليه أمارات الضعف أو الذلّة والخوف، بل استقام متوكّلاً على الله تعالى صائلاً به. وكذلك الإمام الحسين عليه السلام حين استفرد به العدو بعد استشهاد جميع أصحابه وأهل بيته، إذ وُصف بأنه كان رابط الجأش نير الوجه، على ما كان به من قتل ولده وأهل بيته وأصحابه، وكأنّه ينتظر بشوق كثير لحظة العروج إلى الربّ الجليل ومغادرة هذه الدنيا الدنيئة. فلم تظهر عليه أدنى علامات الذلّ والجبن أو الارتباك والانكسار، حاشاه، بل كانت الرجال لتشدّ عليه، فيشدّ عليها بسيفه، فتتكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها السبع فينهزمون بين يديه كأنهم جراد منتشر كما تقول الروايات لأنّه عليه السلام كان يصول بالله تعالى على أعدائه.

فكان صلوات الله وسلامه عليه، بالرغم مما تعرّض إليه من مصائب يقول: «هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله» مع أنه كان يملك من العواطف ما يملكها غيره، بل أكثر وأنقى، فلم يكن سلام الله عليه قاسياً، حاشاه، بل كان يتألّم كثيراً على ما ينزل من المصائب على أهل بيته وأصحابه، ولكنّ صولته بالله تعالى هي التي جعلته كما وصفوه رابط الجأش مشرق الوجه، شجاع القلب، صابراً، لا تهده المصائب؛ فسلام على جدّه وأبيه وأمه وأخيه، وسلام عليه يوم ولد ويوم استشهاد ويوم بيعت حياً فيشفع لمحبّيه جعلنا الله منهم إن شاء الله تعالى.

### الدعاء وحده لا يكفي

حقيقةً هذه الدرجات رفيعة جداً، وإذا أردنا أن نرتقيها شيئاً فشيئاً، فلنقتف أثر من نتشرف بكونهم أئمتنا وقادتنا، ولا ريب أنّ عملية الرقي لا تتحقّق بالدعاء وحده، بل هي بحاجة إلى عزم وإصرار في السعي والاستقامة. وبهذا الصدّد نقل الإمام الصادق عن آبائه سلام الله عليهم أنه:

«مرّ موسى عليه السلام برجل رافع يده يدعو، فغاب في حاجته سبعة أيام ثمّ رجع إليه وهو رافع يده، فقال: يا ربّ، هذا عبدك رافع يديه إليك يسألك حاجة، ويسألك المغفرة منذ سبعة أيام، لا تستجيب له، قال: فأوحى الله إليه: يا موسى، لو دعاني حتى تسقط يداه أو تنقطع يداه أو ينقطع لسانه لم أستجب له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته».

وهذا يدلّ على أنّ استجابة الدعاء لا تتحقّق ما لم يأت العبد من حيث أمره ربّه، لا من حيث يريد هو ويرثيه. ومن جملة أوامره سبحانه وتعالى أنّه قد خلق الأسباب وهدى للسير وفقها والالتزام بها، فلا يصحّ أن يحجم المريض عن مراجعة الطبيب مثلاً، أو يكسل القوى عن الكسب وطلب الرزق ويكتفى كلّ منهما بالدعاء. فهناك الكثير من الآيات والروايات التي حثّت على السعي، وعدم الاكتفاء بالدعاء، ومنها ما يحدّد نوع العمل الذي ينبغي أن يُعمل، ف: الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر.

كما أنّ هناك من الأسباب ما يتعلق بتربية النفس وتركيتها مقدّمة لإستجابة الدعاء؛ فلا يمكن وصول الطالب إلى مرحلة الاجتهاد من دون دراسة، ولا ينبغي له انتظار حدوث المعجزة.

والتزكية وحدها لا توفّر رغيف الخبز، ولا تيسّر الزواج، كما الدعاء وحده لا يكفي، إنّما الله تعالى يحبّ من عبده أن يكون إلى جنب ذلك ساعياً ومتوكّلاً عليه، ليكرمه بأياديه.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أحبّ الخلق إلى الله تعالى لم يكتفِ بمجرد تحمّل الأذى الذي ألحقه به كفّار قريش، أو الدعاء لهم، وإنّما راح يواصل نشر الدين في أوساطهم حتى استخلص من بينهم ثلّة من المؤمنين جمعهم إليه وكوّن بهم حكومته الإلهية.

### ٢. السؤال من الله تعالى

إن من له حاجة لابد أن يرجع إلى من بيده قضاؤها. فالذى يصاب بمرض لا يراجع مهندساً بل طبيياً مختصاً، ومن أراد بناء دار فلا تنفعه مراجعة الخباز. ومن كان جائعاً لا يشبعه الخياط، وهكذا.

والإمام سلام الله عليه فى هذا الشطر من الدعاء يعلمنا أن نسال حوائجنا كلها من الله تعالى؛ لأنه مصدر العطاء ومسبب الأسباب، الذى يملك حوائج خلقه كافة؟ بيده الملك وهو على كل شئ قدير؟

### ٣. التضرع إلى الله تعالى

وهكذا ينبغى للعبد إذا نزلت به مسكنة أن يتضرع إلى الله، ولذلك يقول الإمام: وأتضرع إليك عند المسكنة.

أما المسكنة فهى درجة فوق الحاجة ولذلك قرنت بالتضرع وهو المبالغة بالإلحاح والتوسل فى السؤال. فقد يكون الإنسان محتاجاً ويطلب ما يسد حاجته أو فقيراً ويسأل عما يعينه، أما إذا كانت الحاجة ملحة وشديدة، كمن كان مشرفاً على الموت من شدة الجوع، فإنه يتضرع فى سؤاله ويتذلل بين يدي مسؤوله حتى يستجيب له.

ولقد عد المسكين أسوأ حالاً من الفقير؛ لأن الفقر قد أسكنه، أى قعد به، لأن حاجته شديدة وقدرته على استحصال ما يريد ضعيفة؛ ولذا قيل: إن الفقير والمسكين إذا اجتماعا افترقا وإذا افترقا اجتماعا. أى إذا ذكرا معاً اختلف معاهما، لأن المسكين أسوأ حالاً من الفقير، أما إذا ذكر أحدهما فقد يكون بمعنى الآخر، أى يكون لكليهما معنى واحد.

وهذه الجملة من الدعاء تحرض الفرد على أن يكون بالغ الطلب من الله تعالى كلما زاد فقراً ومسكنة، ولا ينبغى لشدة وطأتهما أن تفقداه ذكر ربّه، كما هو ديدن كثير من الناس.

فالإنسان المؤمن دائم السعى لمضاعفة إيمانه، ويرى فى الحاجة والمسكنة والاضطرار عوامل دفع وإلجاء أكبر للاستعانة بالله تعالى، ويقول: اللهم اجعلنى أصول بك عند الضرورة وأسألك عند الحاجة وأتضرع إليك عند المسكنة، نسال الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه، إنه سميع مجيب.

### الفهارس

#### الفهارس

١. آيات القرآن الكريم.

٢. الأحاديث والروايات الشريفة.

٣. المصادر.

٤. محتويات الكتاب.

### فهرس الآيات

الآية ورقمها السورة رقم الصفحة

البقرة

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (١٤٦) ٢٤٦

إننا لله وإننا إليه راجعون (١٥٦) ٣٣٦

ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب (١٧٩) ٢٣٣

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (١٨٣) ٧٢

فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ (١٩٤) ٢٤٨

أَيَّامَ مَعْدُودَاتٍ (٢٠٣) ٢٥٦

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجَبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٢٠٤) ١٧٧

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ (٢٠٧) ١٧٧

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ (٢١٣) ٢٧١

لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ (٢٦٤) ١٣٦

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (٢٧٦) ١٣٦

آل عمران

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ (٢٦) ١٢٣، ١٥٣

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ (٣١) ٧٢، ٣٦٩

وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) ٢٤٧

وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ (٦١) ٢٢٥

لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) ٣٧١

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا (١٠٣) ٣٥٨

وَالكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ٢٦٨

وَيَمْحَقُ الْكَافِرِينَ (١٤١) ١٣٦

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغْلَىٰ (١٦١) ٢٩١

هَمَّ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ (١٦٣) ٢٦، ٣٥٣

وَلَا يُحْسِبُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا نَمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ (١٧٨) ٣٥٧

فِيمَا رَحِمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ (١٥٩) ٢٩٠

النساء

وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قَنَاطَرًا (٢٠) ٣٢٦

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ (٤٩) ٣٢٩

وَإِن تَصِبْهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تَصِبْهُمْ سَيِّئَةً (٧٨) ١٦٩

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ (٧٩) ١٦٩، ٢٠٨

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) ١٢٣

مَذْبُذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ (١٤٣) ٥٢، ٣٠٦

المائدة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ (٣) ٧٢

وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٥٦) ٢٢٠

الأنعام

وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) ٢٥٣



الله أعلم حيث يجعل رسالته (١٢٤) ٢٤٥، ٢٤٦

وكذلك نوّلى بعض الظالمين بعضاً (١٢٩) ٢٤٤

قل فله الحجة البالغة (١٤٩) ١٣٠

وأنّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم (١٥٣) ٣٥٨

الأعراف

ثم لا يتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم (١٧) ١٧١

ولباس التقوى ذلك خير (٢٦) ٢٦٣

الذى آتينا آياتنا... فأتبعه الشيطان (١٧٥) ١١٩

الأنفال

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (٤٦) ٣٠٣

التوبة

ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم (٢٥) ١٢٧

قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا (٥١) ٧١، ٧٢

وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله (٥٩) ١٠١

ورضوان من الله أكبر (٧٢) ٦٩

وما نعموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله (٧٤) ١٠١

هود

وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (٦) ٣٤٧

إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم (١١٩) ٣٠، ٢٥٢

النحل

وما بكم من نعمة فمن الله (٥٣) ١٥٣

الإسراء

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم (٧) ١٩٧

ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط (٢٩) ٢٦٣، ٢٦٤

الكهف

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيها (٧٩) ١٩٣

قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم (١٠٣) ١٠٤ (١٠٤) ٣٦٨

مريم

فهب لى من لدنك ولياً (٥) ١٤٢

? ويزيد الله الذين اهتدوا هدى (٧٦) ٣٦٧

طه

وعجلت إليك رب لترضى (٨٤) ٥٧

وقل رب زدنى علماً (١١٤) ٣٥٥

## الأنبياء

ونبلوكم بالشر والخير فتنه (٣٥) ٣٥٣، ٣٥٦

## الحج

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) ٢٥٧، ٣٧٠

كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه (٤) ٢٥٧

أيام معلومات (٢٨) ٢٥٦

## النور

والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً (٣٩) ٣٧٠

ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نورٍ (٤٠) ١٢٩

## الفرقان

وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً (٢٣) ٥٩

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعينٍ (٧٤) ١٤٢

قل ما يعبا بكم ربّي لولا دعاؤكم (٧٧) ١٩، ٧٤، ٨١، ١٠٩، ١٥٨، ٢١٠، ٣٢٠

## الشعراء

ألم نربك فينا ولیداً ولبت فينا من عمرک سنين (١٨) ١٢٢

وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل (٢٢) ١٢٢

يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم (٨٨) ٢٨٩

## النمل

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (١٤) ٢٣، ٢٢٢، ٢٤٥

## القصص

إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (٥٦) ١٧٠

## العنكبوت

أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون (٢) ٣٥٧

وإن الدار الآخرة لهي الحيوان (٦٤) ١٣٣

## الأحزاب

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (٢١) ٨٤، ٨٥، ٣٥٦

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا (٥٦) ١٤

## سبأ

وقليل من عبادي الشكور (١٣) ١٦٦

## فاطر

إنما يخشى الله من عباده العلماء (٢٨) ٣٧١

## ص

وقليل ما هم (٢٤) ١٦٦

الزمر

ومن يضليل الله فما له من هادٍ (٢٣) ١٧٠

وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (٤٧) ٣٣٣

فصلت

إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) ٢١٠ ٢١٣

وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣٥) ٢١١

الشورى

قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى (٢٣) ٢٢١

الزخرف

قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (٨١) ٣٣٧

الفتح

يد الله فوق أيديهم (١٠) ١٣٥

الحجرات

يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم (١٧) ١٢٨

الذاريات

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦) ٩٠، ٣٥٤

إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) ١٥٨

النجم

وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى (٤٣) ٣٦٩

وأن ليس للإنسان إلا ما سعى (٣٩) ٨١، ١٠٩، ١٥٨، ١٩٦، ٢١٠، ٢٥٢، ٣٢٠

الحديد

لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل (١٠) ١٧٢

من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له (١١) ١٢٨

كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً (٢٠) ١٢٧

لكيلا تأسوا على ما فاتكم (٢٣) ١٠٩

الحشر

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله (٢١) ٣٣٧

الصف

يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (٢) و (٣) ١٥، ٣٧٠

المنافقون

إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله (١) ٣٠٦

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (٨) ١١٧

التحريم

فإن الله هو مولاة وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير (٤) ٨٦

الملك

بيده الملك وهو على كل شيء قدير (١) ٣٨١

القلم

وإنك لعلى خلق عظيم (٤) ٨٥، ٢٣١، ٢٩٠، ٣٥٥

القيامة

بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره (١٤) ١٥، ٢٤

ألم يك نطفة من منى يمنى (٣٧) ١٦٠

البلد

وهديناه النجدين (١٠) ١٧٠

الشمس

قد أفلح من زكّاهها وقد خاب من دساها (١٠) ١٣٣، ٢٥٣

الليل

فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى (٥) ١٠، ١٧٠

الزلزلة

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل (٨٧) ٢٠١

القارعة

فأما من ثقلت موازينه. فهو فى عيشه راضية (٦) ٨، ٥٧

الكوثر

إنّ شأنك هو الأبر (٣) ٢٠٧

النصر

إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا (١) ٢، ١٧١

## فهرس الأحاديث

أهوى أخيك معنا؟ ٦٣

اتنوا بحطب ٣٣٢

إتق الله فى نفسك ونازع الشيطان قيادك. ٦٥، ١٦٢

أحقّ يوم بأن يسرّ العبد فيه يوم يزرقه الله صدقات ومبرات ١٣٧

احمل فعل أخيك على سبعين محملاً ٢١٨

أدائهم الأمانة لمعاوية وخيانتكم، وبطاعتهم له ومعصيتكم لى ٢٧١

إذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله ٣٥٦

إذا دخل أحدكم بيته فليسلم فإنه ينزل البركة وتؤنسه الملائكة ٣١٧

إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً... فعليك بنفسك ودع عنك ٢٥٧

- إذا سعدت روح المؤمن إلى السماء تعجبت الملائكة ٢٥
- إذا صنع اليك معروف فاذكره، إذا صنعت معروفاً فأنسه ٢٧٨
- إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل ٢٩
- إذا كان ليلة الجمعة نزل من السماء ملائكة بعدد الذرّ ... ١٤
- أذلّ عزيزنا ١٥١
- أزهد الناس في العالم بنوه ٢٦٥
- اشتغ عن الناس ١٠٧
- أشدّ العبادة الورع ٩٣
- أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه ٢٠٣
- اعلم أنه تطلب الدنيا والموت يطلبك ٢٧٥
- اعمل فأحمل على رأسك ١٠٧
- أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله ٣٩
- أفضل الأعمال الصلاة على محمد وآله، وسقى الماء، وحب على ٣٩
- أفضل الأعمال الصلاة لأوّل وقتها ٣٩
- أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن ٣٩
- أفضل الأعمال ما عمل بالسنة ٤١
- أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام (سلطان) جائر ٣٢٣
- أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته ٩٢
- أفضل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وأهل بيته ١٤
- أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير ٢٩٣
- ألا وإن الله سائلكم عن أعمالكم حتى مس أحدكم ثوب أخيه ٢٠١
- ألا وإن لكلّ مأموم إماماً يقتدى به ويستضيء بنور علمه ٢٥٤
- ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني ٢٥٥
- إلهي كفى لي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً ١١٢
- إلهي ما عبدتُك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن ٥٢،٧٠
- إلهي، تعرّض لك في هذا الليل المتعرّضون ٣٦٢
- ألينهم عريكة ٢٩٠
- أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ٣٥٥
- أما كنت ترى أن فيهم من تتقاصر نفسه ٣٤، ٣٥
- أما مع الحمد فلا والله ١٣٢
- إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قلّ ٤٠
- إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن ٤٢
- إن الشيطان ليحجرى من ابن آدم مجرى الدم ١٧٦، ٢٢٤

- إن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد ٢٢٠
- إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدى! أكنت عالماً؟ ١٣١
- إن الله جميل يحب الجمال ٢٠
- إن الله أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمد وآله ١٤
- إن الله قال: لا تُبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، ولم يقل لا تبطلوا بالمن على ١٣٧
- إن الله قد فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعف الناس كيلا يتبيغ ٣١٤
- إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يُذل ١١٧
- إن الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ٣٧٢
- إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك ٣٢٧
- إن أمير المؤمنين نهى بالكوفة عن الصلاة في خمسة مساجد ... ٣٠٥
- إن أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام ٣١٧
- أن تترك المرء وإن كنت محقاً ٣٠٠
- إن قلت لك تفعل؟ ٣٦
- إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة ٦٨
- إن ل (لا إله إلا الله) شروطاً، وإنى وذريتى من شروطها ٣٦٨
- إن لله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه ٢٦٢
- إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ١٠٣
- إن من السنة أن تصلى على محمد وعلى أهل بيته فى كل جمعة ألف مرة ١٤
- أن يعرفوه بالستر والعفاف والكف عن البطن والفرج ١٨٢
- أن يكون ساتراً لعيوبه ١٨٢
- أنت حر لوجه الله تعالى، أما إنك لم تتعمده ٢٦٦
- أنت مرضى عندنا ١٨٧
- إنما الأعمال بالنيات ١١٣
- إنما بعثت لانتم مكارم الأخلاق ١٤٥
- إنما سألتك كم ترجو؟ ٢٤٦
- إنه قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كإصبعى ١٧٣
- إنى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا ٣٦٦
- إنى تارك فيكم ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا بعدى أبداً ١٧٥
- إنى لأستريح إذا رأيتك ٦٤
- أوصيكمما وجميع ولدى وأهلى ومن بلغه كتابى بتقوى الله ٢٧٤
- إياكم والبطنه، فإنها مفسدة للبدن، ومورثة للسقم ٢٤٠
- إياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ٣٠٥
- إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شىء طالباً ٣٣٢

- أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه؟ ٢٢٠
- أيعجز أحدكم إذا قارف هذه السيئة أن يستر على نفسه ٢٨١
- الإيمان قيد الفتك ٢٢، ٢٤٨
- أيها الناس إن أنفستكم مرهونه بأعمالكم ففكوها باستغفاركم ٢٠١
- أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين ١٧٣
- بالعدل قامت السماوات والأرض ٢٦٤
- بل اجعلها هكذا، فلا تقبض أصابعك إلى كفك ... فلا إفراط ولا ٢٦٤
- بل قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد. ١٤
- بلغني أنك كنت تذبح لهم في كل منزل شاء ٣٤
- بلى يابني، ولكنني أجلّ الله تعالى أن أحلف به يمين صبر ٢٥٥
- تحبّ بقاءهم حتى يخرج كراك؟ ٢٧٣
- الجار ثم الدار ٣٣٣
- جددت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً لقتل الحسين ٣٠٥
- جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظالمهم ٢٧٣
- الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق ... ومنهم من له حقان ١٣٤
- جيفة بالليل بطل بالنهار ١٠٧
- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ووبخوها قبل أن توبخوا ٢٠٣
- الحرب خدعة ٢٤٨
- الخلق منحة يمنحها الله خلقه، فمنه سجيئة ومنه نية ٢٩٤
- الخير عادة ٢٥
- خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد ٣٣٧
- الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر ١٩، ٣٨٠
- دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق، فاعرف الحق ١٧٥
- رحم الله عبداً أحببنا أمرنا ٣١
- الرضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين ٧١
- رُفِعَ عن أمتي تسع ... والحسد والطيرة و ٢١٤
- الساتر لجميع عيوبه ١٨٢
- سواد في الدارين ١٠٦
- سياسة العدل ثلاث: رقة في حزم، واستقصاء في عدل ٢٦٥
- صاحب السجيئة هو مجبول لا يستطيع غيره ٢٩٥
- صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام ٢٧٤
- طوبى لمن ذلّ في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته ٣٠٢
- العدل أساس به قوام العالم ٢٦٥

- على حبه ايمان وبغضه كفر ٣٦٩
- على مع الحق والحق مع على، اللهم أدر الحق معه حيثما دار ٣٢٤
- على مع الحق والحق مع على، يدور معه حيثما دار ٥٧، ١٧٤
- العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عنى فعنى يؤديان... فإنهما الثقتان المؤمنان ٢٢٦
- غرمت على زرعك هذا؟ ٢٤٦
- فأخْرُجْ مِنْ جَمِيعِ مَا اكْتَسَبْتَ فِي دِيْوَانِهِمْ... وَأَنَا أَضْمَنْ لَكَ الْجَنَّةَ ٣٦
- فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك ٢٤٩
- فالطفوا في حاجتي كما تطفون في حوائجكم ٩٦
- فإن الشقى من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ٣٦٦
- فإنك امرؤ ملبوس عليك؛ إن ١٧٥
- فإنك لا تدري ما اسمك غداً ٢٧٦
- فإنما هي عزمه ٢٠٣
- الفقر فقران: فقر الدنيا وفقر الآخرة... وذاك الهلاك ١٠٠
- فكم ترجو أن تريح؟ س ٢٤٦
- فليات كل انسان بما قدر عليه ٣٣٢
- فمن أحب بقاءهم فهو منهم ٢٧٣
- فهم والجنة كمن قد رآها ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤
- فوالذى فلق الحبة ويرأ النسمة إنه لعهد النبى إلى أن لا يحبنى الا مؤمن ٣٦٩
- فيهم من يحب أن يفعل فعالك فلا يبلغ مقدرته ذلك فتتقاصر ٣٤، ٣٥
- القاتل والمقتول فى النار ٢٤٤
- قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة ٣٦٦
- قد ركز بين اثنتين ١١٤
- قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معى إليه حتى تسمعوا ردى عليه ٢٦٧
- قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول ٣٤٠
- قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ١٤
- كاد الفقر أن يكون كفرا ١٠٨
- كشف لى عن برهوت فرأيت شيبويه وحبتر يعذبان فى جوف تابوت ٢٥٣
- كل دعاء محبوب عن الله حتى يصلى على محمد وأهل بيته ١٣
- كل شىء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً ٢٧٣
- كل عزيز داخل تحت القدرة فذليل ١١٢
- كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم ٢٩٢
- لا تزالون فيها ما عشتم فأحدثوا لله شكراً ١٠١
- لا تصلوا على الصلاة البتراء ١٤، ١٥



- لا تعنهم على بناء مسجد ٢٧٤
- لا ذليل والله معزك ولا مغلوب والله ناصرك ١٥٢
- لا قرب بالنوافل إذا أضرت بالفرائض ١٦١، ٣٦٥
- لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة ٥٥
- لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه ٢٠١
- لا يقاس بال محمد من هذه الأمة أحد ١٧٥
- لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة؛ لأنه ليس أحد إلا ٣٥٧
- لست من جهالها ٢٩٧
- لعلك قبلت، أو غمزت أو نظرت ٢٨١
- لعمري إنك حقيق بأن تسر إن لم تكن أحبته ١٣٧
- لعن الله من خالفك ٣٦٤
- لعن الله من قتلك ٣٦٤
- اللهم اجعلني من أهل الجنة التي حشوها البركة ٦٩
- اللهم ارزق محمدًا وآل محمد الكفاف ١٠٣
- اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ١٠٨
- اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ٣٨١
- لو كانوا موالين لنا لواسيناهم بالدقة ١٣٥
- لو وجدت شابًا من شبان الشيعة لا يتفقه في دينه لضربته ٨٣
- لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ٣٧٨
- لولا أن بنى أمية وجدوا من يكتب لهم لما سلبونا حقا ٣٦
- لولانا ما عبد الله ٣٥
- ليس أحد من نساء المسلمين أعظم رزية منك ٣٢٥
- ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة الفكر في الله ٩٣
- ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ٣٦، ١٨٨، ٢٥٢، ٢٠٣
- المؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً ١١٧
- المؤمنون لأنفسهم متهمون ١٩٧
- ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ١٩٥
- ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم وذلك قول الله عز وجل ٢٤٤
- ما أودى نبي مثلما أوديت ٣٧٧
- ما لي أراك مسروراً؟ ١٣٧
- ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من أيام العشر ٢٥٦
- ما من شيء يعبد الله به يوم الجمعة أحب إلى من الصلاة على محمد وآل محمد ١٤
- ما وضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق ٢٣٩

- المأمون على الدين والدنيا ٢٢٥، ٢٢٦  
 محمد ابني من صلب أبي بكر ٢٥٣  
 مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش ٢٣٢  
 مرّ موسى ٣٧٩  
 مسكين ابن آدم ... تؤلمه البقة وتقتله الشرقة، وتنته العرقة ١٦٠  
 المفتى على شفير جهنم ١٢٠  
 ملعون ملعون من ألقى كَلِّه ... ١٠٦  
 ملعون من ألقى كَلِّه على الناس ١٠٦  
 من ازداد علماً، ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعداً ١٢٠  
 من أعان ظالماً سلطه الله عليه ٢٤٤  
 من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس ٢٩٩  
 من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ٢٧٤  
 من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه ١١٣  
 مَنْ رَغِبَ عَن شَيْئِي فَلَيْسَ مِنِّي ٨٧  
 من صلى صلاة ولم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه ١٥  
 من كانت له إلى الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله ١٤  
 مَنْ لَمْ يَسْسُ نَفْسَهُ أَضَاعَهَا ٢٥٤  
 من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد ١٤  
 من مات مدارياً، مات شهيداً ٢٣١  
 من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن ٢٢٤  
 من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام ١٢٤  
 من ينجيك مني يا غورث ٣٦٣  
 المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ٢٥٤  
 نحن الحبل ٣٥٨  
 نحن السبيل فمن أبي فهذه السبل فقد كفر ٣٥٨  
 نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد ٣١٥  
 نحن صنائع الله ٢٢٨  
 نعمتان مجهولتان: الصحة والأمان ٢٣٦  
 النفس مجبولة على سوء الأدب ... ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد ٢٥٤  
 هَاهُ قَدْ أَبْطَلَتْ بَرَكَ بِإِخْوَانِكَ وَصَدَقَاتِكَ ١٣٧  
 هكذا تجتمع الذنوب ٣٣٢  
 هوّن علي ما نزل بي أنه بعين الله ٣٧٩  
 هيهات منا الذلة ١١٤، ١٥١

- والله لأدعون الله عليك في كل صلاة ٣٢٦
- والله لقد خشيت أن يدال هؤلاء القوم ٢٧١
- وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره ٣٥١
- وأن تخلد فيها المعاندين ٢٤٥
- وأن تسلّم على من تلقى ٣٠٠
- وأن لا تحب أن تحمد على التقوى ٣٠١
- وإن لنفسك عليك حقاً ١٠٧
- وأنت مسدد للصواب بمنك ٢٥٧
- وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه ٣٠٢
- وإنما هي نفسى أروضها بالتقوى ٢٥٢
- وتنجيني من تعرض السلاطين ٣٦٢
- الورع عن محارم الله ١٩٥، ٢٠٠
- وصل اللهم على الدليل إليك ١٢٦
- وفيم خصومتهم؟ ١٧٥
- وكم تضربته؟ ١٦٢
- ولا أقول كهاتين ١٧٣
- ولا ينجى منك إلا التضرع إليك ١٥٨
- ولعل الذى أبطأ عني هو خير لى لعلمك بعاقبة الأمور ١٠٩، ١٨٨
- ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا، أقوام فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ٦٣
- يا أبا الصّباح هذا الفتحك، وقد نهى رسول الله عن الفتحك ٤٣
- يا أباذر ليكن لك فى كل شىء نية صالحة حتى فى النوم والأكل ١٢٣
- يا أخى إنك كنت قد قلت ما فى فأستغفر الله منه ٢٦٨
- يا إسحاق إن كنت تدرى حد ما أجزم فأقيم الحد فيه ولا تعد ١٦٢
- يا باسط اليدين بالعطية ٣٦، ١٣٦
- يا بنى قم فأعطها أربعمئة دينار ٢٥٥
- يا حسين وتدل المؤمنين ٣٣
- يا على إن الدنيا لو عدلت عند الله تبارك وتعالى جناح بعوضة ١٢٧
- يا على أنت قاضى دينى ١٧٧
- يا فلان، هذه زوجتى فلانة ٢٢٤
- يا محمد بن أبى بكر، انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها ٤٤
- يا من استصلح فاسدهم بالتوبة ٧٥
- يا من أظهر الجميل وستر القبيح ٢٧٧
- يا موسى، لو دعانى حتى تسقط يداه أو تنقطع يداه أو ينقطع ٣٨٠

يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ١٥٢

ياعلى نوم العالم أفضل من عبادة العابد الجاهل ... ١١٦

ياموسى قل له: لا تشق قميصك ولكن اشرح لى من قلبك ٢٥٣

يتعلم علمونا ويعلمها الناس ٣١، ٤٨

يجاء يوم القيامة بالرجل الحسن الذى قد افتتن بحسنه ١٣٠

يحمل هذا الدين فى كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين ٨٦

يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم ١٨٩

## فهرس المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

الصحيفة السجادية

أ

الآحاد والمثنائى أبو بكر أحمد بن عمرو الضحّاك الشيبانى / ت ٢٨٧ هـ / ط. دار الحرية الرياض.

إحياء علوم الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الشافعى الطوسى / ت ٥٠٥ هـ / ط. لجنة نشر الثقافة الإسلامية مصر.

الإختصاص أبو عبدالله محمد بن النعمان العكبىرى البغدادى، الشيخ المفيد / ت ٤١٣ هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامى قم.

الأربعين فى إمامة الأئمة الطاهرين محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازى / ت ١٠٩٨ هـ / ط. مطبعة الأمير قم.

الإرشاد فى معرفة حجج الله على العباد أبو عبدالله محمد بن النعمان العكبىرى، (الشيخ المفيد) ت ٤١٣ هـ / ط. مطبعة دار المفيد قم.

أسد الغابة فى معرفة الصحابة عزّ الدين أبو الحسن على ابن أبى الكرم الشيبانى، ابن الأثير / ت ٦٣٠ هـ / ط. انتشارات إسماعيليان طهران.

أضواء على السنّة المحمّدية محمود أبو رية / معاصر / ط. دار الكتاب الإسلامى قم.

إعلام الورى بأعلام الهدى أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى / ت ٥٤٨ هـ / ط. مؤسسه آل البيت لإحياء التراث قم.

إقبال الأعمال السيد رضى الدين على بن موسى بن جعفر بن طاووس / ت ٦٦٤ هـ / ط. مكتب الاعلام الإسلامى قم.

الأمالى أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى / ت ٤٦٠ هـ / ط. دار الثقافة قم.

أمالى المفيد أبو عبدالله محمد بن النعمان العكبىرى، الشيخ المفيد / ت ٤١٣ هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامى قم.

الإمامة والسياسة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى / ت ٢٧٦ هـ / ط. انتشارات الشريف الرضى قم.

ب

بحار الأنوار محمد باقر بن محمد تقى المجلسى / ت ١١١١ هـ / ط. مؤسسه الوفاء بيروت.

البلد الأمين إبراهيم بن على الكفعمى / ت ٩٠٥ هـ /

بيت الأحزان الشيخ عباس بن محمد رضا القمى / ت ١٣٥٩ هـ / ط. دار الحكمة قم.

ت

تاريخ ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المالكى / ت ٨٠٨ هـ / ط. دار إحياء التراث العربى بيروت.

تاريخ أسماء الثقافات عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين / ت ٣٨٥ هـ / ط. دار السلفىة كويت.

تاريخ بغداد أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى / ت ٤٦٣ هـ / ط. دار الكتب العلمية بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي، ابن عساكر/ ت ٥٧١هـ / ط. دار الفكر بيروت.
- تاريخ الطبري أبو جعفر محمد بن جرير الطبري/ ت ٣١٠هـ / ط. مؤسسه الأعلمي بيروت.
- تحف العقول أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني/ من أعلام القرن الرابع الهجري/ ط. مؤسسه النشر الإسلامي قم.
- التحقيق في أحاديث الخلاف أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي/ ت ٥٩٧هـ / ط. دار الكتب العلمية بيروت.
- تذكرة الفقهاء الحسن بن يوسف بن المطهر، العلامة الحلبي/ ت ٧٢٦هـ / ط. مؤسسه آل البيت لإحياء التراث قم.
- تفسير العياشي أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندي العياشي/ ت القرن الرابع الهجري/ ط. المكتبة العلمية الإسلامية طهران.
- تفسير القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ ت ٦٧١هـ / ط. دار إحياء التراث العربي بيروت.
- تفسير القمي أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي/ ت ٣٢٩هـ / ط. مؤسسه دار الكتاب قم.
- التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» فخر الدين محمد بن عمر الرازي/ ت ٦٠٦هـ / ط. إحياء التراث العربي بيروت.
- تفسير مجمع البيان أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي/ ت ٥٦٠هـ / ط. مؤسسه الأعلمي بيروت.
- التمحيص أبو علي محمد بن همام الإسكافي/ ت ٣٣٦هـ / ط. مدرسه الإمام المهدي قم.
- تهذيب الأحكام أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي/ ت ٤٦٠هـ / ط. دار الكتب الإسلامية طهران.
- تهذيب الكمال جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزني/ ت ٧٤٢هـ / ط. مؤسسه الرسالة بيروت.
- ثواب الأعمال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق/ ت ٣٨١هـ / ط. منشورات الرضى قم.
- ج
- الجامع الصغير جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي/ ت ٩١١هـ / ط. دار الفكر بيروت.
- جامع المقاصد علي بن الحسين الكركي/ ت ٩٤٠هـ / ط. مؤسسه آل البيت لإحياء التراث قم.
- الجواهر السنية في الأحاديث القدسيه محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي/ ت ١١٠٤هـ / ط. مكتبة المفيد قم.
- جواهر العقدين في فضل الشريفين نور الدين أبو الحسن علي بن جمال الدين السهمودي/ ت ٩١١هـ / ط. دار المعارف بغداد.
- جواهر الكلام محمد حسن بن باقر بن عبدالرحيم الجواهري/ ت ١٢٦٦هـ / ط. دار الكتب الإسلامية طهران.
- ح
- الحدائق الناضرة يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرزي البحراني/ ت ١١٨٦هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامي قم.
- خ
- الخصال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق/ ت ٣٨١هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامي قم.
- د
- الدرايه في تخريج أحاديث الهدايه أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ ت ٨٥٢هـ / ط. دار المعرفه بيروت.
- الدعوات أبو الحسن سعيد بن هبة الله، المعروف بقطب الدين الراوندي/ ت ٥٧٣هـ / ط. مدرسه الإمام المهدي قم.
- ر
- رجال الخاقاني أبو الحسن علي بن حسن بن عباس بن سالم الخاقاني/ ت ١٣٣٤هـ / ط. مكتب الإعلام الإسلامي قم.
- رجال الكشي «إختيار معرفه الرجال» لشيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي/ ت ٤٦٠هـ / ط. مؤسسه آل البيت قم.
- رسالة في العدالة للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي/ ت ٩٦٥هـ /

روضه الواعظين أبو علي محمد بن أحمد بن علي القتال النيسابوري / ت ٥٥٠٨ هـ / ط. منشورات الرضى قم.

س

سنن الدارقطني علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني / ت ٣٨٥ هـ / ط. دار الكتب العلمية بيروت.

ش

شجرة طوبى محمد مهدي بن عبدالهادي المازندراني الحائري / ت ١٣٨٥ هـ / ط. المطبعة الحيدرية النجف الأشرف.

شرح نهج البلاغه عز الدين عبدالحميد بن أبي الحديد المعتزلي / ت ٦٥٦ هـ / ط. دار إحياء الكتب العربية مصر.

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى؟ أبو الفضل عياض بن موسى القاضي اليحصبي / ت ٥٤٤ هـ / ط. دار الفكر بيروت.

ص

الصواعق المحرقة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي / ت ٩٧٣ هـ / ط. مكتبة القاهرة مصر.

ع

عدّه الداعي أحمد بن محمد بن محمد بن فهد الأسدي الحلّي / ت ٨٤١ هـ / ط. مكتبة الوجداني قم.

علل الدارقطني علي بن عمر بن أحمد البغدادي / ت ٣٨٥ هـ / ط. دار طيبة الرياض.

عوالي اللثالي العزيزية محمد بن علي بن إبراهيم الاحسائي، ابن أبي جمهور / ت ٨٨٠ هـ / ط. مطبعة سيد الشهداء قم.

عيون أخبار الرضا؟ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق / ت ٣٨١ هـ / ط. مؤسسه الأعلمي بيروت.

عيون الحكم والمواظ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي / من أعلام القرن السادس الهجري / ط. دار الحديث قم.

غ

غرر الحكم ودرر الكلم أبو الفتح عبدالواحد بن محمد بن عبدالواحد الآمدي / ت ٥٥٥ هـ / ط. مكتب الإعلام الإسلامي قم.

ف

فرحة الغرى السيد غياث الدين عبدالكريم بن طاووس / ت ٦٩٣ هـ / ط. مركز الغدير للدراسات الإسلامية قم.

الفضائل أبو الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل ابن أبي طالب القمي، ابن شاذان / ت ٦٦٠ هـ / ط. المكتبة الحيدرية

النجف الأشرف.

فضائل الأشهر الثلاثة محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق / ت ٣٨١ هـ / ط. دار المحيية البيضاء

بيروت.

فقه الرضا؟ المنسوب للإمام علي بن موسى الرضا،؟ ط. مؤسسه آل البيت؟ لإحياء التراث قم.

فقه القرآن أبو الحسن سعيد بن هبة الله، المعروف بقطب الدين الراوندي / ت ٥٧٣ هـ / ط. مطبعة الولاية قم.

فوائد الأصول محمد علي الكاظمي الخراساني / ت ١٣٥٥ هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامي قم.

فيض القدير في شرح الجامع الصغير محمد عبدالرؤوف المنادي الشافعي / ت ١٣٣١ هـ / ط. دار الكتب العلمية بيروت.

ق

قرب الإسناد أبو العباس عبدالله بن جعفر الحميري البغدادي / ت ٣٠٠ هـ / ط. مؤسسه آل البيت؟ لإحياء التراث قم.

ك

الكافي أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني / ت ٣٢٨ هـ / ط. دار الكتب الإسلامية طهران.

كامل الزيارات أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي / ت ٣٦٨ هـ / ط. مؤسسه نشر الفقاهة قم.

كشف الغمّة عن جميع الأمة عبدالوهاب بن أحمد الشعراني / ت ٩٧٣ هـ / ط. المطبعة الميمنية مصر.

كشف الغمّة فى معرفة الأئمّه أبو الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح الإربلى / ت ٦٩٣هـ / ط. دار الأضواء بيروت.

كشف اللثام بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد الأصفهاني، الفاضل الهندي / ت ١١٣٧هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامى قم.

كنز العمال علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندي / ت ٩٧٥هـ / ط. مؤسسه الرسالة بيروت.

كنز الفوائد أبو الفتح محمد بن الكراجكى / ت ٤٤٩هـ / ط. مكتبة المصطفى قم.

ل

لسان العرب أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرىقى المصرى / ت ٧١١هـ / ط. دار إحياء التراث العربى بيروت.

اللهور فى قتلى الطفوف على بن موسى بن طاووس الحسينى / ت ٦٦٤هـ / ط. أنوار الهدى قم.

م

مجمع الزوائد نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى / ت ٨٠٧هـ / ط. دار الكتب العلميه بيروت.

المحاسن أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقى / ت ٢٧٤هـ / ط. دار الكتب الإسلاميه طهران.

مدينة المعاجز السيد هاشم بن سلمان البحرانى / ت ١١٠٧هـ / ط. مؤسسه المعارف الإسلاميه قم.

المزار الكبير محمد بن جعفر بن على بن جعفر المشهدى / ت ٦١٠هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامى قم.

مستدرک سفینه البحار على بن محمد بن إسماعيل النمازى / ت ١٤٠٥هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامى قم.

مستدرک الوسائل ميرزا حسين بن محمد تقى بن على محمد النورى الطبرسى / ت ١٣٢٠هـ / ط. مؤسسه آل البيت لإحياء التراث قم.

مسكن الفؤاد زين الدين على بن أحمد الجبعى العاملى، الشهيد الثانى / ت ٩٦٥هـ / ط. مؤسسه آل البيت لإحياء التراث قم.

مشكاة الأنوار أبو الفضل على بن رضى الدين الطبرسى / ت ٥٤٨هـ / ط. دار الحديث قم.

مصباح الكفعمى تقى الدين إبراهيم بن على الكفعمى / ت ٩٠٥هـ / ط. دار الرضى قم.

معجم الفروق اللغويه الحسن بن عبدالله بن سهل بن مهران البغدادى، أبو هلال العسكرى / ت ٣٩٥هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامى قم.

معجم المؤلفين د. عمر رضا كحالة / معاصر / ط. دار إحياء التراث العربى بيروت.

مفاتيح الجنان الشيخ عباس بن محمد رضا القمى / ت ١٣٥٩هـ /

مقاتل الطالبين على بن الحسين بن محمد القرشى الأموى الأصفهاني / ت ٣٥٦هـ / ط. مؤسسه دار الكتاب قم.

المقنع محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى، الشيخ الصدوق / ت ٣٨١هـ / ط. مؤسسه الإمام الهادى قم.

مكارم الأخلاق رضى الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسى / ت ٥٤٨هـ / ط. منشورات الشريف الرضى قم.

مكاشفة القلوب أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى / ت ٥٠٥هـ / ط. مصطفى إبراهيم تاج القاهرة.

من لا يحضره الفقيه أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى، الشيخ الصدوق / ت ٣٨١هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامى قم.

منازل الآخرة عباس بن محمد رضا القمى / ت ١٣٥٩هـ / ط. مؤسسه النشر الإسلامى قم.

ميزان الحكمة محمد الرى شهرى / معاصر / ط. دار الحديث قم.

ن

نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية أبو محمد جمال الدين عبدالله يوسف الزيلعى / ت ٧٦٢هـ / ط. دار الحديث القاهرة.

نيل الأوطار محمد بن على بن محمد الشوكانى / ت ١٢٥٥هـ / ط. دار الجيل بيروت.

و

وسائل الشيعة محمد بن الحسن العاملى / ت ١١٠٤هـ / ط. مؤسسه آل البيت لإحياء التراث قم.

ى

ينابيع المودة سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفى / ١٢٩٤هـ / ط. دار الاسوة قم.

## بى نوشتها

( ) بحار الأنوار: ١ / ٢٠٤ ح ٢٤ باب ٤، مذاكرة العلم ومجالسة العلماء.

( ) كنز الفوائد: ١٣ الفصل الأول، مختصر الكلام فى أن للحوادث أولاً.

( ) مستدرک سفینه البحار: ٩ / ٢٨ باب فضل كتابه الحديث وروايته.

( ) وهو أحد أدعية الصحيفة السجادية (الدعاء رقم ٢٠) التى ينتهى سندها إلى الإمام زين العابدين سلام الله عليه، والتى تحتوى على أكثر من خمسين دعاءً منها هذا الدعاء. لقد تضمنت هذه الصحيفة من الكنوز ما بلغت من العظمة حتى عُبر عنها بأخت القرآن، وإنجيل أهل البيت سلام الله عليهم، وزبور آل محمد صلى الله عليه وآله.

( ) نقله جمهرة من علماء العامة، منهم السيوطى فى الجامع الصغير: ١ / ٦٥٦ ح ٤٢٦٦، والمتقى الهندى فى كنز العمال: ٢ / ٧٨ ح ٣٢١٥ وغيرهما.

( ) وردت فى فضل الصلوات على محمد وآله روايات كثيرة، فقد روى عن الإمام الباقر سلام الله عليه أنه قال: ما من شىء يُعبد الله به يوم الجمعة أحبّ إلى من الصلاة على محمد وآل محمد. (الحقائق الناضرة: ١٠ / ١٩٨).

وعن الإمام الصادق سلام الله عليه أنه قال: إذا كان ليلة الجمعة نزل من السماء ملائكة بعدد الذرّ فى أيديهم أقلام من الذهب وقراطيس الفضة لا يكتبون إلى ليلة السبت إلا الصلاة على محمد وعلى آل محمد، فأكثرها منها. ثم قال: إن من السنة أن تصلى على محمد وعلى أهل بيته فى كل جمعة ألف مرّة وفى سائر الأيام مئة مرّة. (تذكرة الفقهاء: ٤ / ١٠٣).

وعنه سلام الله عليه أيضاً: أفضل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وعلى أهل بيته. (قرب الإسناد: ص ١٤ ح ٤٥). وعن الإمام الرضا سلام الله عليه أنه قال: من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً. (الحقائق الناضرة: ٨ / ٤٧١).

كما ورد استحباب الصلوات على محمد وآله فى أوّل الدعاء ووسطه وآخره؛ فعن الإمام الصادق سلام الله عليه أنه قال: من كانت له إلى الله عزّ وجلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإنّ الله عزّ وجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمد وآله لا تحجب عنه. (الوسائل: ٧ / ٩٥ ح ١١ الباب ٣٦، استحباب الصلاة على محمد وآله فى أوّل الدعاء ووسطه وآخره).

ومع أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله قد بين بنفسه الشريفة كيفية الصلاة عليه، وذلك بعيد نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية: ٥٦) حين سأله المسلمون: يا رسول الله قد علمتنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد (ذكره العامة فى صحاحهم ومسانيدهم كافّة، فراجع).

كما أكّد صلى الله عليه وآله عليهم بعد ذلك بعدم بترها، أى الاكتفاء بالصلاة عليه منفرداً دون ذكر الآل؛ قال صلى الله عليه وآله: لا تصلّوا على الصلاة البتراء. فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صلّ على محمد وتسكتون، بل قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد. (ذكره ابن حجر فى صواعقه: ١٤٦ فى الآيات النازلة فى أهل البيت سلام الله عليهم الآية الثانية، والقندوزى فى ينابيعه: ١ / ٣٧ رقم ١٤ على ما رواه السهوى فى جواهر العقدين: ٢ / ١٥٥، والشعرانى فى كشف الغمّة: ١ / ٢١٩، وغيرهم فراجع).

= وقال صلى الله عليه وآله: من صلّى صلاةً ولم يصلّ فيها علىّ وعلى أهل بيتى لم تقبل منه. (ذكره الدارقطنى فى علله: ٦ / ١٩٧ ح ١٠٦٦ وسننه أيضاً: ١ / ٣٥٥ ح ٦ وابن حجر فى الدراية فى تخريج أحاديث الهداية: ١ / ١٥٨ ح ١٨٩، وابن الجوزى فى التحقيق فى



أحاديث الخلاف: ١/ ٤٠٢ الحديث الثالث، والزيلعي في نصب الرأية: ١/ ٤٢٧، والشوكاني في نيل الأوطار: ٢/ ٣٢٢ باب ما جاء في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهم).

وحدّتهم صلى الله عليه وآله من احتجاب دعاء العبد عن الله تعالى ما لم يصلّ فيه على محمّد وأهل بيته. (راجع ما ذكره السيوطي في الجامع الصغير: ١/ ٦٥٦، ح ٤٢٦٦، والمناوي في شرحه فيض القدير: ٣/ ٧٢٥، ح ٤٢٦٦، والمتقى الهندي في كنز العمال: ٢/ ٧٨، ح ٣٢١٥ والقاضي عياض في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله: ٢/ ٦٥ والهيتمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ١٦٠ وغيرهم فراجع).

رغم هذا كلّه إلا أنّك تجد قسماً من المسلمين وللأسف الشديد لا يؤدّون الصلاة على النبي وآله هكذا كاملةً تامّةً، كما أرشدهم لها صلى الله عليه وآله، ويصرّون على مخالفة أمره، فيؤدّونها ببراء، في حين يروون عنه صلى الله عليه وآله حديث النهي عن الصلاة البراءة فيقولون: قال صلى الله عليه وسلّم (!): لا تصلّوا على الصلاة البراءة.

فليتدبروا قول الله تعالى ?? : يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (؟سورة الصف، الآية: ٣٢).

«المؤسّسة»

( ) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

( ) الدعوات: ص ١٩ ح ١١.

( ) الكافي: ٦ / ٤٣٨، باب التجمل وإظهار النعمة.

( ) راجع مقاتل الطالبين: ٦٥.

( ) سورة النمل، الآية: ١٤.

( ) ما لا- يمكن التفكيك بين أجزاءه في الامتثال. مثاله: الصلاة؛ خلافاً لأجزاء المركّب غير الارتباطي كالحقوق المختلفة في ذمّة الشخص، فسقوط بعضها بالأداء يبرئ ذمته في المورد.

( ) سورة القيامة، الآية: ١٤ و ١٥.

( ) عدّة الداعي: ١٩٣.

( ) عيون الحكم والمواعظ: ١٣٦ الفصل الحادي عشر من الباب الأوّل.

( ) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

( ) راجع الكافي: ٢ / ٤٠ ح ١ باب السيق إلى الإيمان.

( ) الأمر الذي يظهر مدى اطمئنانها إليه لكونه طالباً في مدرسة دينية، وهذا يكشف عن عظم مسؤوليّة علماء وطلبة العلوم الدينية، لأنّ الناس يضعون فيهم كامل ثقتهم ولا يحتملون صدور الخطيئة منهم.

( ) هو الشيخ مرتضى بن الشيخ محمد أمين بن الشيخ مرتضى بن الشيخ شمس الدين التستري، الدزفولي، الأنصاري (١٢١٤ - ١٢٨١ هـ). يرجع نسبه الى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري. فقيه، أصولي. وُلد بدزفول، وتوفّي بالنجف الأشرف في ١٨ جمادى الثانية. من آثاره: كتاب في أصول الفقه ويعرف بالرسائل، كتاب في المتاجرة ويعرف بالمكاسب، كتاب في الطهارة، كتاب في الصلاة، كتاب في النكاح، إلى غير ذلك.

( ) هذه القصّة موجودة في «أعيان الشيعة» وفي «أعلام الشيعة»، وتعود إلى أيام الشيخ الأنصاري رحمه الله أي لما قبل زهاء مئة وأربعين سنة.

( ) قد يحتم على الإنسان أحياناً أن يُظهر علمه ولا يجوز له السكوت؛ عملاً بتكليفه الشرعي، خصوصاً إذا ما استشرت البدع في الناس

وطغى الباطل ومحق الدين؛ فقد روى عن الصادقين عليهما السلام أنّهما قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان (وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٧١، ح ٩، باب ٤٠ وجوب إظهار العلم عند ظهور البدع) ولا- كلام فى هذا، ولكن ما أكثر الحالات التى ليس فيها وجوب ولكن الفرد لا يستطيع أن يملك نفسه عن التحدّث رغبةً فى إظهار ما يملك من معلومات؟! ( انظر مصباح الكفعمى: ٦٤٧ فصل ٤٦.

أقول: إنّ هذه الكلمات قد عبّرت عن كرم الله تعالى بما لم أره فى غيرها من الكلمات. فإن اليد تمثّل رمزاً لإظهار جملة من مصاديق القدرة عند الإنسان، ففيها مثلاً تتجلى قدرته فى المنع والإعطاء، والبطش والكفّ وغير ذلك، والأدعية والخطابات الدينية لما كانت موجهة للبشر فهى تراعى وتحاكى حالاتهم وأفهامهم؛ فكأنّ المعنى فى عبارة: يا باسط اليدين بالعطية أن كلّ قدرة الله تعالى هى فى الإعطاء، المراد منه غايته لا مبدأه وكما قيل عن المعانى فى المقام: «خذ الغايات واترك المبادئ».

( قال تعالى?: إلاً من رحم ربك ولذلك خلقهم? أى ليرحمهم.

( أبو الصلت، عبد السلام بن صالح الهروى نسبة إلى هراة من مدن أفغانستان خادم الإمام الرضا سلام الله عليه ومن الرواة الثقات، وثقه عامة رجالى الشيعة وبعض رجالى العامة، منهم: عمر بن شاهين فى كتابه تاريخ أسماء الثقات: ١٥٦ رقم ٨٧٦ وما رواه البغدادي فى تاريخه من توثيق يحيى بن معين لأبى الصلت. تاريخ بغداد: ١١ / ٥٠، ضمن ترجمه الهروى، كذلك فى تهذيب الكمال: ١٨ / ٧٣ رقم ٣٤٢١ فى ترجمته.

( عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٧٥ ح ٦٩ باب ٢٨.

( هو الشيخ محمد شريف المازندراني المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ. أستاذ الشيخ الأنصارى، وقد أدرك السيد مهدي بحر العلوم رضوان الله عليه. كان يحضر درسه أكثر من ألف طالب. جواهر الكلام: ١ / ٩.

( المحاسن: ٢ / ٣٥٩، ح ٨٠.

الرواية صحيحة إن اعتبرنا الحسين بن أبى العلاء ثقةً، كما ليس بالعبد، وإن كان محلّ كلام بين علماء الرجال، ولكنّه بلا شك من خيرة أصحاب الإمامين الباقر والصادق سلام الله عليهما.

( من المعروف عن الأئمة سلام الله عليهم أنّهم لا يذكرون النصائح الحساسة لعامة الناس أو إلى الذين لا يتحملونها، الأمر الذى يفرض علينا نحن الشيعة وأهل العلم خاصّة أن ننتبه أكثر من غيرنا ونأتمل فى كلمات المعصومين سلام الله عليهم.

( الكافي: ١ / ١٩٣ ح ٦، باب أنّ الأئمة ولاة الأمر.

( كما فى الحديث: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. الوسائل: ١٦ / ٩٩ ح ٩، باب ٩٦.

( الكافي: ٢ / ٤٥٣ ح ٢، باب محاسبة العمل.

( مدينة المعاجز: ٥ / ٣٠٧ ح ٦٥.

( انظر عوالى اللآلى: ١ / ٢٧٣ ح ٩٧.

( روى أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخبرنى ما أفضل الأعمال؟ فقال: =

= الإيمان بالله. (فقه الرضا: ٣٧٦). وروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنّه قال: أفضل الأعمال الصلاة لأوّل وقتها. (جامع المقاصد: ٢ /

٢٥). وروى أيضاً: أفضل الأعمال الحبّ فى الله والبغض فى الله. (مشكاة الأنوار: ٢٢٢).

وأيضاً: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس. مسكّن الفؤاد: ٤٧.

وروى عن الإمام الحسين بن على عليهما السلام أنّه قال: صحّ عندى قول النبى صلى الله عليه وآله: أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور فى قلب المؤمن بما لا إثم فيه. (بحار الأنوار: ٤٤ / ١٩٤، باب ٢٦، ح ٧). وروى أيضاً: أفضل الأعمال الصلاة على محمد وآله، وسقى الماء، وحبّ على بن أبى طالب عليه السلام. (مستدرک سفينة البحار: ٤ / ٢١).

- ( ) وهى عبارة عن ثبوت وصف أو حكم على شخص خاص بحيث لا- يتعدى ذلك الوصف إلى غيره وإن كان مماثلاً- له فى الأوصاف؛ إذ المناط فيها هو أن يكون الحكم وارداً على الأشخاص لا على العنوان الثابت فى القضية الحقيقية.
- ( ) الكافى: ١ / ٧٠ ح ٧، باب الأخذ بالسنة.
- ( ) راجع ص ٣٠- ٣١ من الكتاب (موضوع: أكمل الإيمان).
- ( ) راجع مقاتل الطالبين: ٦٤.
- ( ) تهذيب الأحكام: ١٠ / ٢١٤ ح ٥٠، باب ١٥ القضاء فى قتل الزحام.
- ( ) بحار الأنوار: ٣٢ / ١٨٢، باب وقعة الجمل.
- ( ) آية الله العظمى السيد مهدي الحسينى الشيرازى قدس سره.
- ( ) محمد بن مسعود العياشى من علماء الطائفة المعروفين، عاش فى بغداد وتوفى عام ٣٢٠ هـ، وكان ممن عاصر الشيخ الكلينى فىكون بذلك من المعاصرين لفترة الغيبة الصغرى حتى قريب انصرامها عام ٣٢٩ هـ حيث بدأت الغيبة الكبرى.
- ( ) تزعم الحوزة العلمية فى مدينة قم المقدسة بعد رحيل مؤسسها المرحوم الشيخ عبدالكريم الحائرى، ولعل العشرات بل المئات من الأفاضل الموجودين الآن فى قم حضروا درسه أو التقوه، وهذه القصة التى وقعت إبان مرجعته العامة للشيعه مدونة فى تاريخه، ونقلت عنه كثيراً، ومن الذين نقلوها مراراً السيد مصطفى الخونسارى رحمه الله، الذى كان ملازماً له.
- ( ) أحد المساجد المعروفة فى قم المقدسة.
- ( ) كان هذا استدراكاً من سماحته بمناسبة أن حديث سماحته هذا كان قد صادف ليلة عرفة.
- ( ) لأن أداء الصلاة فى أول وقتها مستحب وليس واجباً، ووقت الصلاة مؤسح لا يحاسب على فواتها إن أدركه الأجل خلال الوقت، أما تقديم الاعتذار والاستحلال من العباد فهو واجب فورى يحاسب المرء على تركه إن لم يؤدّه وأدركه الموت. فلو مات الإنسان فى أول الوقت ولم يصل الفريضة التى حلّ وقتها لا يقال له لم لم تؤدّها؟ لأن الله سبحانه قد وسع من وقت الصلاة، ولم يحصر وقت أدائها فى أول الوقت، بل جعل لها الفضيلة فى أدائها، ولا يحاسب المكلف على الصلاة إلا إذا تركها عامداً حتى فات وقتها إلى غيرها، أما حقّ الناس، فإن مات عنه، حوسب عليه.
- ( ) منازل الآخرة: ٣١.
- ( ) سورة النساء، الآية: ١٤٣.
- ( ) انظر لسان العرب: ٩ / ٣١٦، مادة لطف.
- ( ) الكافى: ١ / ٧٠، ح ٩، كتاب فضل العلم.
- ( ) وسائل الشيعه: ١ / ٣٣ ٥٤، أبواب مقدّمة العبادات من كتاب الطهارة.
- ( ) المتقدم آنفاً.
- ( ) إشارة لما جاء فى زيارة أمير المؤمنين سلام الله عليه حين يقف الزائر على باب السلام فىقول: السلام ... على ميزان الأعمال، انظر المزار: ١٨٤.
- ( ) سورة القارعة، الآية: ٨ ٦.
- ( ) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: على مع الحق والحق مع على، يدور معه حيثما دار، شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٧٢.
- ( ) شرح النهج: ٢ / ٢٨٢.
- ( ) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
- ( ) بحار الأنوار: ٦٧ / ١٩٨، باب ٥٣ التية و شرائطها و مراتبها.

( ) ابحثوا عن كتب الأدعية المؤلفة عبر مئات السنين، ربّما تجدونها بالمثلثات. وإنّني رأيت العشرات منها ما بين مطبوع ومخطوط، ولكنّ الملاحظ أنّ كتاب «مفاتيح الجنان» هو الوحيد الذي أصبح معروفاً لدرجة ربّما لا يعلم كثير من سواد الشيعة بوجود كتاب في الأدعية غيره!

( ) بحار الأنوار: ٣٢ / ٣٤٥، باب ٤ احتجاجه عليه السلام على أهل البصرة.

( ) أدرك أبو حمزة (واسمه ثابت بن دينار) أربعة من الأئمة المعصومين سلام الله عليهم، فقد عاصر الإمام زين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم سلام الله عليهم، وهناك خلاف في كونه أدرك الإمام الحسن والإمام الحسين سلام الله عليهما. والمتيقن أنّه أدرك أربعة من ذرية الحسين سلام الله عليه (أعنى السجّاد والباقر والصادق والكاظم سلام الله عليهم). وهناك قول بأنّه أدرك الإمام الرضا سلام الله عليه أيضاً، لأنّ هناك روايات تقول بأنّه كان أيام الإمام زين العابدين سلام الله عليه شاباً وأيام الإمام الكاظم سلام الله عليه شيخاً كبيراً.

وكان لأبي حمزة الثمالي أولاد من خيرة أصحاب الأئمة، فكانوا خيرة الأولاد ومن خيرة آباء، وهم محمد وعلي وهما ثقتان، وكان عنده ابن يسمّى حسيناً، وسبط بهذا الاسم أيضاً، ولكن اختلف علماء الرجال هل حسين هذا هو ابنه أو سبطه أم هما اثنان؛ قال العلامة المجلسي وجماعة إنهما شخصان أحدهما ابنه والآخر ابن بنته، وكلاهما ثقتان.

( ) رجال الكشي: ٣٣، ح ٦١.

( ) روى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: إتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الآخرة وجهك، واجعل لله جدك. (غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٩ رقم ٥٨٤٠).

( ) فلو لم يكن الشيخ الطوسي أو الشيخ المفيد أو المحقق الحلي مثلاً يذكرون أسماءهم على مؤلفاتهم وكتبهم فتعرف أنّها لهم لما اعتُمد عليها ولا حصل الاطمئنان بها والرجوع إليها.

( ) كما لو تزوّج شخص بامرأة بعد البحث والسؤال ثمّ تبين له أنّ الواقع يخالف ما قيل له؛ أو تلميذ يثق بأستاذه ثمّ يتبين له بعد ذلك أنّه لم يكن لائقاً، أو العكس، أو شخص يتعب نفسه سنين طويلة في جمع ثروة كبيرة، ثمّ يبدو له أنّ يحولها إلى عملة قويّة كالدولار مثلاً = = ويتبين له بعد فترة أنّ تلك العملة التي استلمها كانت مزوّرة، أو سجّلت في السوق هبوطاً مريعاً بحيث ذهبت بأرباح سنين طويلة من التعب والعناء في التجارة والكسب.

أعرف شخصين كانا صديقين لسنوات طويلة وكان كلّ منهما يثق بالآخر تمام الثقة، ولكنهما اختلفا بعد ذلك عندما كبر سنهما حتى انتهى بهما الأمر إلى أن اشتكى كلّ منهما على الآخر واستمرّا على الشكوى وصرفا الأموال ولم يتصالحا أو يصلا إلى نتيجة إلى أن ماتا. قال لي أحدهما مندهشاً ذات مرّة: إنني أعرف فلاناً (يعني صاحبه) منذ أربعين سنة وكنت أثق به كثيراً، فكيف تصرّف معي هكذا؟! وكان يتساءل: هل كانت ثقتي به كلّ هذه المدّة في غير محلّها؟

( ) بحار الأنوار: ٦٧ / ١٩٦، باب التّية وشرائطها ومراتبها.

( ) كما في الدعاء: اللهم اجعلني من أهل الجنّة التي حشوها البركة (وسائل الشيعة: ٧ / ٣٩٨. الدعاء بعد صلاة النافلة في يوم الجمعة). و «حشوها البركة» أي ملؤها وكلّ ما في داخلها بركة، فما من شيء فيها إلا وهو مبارك، والبركة تعني النعمة الدائمة ولا توجد نعمة دائمة في الدنيا لأنّها لا محالة تنتهي بموت الإنسان مهما طال به العمر. أمّا الجنّة فنعيمها دائم.

( ) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

( ) منازل الآخرة: ٣١.

( ) سورة التوبة، الآية: ٥١. وروى عن الامام زين العابدين سلام الله عليه أنّه قال: الرضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين.

التمحيص: ٦٠ ح ١٣١.

- ( ) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
- ( ) سورة المائدة، الآية: ٣.
- ( ) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
- ( ) أعرف شخصين كانا صديقين حميمين توفى أحدهما والآخر أخبرني بما كان منه من إساءة الظنّ بالأوّل في حياته بسبب بعض القرائن وصرّح له بذلك أيضاً، لأنّه كان يزعم أنّه متيقّن من الأمر، وبعد موته انكشف له أنّ ظنه كان خاطئاً وأنّ صديقه كان بريئاً! فتألّم كثيراً لذلك، ولقد رأيتّه يبكي بحرقة، وعندما سألته عن السبب؟ قال لي: أنا لا أبكي لموته ولكن لما صارحته به من فقدان ثقتي به، مع أنّ الأمر كان خلاف الواقع. فمثل هذا الشخص يبقى معذباً إذا كان صاحب وجدان وضمير حيّ.
- ( ) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.
- ( ) الصحيفة السجّادية، دعاء ١٣ في التوبة.
- ( ) أي وضع نفسه مكان السائل لبيّن فداحة الأمر لنا.
- ( ) سورة النجم، الآية: ٣٩.
- ( ) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.
- ( ) بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٤٦، باب ٢٦ مواظب الرضا عليه السلام، ح ٤.
- ( ) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
- ( ) لقد رأيت أخيراً كتاباً لأحد المستشرقين مترجماً في إحدى البلاد الإسلامية، وكانت الترجمة مطبوعة عدّة طبعات حتى أنّ النسخة التي حصلت عليها كانت من الطبعة السابعة أو الثامنة! يختلق الكاتب على رسول الله صلى الله عليه وآله أموراً ما تُنبئ عن استمرار النّفْس اللأخلاقى الذي كالتهم لأنبياء الله ورسله من قبل، مع أنّ كلّ كتب التاريخ بما فيها كتب المنصفين من المستشرقين تشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو أظهر إنسان خلقه الله. فمن الذي يجب أن يتصدّى للردّ على مثل هذه التخرّصات، خصوصاً وهي تحدث في بلد إسلامي وتشجّع عليه، حتى أنّها طبعت هذا الكتاب وفي مدينة واحدة من مدنها أكثر من سبع طبعات.
- ( ) سورة القلم، الآية: ٤.
- ( ) سورة التحريم، الآية: ٤.
- ( ) وسائل الشيعة: ١١ / ١٥٠، باب ١١ وجوب الرجوع في القضاء ... رقم ٣٣٤٥٨.
- ( ) وسائل الشيعة: ٢٠ / ٢١، باب ٢ كراهة العزوبة وترك الترويج، ح ٢٤٩٢١.
- ( ) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
- ( ) هو أحمد بن محمد بن أبي نصر، من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا سلام الله عليهما وقيل: إنّهُ أدرك الإمام الجواد سلام الله عليه أيضاً. وهو أحد ثلاثة أشخاص ثانيهما محمد بن عمير، والثالث صفوان بن يحيى، انعقد إجماع الفقهاء على العمل برواياتهم.
- ( ) بحار الأنوار: ٦٨ / ٣٢١. روى الكليني رحمه الله في الكافي رواية بسنتين معتبرين عن البنظي، في سلسلتها عبارة «عن بعض رجاله» وهذا معناه أنّ أحد الرواة مجهول، ولكن الشيخ الطوسي رضوان الله عليه ذكر أنّ إجماع الطائفة جرى على العمل بما رواه البنظي إلا ما خرج بدليل. وهناك روايات كثيرة بهذا المضمون ولكن إن قلنا إنّ بعضها غير معتبر سنداً فهذه الرواية معتبرة سنداً؛ لما تقدّم.
- ( ) قال المجلسي رحمه الله: وفي قدرته عطف تفسيري لقوله في الله فإنّ التفكير في ذات الله وكنه صفاته ممنوع. (بحار الأنوار: ٦٨ / ٣٢١ ح ٣، باب ٨٠ المنكر والاعتبار والاتعاظ).
- ( ) وسائل الشيعة: ١٥ / ١٩٧، باب ٥ استحباب التفكير، رقم ٢٠٢٦٥.
- ( ) الكافي: ٧٧ / ٢، ح ٥، باب الورع.

( ) إشارة الى آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي قدس سره.

( ) الكافي: ٢ / ٢٢٢، باب الكتمان.

( ) روضة الواعظين: ٤٥٤.

( ) مكارم الأخلاق: ٤٤٦، في موعظة رسول الله صلى الله عليه وآله لابن مسعود.

( ) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

( ) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

( ) كما ذكر ذلك وفضله الشيخ الرضي (رضي الله عنه) في شرحه على الكافية، وورد البحث في كتب اللغة إجمالاً.

( ) الكافي: ٢ / ١٤٠، باب الكفاف.

مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرَاعِيِ إِبِلٍ، فَبَعَثَ يَسْتَسْقِيهِ، فَقَالَ: أَمَا مَا فِي ضُرُوعِهَا فَصَبُوحُ الْحَيِّ، وَأَمَا مَا فِي آيَاتِنَا فَعُبُوقُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوُلْدَهُ. ثُمَّ مَرَّ بِرَاعِيٍ غَنَمٍ فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَسْتَسْقِيهِ فَحَلَبَ لَهُ مَا فِي ضُرُوعِهَا وَأَكْفَأَ مَا فِي إِيَائِهِ فِي إِيَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِشَاءٍ وَقَالَ: هَذَا مَا عِنْدَنَا وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ نَزِيدَكَ زِدْنَاكَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ الْكِفَافَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعَوْتَ لِلَّذِي رَدَّكَ بِدُعَاءِ عَامَّتِنَا نُحِبُّهُ، وَدَعَوْتَ لِلَّذِي لَدَى أَسَدِ عَفْكَ بِحَاجَتِكَ بِدُعَاءِ كُنَّا نَكْرَهُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنْ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَيِّ، اللَّهُمَّ ارْزُقْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ الْكِفَافَ.

( ) إذاتمعنتم في كلمات الزيارة التي يزورها الإمام خاصية وتلك التي يعلمها الأصحاب والشيعه لرأيتم بعض الفرق، فمثلاً توجد في زيارة أنصار الإمام الحسين سلام الله عليه في آخر زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه المعروفة بزيارة «وارث» عبارة: بأبي أنتم وأمي، يخاطب بها أنصار الإمام الحسين سلام الله عليه. ولو نظرتم إلى سند هذه الزيارة لرأيتم أنها الزيارة التي علمها الإمام الصادق سلام الله عليه صفوان وقال له: زر بهذه الزيارة (يعني زيارة وارث). أما الإمام الصادق سلام الله عليه وهو ابن المعصوم فلا ينبغي أن يخاطب غير المعصوم مهما عظم قدره بقوله: بأبي أنت وأمي، إذن فهو سلام الله عليه قد زار جدّه الحسين سلام الله عليه بزيارة أخرى. وهذه من النكات اللطيفة.

( ) تهذيب الأحكام: ٦ / ٣٢٧ ح ٩٠٢، باب المكاسب.

( ) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٨ ح ١٧٤١، باب فضل الصدقة.

( ) بحار الأنوار: ١٣ / ٣٥٤، ح ٥٢، باب بعثه موسى وهارون عليهما السلام.

( ) تذكرة الفقهاء: ٢٠ / ٢٩٧.

( ) الكافي: ٥ / ٧٧، باب ما يجب من الإقتداء بالأئمة.

( ) ميزان الحكمة: ٣ / ٣٢٢٠.

( ) عوالي اللآلي: ٢ / ٧١، ح ١٨٤.

( ) سورة النجم، الآية: ٣٩.

( ) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

( ) كما في دعاء الإمام الحجّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف المستحبّ قراءته في ليالي شهر رمضان المبارك، والمعروف بدعاء الافتتاح، من قوله: ولعلّ الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور. (إقبال الأعمال: ١ / ١٣٩).

( ) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

( ) الخصال للصدوق: ٤٢٠، ح ١٤، باب التسعة.

- ( ) تحف العقول: ٢١٥.
- ( ) الجواهر السنية: ٧٩.
- ( ) بحار الأنوار: ٦٧ / ٢١٠، باب ٥٣ التيه وشرايطها.
- ( ) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٣ الباب ١٨ / ح ٧.
- ( ) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٢.
- ( ) شجرة طوبى: ٧٥.
- ( ) مكارم الأخلاق: ٤٤١.
- ( ) الكافي: ٥ / ٦٣، باب كراهة التعرض لما لا يطيق.
- ( ) كان رجلاً على دين موسى عليه السلام وكان عنده اسم الله الأعظم، إذا دعا الله تعالى به أجابه، فمال إلى فرعون، فأخذ منه الاسم الأعظم. انظر تفسير مجمع البيان: ٤ / ٣٩٤ مورد الآية ١٧٥ من سورة الأعراف.
- ( ) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.
- ( ) بحار الأنوار: ٢ / ٣٧ ح ٥٠، باب ٩ استعمال العلم والإخلاص.
- ( ) رسالة في العدالة: ٢٦٨.
- ( ) سورة الشعراء، الآية: ٢٢.
- ( ) سورة الشعراء، الآية: ١٨.
- ( ) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
- ( ) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
- ( ) مكارم الأخلاق: ٤٦٤، وصاياه صلى الله عليه وآله لأبي ذر.
- ( ) بحار الأنوار: ٤٦ / ٧٥، ح ٦٥، باب مكارم أخلاق الإمام السجاد وعبادته صلوات الله وسلامه عليه.
- ( ) ورد في دعاء الصباح للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: وصلّ اللهم على الدليل إليك في =
- = الليل الأليل والثابت القدم على زحاليها في الزمن الأول يعني به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. (مفاتيح الجنان دعاء الصباح).
- ( ) روى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: يا على إن الدنيا لو عدلت عند الله تبارك وتعالى جناح بعوضه لما سقى الكافر منها شربة من ماء. من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٣٦٢.
- ( ) سورة التوبة، الآية: ٢٥.
- ( ) سورة الحديد، الآية: ٢٠.
- ( ) إشارة الى قوله تعالى?: يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا- تَمَنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ الحجرات: ١٧.
- ( ) سورة الحديد، الآية: ١١.
- ( ) سورة النور، الآية: ٤٠.
- ( ) بحار الأنوار: ٧ / ٢٨٥، باب ١٣ ما يحتج الله به على العباد.
- ( ) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.
- ( ) الأمالي للمفيد: ٢٢٧ ح ٦ مجلس ٢٦.
- ( ) بحار الأنوار: ٦٨ / ٥٤، ح ٨٦، باب ٦١.

( سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

( مستدرک الوسائل: ٨ / ٤٢٤، ح ١٤، باب وجوب كف الأذى عن الجار.

( روى عن مَعْلَى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي لَيْلَةٍ قَدْ رُشَّتْ وَهُوَ يُرِيدُ ظُلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ. فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ رُدِّ عَلَيْنَا. قَالَ: فَاتَّبَعْتُهُ فَسَلِمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ فَقَالَ: مُعَلَّى! قُلْتُ: نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ. فَقَالَ لِي: التَّمَسْ بِيَدِكَ فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَاذْفَعْهُ إِلَيَّ. فَإِذَا أَنَا بِخُبْزٍ مُنْتَشِرٍ كَثِيرٍ فَجَعَلْتُ أَذْفَعُ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتُ، فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ أَعْجَزُ عَنْ حَمَلِهِ مِنْ خُبْزٍ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَحْمَلُهُ عَلَيَّ رَأْسِي؟ فَقَالَ: لَا- أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكَ وَلَكِنْ امْضِ مَعِيَ. قَالَ: فَاتَيْنَا ظُلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامَ فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيفَ وَالرَّغِيفِينَ حَتَّى آتَى عَلَيَّ آخِرَهُمْ ثُمَّ انْصَرَفْنَا. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْحَقَّ؟ فَقَالَ: لَوْ عَرَفُوهُ لَوَاسَيْنَاهُمْ بِالذُّقَّةِ. وَالذُّقَّةُ هِيَ الْمِلْحُ. (الكافي: ٩ / ٤، باب صدقة الليل).

( ومن ذلك قول الله تعالى:؟ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (سورة الفتح، الآية: ١٠) والمقصود قدرة الله تعالى وسلطته ومكنته وكذلك فضله ونعمته لأن الله تعالى ليس له يد كأيدينا أو غير ذلك من الأعضاء.

( انظر مصباح الكفعمي: ٦٤٧ فصل ٤٦، من أدعية ليلة الجمعة.

( سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

( سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

( سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

( سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

( مستدرک الوسائل: ٧ / ٢٣٤، باب ٣٤ عدم جواز المن في الصدقة.

( سورة مريم، الآية: ٥.

( سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

( فقولهم: «عقد» يعنى أنها ليست إيقاعاً، والفرق بين العقد والإيقاع أن الأول لا- يتقوّم إلا بطرفين؛ إيجاب وقبول. فالواهب يقول: وهبت، والذي تنتقل إليه الهبة يقول: قبلت، خلافاً للإيقاع فإنه لا يشترط فيه القبول. وخرج بقولهم: بلا عوض مثل البيع فإنه تمليك بعوض، فلو قال الواهب: وهبتك كذا، وسكت، دون أن يضيف عبارة (بلا عوض)، فلا يقدح ذلك في العقد؛ لأن مقتضى الهبة أن يكون بلا عوض، وإلا لم يكن هبة. فذكر هذا القيد في التعريف إنما هو على نحو الإقتضاء وليس العلية التامة، أى أن الهبة بطبعها تقتضى أن تكون بلا عوض.

( يقال والشىء بالشىء يذكر: إن ملكاً قال لرجل وكان زاهداً مبتعداً عنه: لماذا لا تأتيني وأنت عبدى؟ عجب الزاهد وقال: كيف أصبحت عبداً لك؟! قال الملك: ألسنت من رعاياى. قال الزاهد: وكيف أكون عبداً لك وأنت عبد عبدى؟ قال الملك مستغرباً غاضباً: وكيف ذلك؟! قال: أنت عبد الهوى وأنا سيد الهوى، فأنت عبد لعبدى!

( مستدرک الوسائل: ١١ / ١٨٧، الباب ٦، الحديث ٢.

( بحار الأنوار: ٢٨٣ / ٤٤ باب ٣٤.

( البلد الأمين: ٢٨٤ أدعية شهر شعبان.

( اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٧.

( سورة النحل، الآية: ٥٣.

( سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

( سورة الذاريات، الآية: ٥٨.



- ( ) سورة النجم، الآية: ٣٩.
- ( ) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.
- ( ) من لا يحضره الفقيه: ١: ٤٨٧ باب دعاء قنوت الوتر ...
- ( ) سورة القيامة، الآية: ٣٧.
- ( ) نهج البلاغة: ٥٥٠ رقم ٤١٩ الحكم القصار.
- ( ) وسائل الشيعة: ٤ / ٢٨٦ الباب ٦١ ح ٥١٧٦.
- ( ) الكافي: باب النوادر: ٢٦٠.
- ( ) سورة سبأ، الآية: ١٣.
- ( ) سورة ص، الآية: ٢٤.
- ( ) سورة النساء، الآية: ٧٨.
- ( ) سورة النساء، الآية: ٧٩.
- ( ) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
- ( ) سورة القصص، الآية: ٥٦.
- ( ) سورة البلد، الآية: ١٠.
- ( ) قال تعالى:؟ فأما من أعطى واتقى؟ وصدق بالحسنى؟ فسنيسره ليسرى؟ وأما من بخل واستغنى؟ وكذب بالحسنى؟ فسنيسره للعسرى؟ سورة الليل، الآية: ٥، ١٠.
- ( ) سورة النصر، الآية: ١.
- ( ) كان رسول الله صلى الله عليه وآله يذهب بشخصه الكريم إلى القبائل والوفود الذين كانوا يأتون إلى مكة في موسم الحج - وكان الحج موجوداً قبل الإسلام ولكن الإسلام خلّصه من الطقوس الوثنية - فكان صلى الله عليه وآله يعرض عليهم الإسلام فكان بعضهم يرفض =
- = وقسم قليل يقبل دعوته، وكان بعضهم يسىء الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وربما لا يدعه يتكلم.
- تصوّر كم كان الأمر صعباً في البداية، وكم كان يعنى الدخول في الإسلام؛ وهذا يعنى أنّ الهدى الصالح والطريقة الحقّة التي كان عليها غالب المسلمين الأوائل، أعنى تلك الثلثة المؤمنة منهم، لم تكن تقليداً أو من باب «حشر مع الناس عيد» بل كان إطارها التية الصادقة والعقيدة الراشدة.
- ( ) سورة الحديد، الآية: ١٠.
- ( ) سورة الأعراف، الآية: ١٧.
- ( ) تفسير القمي: ١ / ١٨٠.
- ( ) بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٦٨، باب ٢٣، ح ٦٠٦.
- ( ) نهج البلاغة: ٤٦ الخطبة ٢ بعد انصرافه من صفين.
- ( ) أي حسبك.
- ( ) الأمالي للمفيد: ٣ ح ٣، المجلس الأول.
- ( ) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم (... مستدرک الوسائل: ١٦ / ٢٢٠ ح ١٦، باب ٩٣ صحّة التوبة في آخر العمر).

- (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧٣ / ٤.
- (٢) قال المسعودي: في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال، فكان له لعثمان يوم قُتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار، وخلف إبلاً وخيلاً كثيرة. تاريخ ابن خلدون: ١ / ٢٠٤.
- (٣) بحار الأنوار: ٧٤ / ٣٨، باب ٦٠.
- (٤) قال ابن يعفور: قلت لأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام: بما يعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى يقبل شهادته لهم وعليهم؟ فقال: أن يعرفوه بالستر والعفاف والكف عن البطن والفرج واليد واللسان، ويعرف باجتناب الكبائر التي أوعدها الله عليها النار من شرب الخمر والزنا والربا وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وغير ذلك، والساتر لجميع عيوبه. (بحار الأنوار: ٣٨ / ٨٥)
- (٥) فقد حرّم معظم الفقهاء رضوان الله عليهم على المؤمن الخروج بلباس الشهرة إلى المحال العامية = وهو اللباس الذي يوجب أن يعيره الناس بسببه، ومن لم يحرمه منهم عدّه مكروهاً. ومما يؤكّد حرمة الشهرة روايات عديدة عن المعصومين سلام الله عليهم منها رواية عن الإمام الصادق عليه السلام؛ حيث يقول: الشهرة خيرها وشراً في النار (الكافي: ٦ / ٤٤٤ باب كراهية الشهرة، ح ٣).
- (٦) فقد ورد عن الإمام الصادق سلام الله عليه: أحبّ إخواني إلّي من أهدى إلّي عيوبى. تحف العقول: ٣٦٦.
- (٧) أحد كبار فقهاء الشيعة ومراجع التقليد في أوائل القرن الرابع عشر الهجرى، تلمذ على الشيخ الأنصارى ومن بعده تلمذ هو ومجموعة زملاء له - منهم الآخوند الخراسانى - على المجدد الشيرازى، وصاروا كلّهم مراجع تقليد، وبقي الشيخ محمد طه نجف مرجعاً أعلى للتقليد حتى وفاته ثم انتقلت المرجعية بعده إلى الآخوند الخراسانى.
- (٨) الكافي: ٢ / ٤٥٣ باب محاسبة العمل ح ٢.
- (٩) الكافي: ٦١٤ باب ترتيل القرآن. والترقوتان هما العظمان المكتنفان بالحلقوم.
- (١٠) روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ربّ تال للقرآن والقرآن يلعنه. مستدرک وسائل الشيعة: ٤ / ٢٤٩ باب ٧ ح ٢.
- (١١) عن علي بن أبي حمزة قال كان لى صديق من كتاب بنى أمية فقال لى استأذن لى على أبى عبد الله سلام الله عليه فاستأذنت له فلما دخل سلّم وجلس ثم قال: جعلت فداك إني كنت فى ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت فى مطالبه، فقال أبو عبد الله سلام الله عليه: لولا أنّ بنى أمية وجدوا من يكتب لهم ويجبى لهم الفىء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما فى أيديهم ما وجدوا شيئاً إلا ما وقع فى أيديهم ... بحار الأنوار: ١٣٨ / ٤٧ باب ٥. مرّ تفصيل القصة فى صفحة ٣٦.
- (١٢) يقول علماء الأخلاق: إنّ كلّ فضيلة هى وسط بين رذيلتين هما الإفراط والتفريط. فالكرم وسط بين البخل والإسراف، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، وهكذا. وكلّ شىء جاوز حدّه انقلب إلى ضدّه. ومثال ذلك وضع الملح فى الطعام فإنّ زيادة الكمية نقص كما نقصانها. فالفضائل مطلوبة، ولكن ضمن حدودها، فإن تجاوزتها انقلبت إلى أضرارها.
- (١٣) سورة الكهف، الآية: ٧٩.
- (١٤) وهو أنّه سؤال العارف الذى يعرف الشىء ولكنّه يسأل ليفهمه الناس.
- (١٥) ويلاحظ أنّ الإمام لم يقل: «ما أفضل هذه الأعمال؟» بل قال: ما أفضل الأعمال؟ أى أعمّ ممّا ذكره النبى صلى الله عليه وآله فى الخطبة، فإنّ الجمع المحلّى ب «أل» ظاهر فى العموم.
- (١٦) راجع الأمالى للصدوق: ١٥٣ ح ٤ المجلس العشرون (تمام الخطبة).
- (١٧) نهج البلاغة: ٢٠٣ رقم ١٩٣.
- (١٨) سورة النجم، الآية: ٣٩.
- (١٩) سورة الإسراء، الآية: ٧.
- (٢٠) عيون الحكم والمواعظ: ٦٦ الفصل الأول مما أوّله الألف واللام.

- ( ) الأمالى للصدوق: ١٥٣ ح ٤ المجلس العشرون.
- ( ) سورة الزلزلة، الآية: ٧ - ٨.
- ( ) راجع ثواب الأعمال: ٢٨٠ - ٢٩٥ (ضمن خطبة طويلة).
- ( ) فقه القرآن: ٢ / ٣٣ باب المكاسب المباحة.
- ( ) بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٥٩، باب ٧٣ رقم ٣.
- ( ) الكافي: ٢ / ٤٥٣ ح ٢ باب محاسبة النفس.
- ( ) الفضائل لابن شاذان: ١٥٤ ضمن حديث طويل.
- ( ) مستدرک الوسائل: ١ / ١٢٥ ح ١٠، باب ١٨، تأكد استحباب الجِدِّ والاجتهاد.
- ( ) سورة الكوثر، الآية: ٣.
- ( ) سورة النساء، الآية: ٧٩.
- ( ) سورة النجم، الآية: ٣٩.
- ( ) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.
- ( ) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
- ( ) سورة فصلت، الآية: ٣٥.
- ( ) تحف العقول: ٥٠.
- ( ) وربما لوحظ المعنيان في كلمة (دنيا)، لأنَّ الدنيا تلى الآخرة، فهي أقرب بالنسبة لنا من الآخرة، فيقال إنَّها دنيا أى دانية قريبة بالنسبة لنا، وإنَّها دينئة المنزلة أيضاً قياساً إلى سمو الآخرة ورفعها، فمن هذا الباب سميت (دنيا)..
- ( ) الكافي: ٢ / ١٧٣ ح ١٣ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه.
- ( ) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
- ( ) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
- ( ) سورة النمل، الآية: ١٤.
- ( ) نُقل عن شخص أنَّه كتب رسالة جوابية لشخص دنىء ضمَّنها عبارة تعيظه، فكانت النتيجة أن ألحق به ذلك الدنىء أضراراً كبيرة، وعندما سئل الشخص: لماذا كتبت تلك العبارة؟ أجاب: أردت أن أغيظه لأتَّى كنت أعرف أنَّه يتأذى منها كثيراً فتعمدت إيذاءه!
- فمثل هذا الشخص لم يعمل ما من شأنه أن يجنبه عداوة الأذنين.
- ( ) نهج البلاغة: ٤ / ٤١ رقم ١٥٩. وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن.
- ( ) الكافي: ٨ / ١١٣، حديث آدم مع الشجرة.
- ( ) في مدينة قم المقدسة.
- ( ) انظر الاختصاص للمفيد: ٨٧.
- ( ) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
- ( ) روى عن أبى محمد عليه السلام، أنَّه قال لأبى على حين سأله عن العمرى وابنه: العمرى وابنه ثقتان، فما أديا إليك عنى فعنى يؤديان، وما قال لك فعنى يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان. الكافي: ١ / ٣٢٩ ح ١ باب فى تسمية من رآه الإمام.
- ( ) انظر: نهج البلاغة: ٣٨٥ رقم ٢٨ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً. وفيه قوله عليه السلام: فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا...

( الدعوات: ص ٢٢٠.

( سورة القلم، الآية: ٤.

( الكافي: ١١٧ / ٢ ح ٥، باب المداراة، وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش.

( مما يُذكر في هذا المجال: أن فصحاء العرب وبلغاءهم اجتمعوا في الجاهلية ليصوغوا جملة تكون رادعة للقتل والتناحر، وبعد نقاش ومداوله طويله، أقرتوا عبارة (القتل أنفى للقتل) بعد أن أعجبوا بها كل الإعجاب من حيث اللفظ وقلبه عدد الحروف وعمق المعنى، ولكن الله عز وجل أنزل على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله آية القصاص التي قال فيها?: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة البقرة، الآية: ١٧٩) فأمر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه أن تكتب هذه العبارة من الآية? فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ? وتعلق على جدار الكعبة إلى جانب عبارة كفار قريش التي كانت معلقة في المكان نفسه، وجاء فصحاء القوم فرأوا الآية، ورأوا أن لفظها أبلغ وأجزل، ومعناها أتم وأجمل من عبارتهم فرفعوا لوحاتهم، وذلك لأنهم لاحظوا أنه لا تكرر في الآية فضلاً عن عمق المعنى المؤدى بكلمة (القصاص) وأرجحيتها على كلمة (القتل)، فضلاً عن وجود كلمة (الحياة) ومعطياتها التي تفتقر إليها عبارتهم، مما جعلهم يرضخون لبداعة الأسلوب القرآني وإعجازه.

( شجرة طوبى: ٢ / ٣٦٨ المجلس الخامس والأربعون.

( كشف اللثام: ٢ / ٥٣٣.

( مستدرک الوسائل: ١٦ / ٢١٠ ح ٦، باب ١ كراهة كثرة الأكل.

( صحيح أن الله تعالى قد يسلط ظالماً على ظالم في بعض الموارد ليرى الظالم ظلمه من خلال ظالمه، مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: من أعان ظالماً سلطه الله عليه. الخرائج والجرائح: ٣ / ١٠٥٨. ولكن هذا لا يعنى كرامه له من الله أو استجابة لدعائه بل يكون من قبيل قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم وذلك قول الله عز وجل: (وكذلك نولّى بعض الظالمين بعضاً) الكافي: ٢ / ٣٣٤ ح ١٩ والآية ١٢٩ من سورة الأنعام.

( الوسائل: ١١٣ / ١١١ ح ١ باب تحريم قتال المسلمين على غير سنه - كتاب الجهاد.

( سورة النمل، الآية: ١٤.

( روى أن رجلاً من نسل عمر بن الخطاب كان يشتم على بن أبى طالب عليه السلام إذا =

= رأى موسى بن جعفر عليه السلام، ويؤذيه إذا لقيه. فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: لا، ثم مضى ركباً حتى قصده فى مزرعة له فوطأها بحماره، فصاح لا تدس زرعنا، فلم يصغ إليه، وأقبل حتى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة درهم. قال: فكم ترجو أن تربح؟ قال: لا أدري. قال: إنما سألتك كم ترجو؟ قال: مائة أخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له. فقام فقبل رأسه، فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمرى فسلم عليه وجعل يقول: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤. فوثب أصحابه عليه وقالوا: ما هذا؟ فشاتمهم، وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج يسلم عليه ويقوم له. فقال موسى لمن قال ذلك القول: أيما كان خيراً، ما أردتم أو ما أردت؟ مقاتل الطالبيين: ٣٣٢.

( مثل زهير بن القين، الذى ذكر فى كتب السير أنه كان عثمانى الهوى، أى من الذين يطالبون إمام الهدى على بن أبى طالب بدم عثمان، غير أن التاريخ أثبت أنه لم يكن معانداً للحق، وأن انحرافه لم يكن عن تقصير بل كان عن قصور. ومثله الحر بن يزيد الرياحى الذى كان فى جيش يزيد ووقف أمام أبى عبد الله الحسين عليه السلام حتى أوردته أرض كربلاء.

( سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

( سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

- (١) راجع الفروق اللغوية: ٢٠٧ ٢٠٦ رقم ٨١٤ و ٨١٥ الفرق بين الحيلة والمكر.
- (٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.
- (٣) راجع لسان العرب: ١٨٣ / ٥ مادة مكر.
- (٤) من لا يحضره الفقيه: ٣٧٨ / ٤ رقم ٥٧٩٤ من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله التي لم يسبق إليها.
- (٥) أعلام الوري: ٢٢٥.
- (٦) مستدرک الوسائل: ٢٤ / ٩ رقم ٩، باب ١٠٢ وجوب حفظ اللسان.
- (٧) قال ابن مالك في ألفيته: ط، ت «افتعال» ردُّ إثر «مطبِق»
- أى إذا جاء تاء الافتعال بعد حرف من حروف الإطباق كالضاد مثلاً، وجب إبداله طاءً. انظر شرح ابن عقيل: ٢ / ٥٨١ - ٥٨٢ فى إبدال حرف التاء ط.
- (٨) سوى أولئك الذين عصمهم الله وجعلهم حججاً على عباده.
- (٩) سورة هود، الآية: ١١٩.
- (١٠) سورة النجم، الآية: ٣٩.
- (١١) نهج البلاغة: ٤١٦ من كتاب له سلام الله عليه إلى عثمان بن حنيف.
- (١٢) الكافي: ٢ / ٤٥٣.
- (١٣) منتهى الآمال: ٢ / ٥٥٥.
- (١٤) سورة الشمس، الآية: ١٠.
- (١٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.
- (١٦) قال جابر بن عبد الله: قلت لأمر المؤمنين عليه السلام: ... يا مولاي، لمن تكلم، ولمن تخاطب وليس أرى أحداً؟ فقال: يا جابر، كشف لى عن برهوت فرأيت شيبويه وحبر وهما يعدبان فى جوف تابوت فى برهوت، فناديانى: يا أبا الحسن، يا أمير المؤمنين، ردنا إلى الدنيا نقر بفضلك، ونقر بالولاية لك. فقلت: لا والله، لا فعلت، لا والله، لا كان ذلك أبداً، ثم قرأ قوله تعالى:؟ ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون.؟ بحار الأنوار: ٣٠٦ / ٢٧، ح ١١، باب ٧.
- (١٧) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ٥٣ / ٦ رقم ٦٧ من كلام له سلام الله عليه لما قلد محمد بن أبى بكر مصر.
- (١٨) محاسبة النفس: ١١.
- (١٩) غرر الحكم: ٢٣٩ رقم ٤٨٢٧ الإدبار عن نفسك الأمانة بالسوء.
- (٢٠) منية المرید: ٢٠٠ رقم ١٧ إيضاء الطالب بالرفق.
- (٢١) نهج البلاغة: ٤١٦ ٤٢٠ رقم ٤٥.
- (٢٢) الكافي: ٧ / ٤٣٥، باب كراهة اليمين.
- (٢٣) الأشهر الحرم: ذو القعدة، ذو الحجة، محرّم، ورجب.
- (٢٤) يعنى: عشر ذى الحجة. إقبال الأعمال: ٣١٧.
- (٢٥) سورة الحج، الآية: ٢٨.
- (٢٦) سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.
- (٢٧) مصباح الشريعة الإمام الصادق سلام الله عليه: ١٩.
- (٢٨) الفروق اللغوية: ١٠٩، رقم ٤٢٩.

- ( ) سورة الحج، الآية: ٤٣.
- ( ) فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إنَّ لله عزَّ وجلَّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك، ثم استيقن بالإجابة. الكافي: ٢ / ٤٧٣ ح ١، باب الإقبال على الدعاء.
- ( ) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.
- ( ) سورة الإسراء، الآية: ٢٩. وهذا تعبير أدبى رفيع فيه إشارة إلى أنَّ عنق الإنسان مساوٍ لحياته كما جاء أيضاً في قوله تعالى?: فكَّ رقبته (؟سورة البلد، الآية: ١٣) والمقصود تحرير إنسان فكأنَّ البخيل عندما يريد أن ينفق كمن يراد قطع عنقه، وهذا يعنى أنَّ البخيل يجعل المال كلَّ حياته.
- ( ) تفسير العياشى: ٢ / ٢٨٩ مورد الآية
- عن ابن سنان عن أبي عبد الله سلام الله عليه في قوله تعالى?: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك؟ قال: فضمَّ يده وقال: هكذا، فقال:؟ ولا تبسطها كلَّ البسط؟ وبسط راحته وقال: هكذا.
- ( ) عوالى اللآلى: ١٠٣ / ٤.
- ( ) عيون الحكم والمواعظ: ٢٨٤.
- ( ) بحار الأنوار: ٧٥ / ٨٣ ح ٨٧، باب ١٦.
- ( ) دعائم الإسلام: ٨٢ / ١.
- ( ) السفود: حديدتان يوضع بينهما اللحم ويسدان من أسفلهما ثم يوضعان في التنور لكي يستوى اللحم ويشوى.
- ( ) مسكَّن الفؤاد: ٦١.
- ( ) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
- ( ) الإرشاد: ١٤٥، باب ذكر طرف من أخبار على بن الحسين عليهما السلام.
- ( ) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.
- ( ) الغارات: ٢ / ٤٨٧.
- ( ) هو من علماء العامة المعروفين ومن التابعين، وكان ممن يحضر عند الإمام السجّاد سلام الله عليه.
- يجلّه العامة كثيراً ويذكرونه بعبارات المدح والإطراء، فيقولون مثلاً: لقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كذا، وروى عنهم الحديث، ويقولون: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: أنه لا يوجد من هو أعلم من الزهري، ومن كان طالباً للدين فليأخذه من الزهري و...
- أمّا نحن الإمامية فرأينا فيه مختلف، ونعتقد أنَّ حضوره عند الإمام السجّاد سلام الله عليه كان من أجل العلم فقط - لا العمل - كما تنبئ عن ذلك سيرته، وفي الحديث: «من إزداد علماً ولم يزد هدًى، لم يزد من الله إلا بعداً» (مجموعة ورّام: ١ / ٢٢٠ باب ما جاء في أهل العلم المغترّين)، وروى عن أبي عبد الله سلام الله عليه أنه قال: «يُغفَر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد» (الكافي: ١ / ٤٧ ح ١ باب لزوم الحجّة على العالم). فقد روى أصحابنا أنَّ الزهري هذا كان ملازماً لقصر عبد الملك بن مروان وبنى مروان عشرات السنين، وأنَّه كان يذمُّ أمير المؤمنين عليه السلام!
- وإذا كان الجهلة يُعذِّرون في ذلك، فإنَّ الزهري العالم لا يعذر البتّة، وليس اشتغاله بتعليم وتأديب أبناء حكام الجور بنافع له - فقد ذكروا أنه كان معلماً لأولادهم وأنَّه كان يعلمهم أحكام الصوم والصلاة - لأنَّه كان يصبُّ في تقوية حكم الظالمين.
- ( ) فمن كتب الخاصية «بحار الأنوار» نقلًا عن «تحف العقول»، كما رواها عدّة من محدثي العامية في كتبهم. وهي رسالة مهمّة جدًّا تستحقُّ تأليف كتاب في شرح كلِّ كلمة منها. رواها العامية لأهميتها فلم يشأوا أن تخلو كتبهم من رسالة بهذه الأهمية، ولكنهم مع

الأسف لم يذكروا أنها من الإمام السّجّاد عليه السلام بل قالوا: كتب إليه بعض الصالحين، أو أخ في الدين، وابن عساكر يروى أنها لأبى حازم الأعرج. وأبو حازم الأعرج هو من موالى أمير المؤمنين سلام الله عليه وصحابي جليل من أصحاب الإمام السجّاد عليه السلام، وفوق هذا فإنّه الثقة الصالح على ما في كتبهم لترجمته.

( تحف العقول: ٢٧٥.

( انظر رجال الكشي: ٤٤١ ترجمه صفوان بن مهران الجمال.

( الفصول المهمة: ٢ / ٢٤٠، ح ٢، باب ١٠.

( تهذيب الاحكام: ٣ / ٢٦٤ ح ٦٨، باب ٢٥ فضل المساجد والصلاة فيها.

( نهج البلاغة: ٤٢١ رقم ٤٧ من وصية له سلام الله عليه للحسن والحسين سلام الله عليهما.

( ولكن قبل ذلك لا بأس بالإشارة إلى أنّ السابع من شهر صفر هو يوم شهادة الإمام الحسن سلام الله عليه كما ذكر ذلك جمهرة من أعظم علماء الشيعة - وهناك قول آخر هو أنّ شهادته كانت في آخر صفر، وهناك أقوال أخرى أيضاً - ولكني لم أعتد في كتب المتقدمين كالكليني والطوسي والكفعمي وغيرهم أنّ ولادة الإمام الكاظم سلام الله عليه كانت في السابع من صفر، نعم ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو ضعيف.

( كفاية الأثر: ٢٢٦ باب ما جاء عن الحسن سلام الله عليه.

( عدة الداعي: ٨٤.

( تهذيب الأحكام: ٣ / ٨٤ ح ١٢.

( مستدرک الوسائل: ١٢ / ٣٦١ ح ١٥ باب تحريم كفر المعروف.

( ولا يخفى أنّ هذا التظاهر بعدم التذكّر إنّما هو من باب التواضع للمؤمن ومحاولة عدم خدش كرامته، فلا يندرج تحت كتمان الحقّ كما حكى عن أنس بن مالك حين استشهده أمير المؤمنين عليه السلام على جملة من البدرين بخصوص ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في غدیر خم، فقال: كبرت سنّي ونسيت. فقال له الإمام: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا تواريها عمامة.

(الغدیر: ١ / ١٩٢ نظر في حديث إصابة الدعوة).

( جواهر الكلام ٤١ / ٢٨٠ ثبوت الزنا بالإقرار أو البيّنة وتعريف الشهادة.

( من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٣١ رقم ٥٠١٧ كتاب الحدود الزنا واللواط.

( روى عن الإمام الباقر سلام الله عليه أنّه قال: (إنّ الخلق منحة يمنحها الله خلقه فمنه سجيّة ومنه نبيّة). وسائل الشيعة: ١٢ / ١٥١، ح ١٥٩١٧، باب ١٠٤ استحباب حسن الخلق مع الناس.

( كما في الخبر: «إنّ أهل الجنّة لا يتحسّرون على شيء فاتهم من الدنيا كتحسّرهم على ساعة مرّت من غير ذكر الله». مستدرک الوسائل: ٥ / ٢٨٨ رقم ٥٨٧٨، باب ٢ كراهة ترك ذكر الله تعالى.

( سورة الشعراء، الآية: ٨٨ / ٨٩.

( سورة القلم، الآية: ٤.

( سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

( الأمالي للطوسي: ٣٤٠ ح ٦٩٥.

( المراجعات: ٣٢٦، تاريخ بغداد: ١١ / ٢٣٩ رقم ٥٩٨٥، كنز العمال: ١٣ / ٦٩٦ رقم ٣٧٧٨٢. كما نقل الغزالي في كتاب احياء علوم الدين: ٢ / ٣٥ آداب النكاح، وكتاب مكاشفة القلوب له أيضاً: ٢٣٨ باب ٩٤، قولها: أنت الذي تزعم أنك نبيّ الله.

( سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

( ) مستدرک سفینه البحار: ٨ / ٩ باب السرقة والغلول وحدهما.

( ) الكافي: ٢ / ١٠٥ ح ١٠، باب الصدق وأداء الأمانة.

( ) روى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه أنه قال في وصيته لابنه الإمام الحسن سلام الله عليه: وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير. نهج البلاغة: ٣ / ٣٧ رقم ٣١ ذيل الوصية.

( ) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٥١ ح ١٥٩١٧، باب استحباب حسن الخلق مع الناس.

( ) دلائل الإمامة: ٢٣٣ ح ٢٦، الخبر في باب ذكر معجزاته سلام الله عليه.

( ) وكان تأليف ذلك الكتاب قد استغرق سنوات طويلة اضطر خلالها مؤلفه إلى مراجعة أحد مصادره وهو كتاب جواهر الكلام في ظروف بالغة الصعوبة بسبب احتياجه لهذا الكتاب الذي يستعرض آراء العلماء في كل مسألة مع بيان أدلتها، وحيث إن صاحب النسخة اليتيمة في ذلك الوقت لم يكن على استعداد لأسباب تخصه لأن يعيرها للمؤلف ليأخذها إلى بيته، كما لم يكن بمقدور المؤلف الدخول إلى بيت الرجل تحاشياً للإحراج، الأمر الذي اضطره إلى التوافق معه على الاستفادة من الكتاب عند باب البيت داخل الزقاق، رغم الإحراج والتعب الكبيرين اللذين كانا يتسببان له.

( ) راجع الكافي: ٢ / ١٢٢ ح ٦، باب التواضع.

( ) نهج البلاغة: ٤ / ٢٩ رقم ١٢٣.

( ) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

( ) وسائل الشيعة ٥ / ٢٥٠، أبواب أحكام المساجد، باب ٤٣، ح ٣.

( ) الكافي: ٣ / ٤٩٠، ح ٢، باب مساجد الكوفة.

( ) شذرات الذهب: ١ / ٦٤. وقد أفاد الأستاذ محمود أبو رية في كتابيه (شيخ المضيرة) و (أضواء على السنة المحمدية) حين سلط الضوء على سيرة هذا الرجل معتمداً في بحثه على جملة من مصادره المعتبرة في التاريخ والسيرة. فمن أراد الاستزادة فليراجع.

( ) مستدرک الوسائل: ٩ / ٨٦ ح ١٤ باب تحريم الكذب.

( ) سورة المنافقون، الآية: ١.

( ) سورة النساء، الآية: ١٤٣.

( ) الكافي: ٥ / ٣١٢، ح ٣٨، باب النوادر.

( ) ويمكن أن تطلق على الأعيان أيضاً كما في المروى عن طاووس حين أشرف على علي بن الحسين سلام الله عليه وهو ساجد في الحجر فقال: رجل صالح من بيت طيب. (لسان العرب: ١ / ٥٦٤ مادة طيب).

( ) أصول الكافي: ١ / ٤١٠ ح ٣، باب سيرة الإمام بنفسه والمطعم والملبس إذا ولي الأمر.

( ) كنز العمال: ١٢ / ١٠٤ ح ٣٤٢٠١. ورواه عن أمير المؤمنين سلام الله عليه السيد هاشم البحراني في غاية المرام: ٧ / ١٥٨.

( ) روضة الواعظين: ١٠٧. وروى نحوه ابن الأثير في أسد الغابة: ٤ / ٢٤ من ترجمة أمير المؤمنين سلام الله عليه، كما جاء في زهده وعدله.

( ) مستدرک الوسائل: ٨ / ٣٥٦، ح ٣، باب استحباب الإبتداء بالسلام.

( ) علل الشرائع: ٢ / ٥٨٢ ح ٢٣، باب نوادر العلل.

( ) آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي قدس سره.

( ) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

( ) سورة النجم، الآية: ٣٩.



( انظر الفروق اللغوية: ١٩٣ رقم ٧٧٣ الفرق بين الحق والصدق.

( عوالى اللالكى: ١ / ٤٣٢ ح ١٣١.

( لقوله صلى الله عليه وآله فى على سلام الله عليه: «على مع الحق والحق مع على، اللهم أدر الحق معه حيثما دار».

هذا الحديث مما اتفق عليه المخالف والمؤلف. رواه ابن طاووس فى الطرائف: ١٠٢ وابن عساكر فى تاريخ دمشق: ٦٣ / ٣٠ وغيرهما.

( ويقصد قبر الإمام على الرضا سلام الله عليه وقبر هارون العباسى القرييين من بعضهما.

( الغدير: ٢ / ٣٦٩.

( الآحاد والمثانى: ٣٦٩ ح ٢٩٧٠.

( انظر كنز العمال: ٥ / ٦٣٦ رقم ١٤١١٨ والقرطبى فى تفسيره: ٣ / ٢٦٢ من تفسير الآية ٢٥٣ من سورة البقرة، وهو مشهور. كما يذكر

الرواة أنه قال: «والله لو ددت أنى كنت شجرة فى جانب الطريق مرّ على جمل فاخذنى فادخلنى فاه فلاكنى ثم ازدرنى ثم أخرجنى

بعراً ولم أكن بشراً». منهم المتقى الهندى فى كنز العمال: ١٢ / ٥٢٨ رقم ٣٥٦٩٩ والمصنّف لابن أبى شيبة: ٨ / ١٤٤ رقم ٧ وغيرهم.

( روى أنه لما أراد أن يمنع المغالاة فى مهور النساء تصدّت له إحدى المسلمات فقالت: يا بن الخطاب! الله يعطينا وأنت تمنع. وتلت

هذه الآية?: وآتيتم إحداهن قنطاراً؟ فقال: كلّ الناس أفقه من عمر. (راجع الرازى فى تفسيره الكبير: ٩ / ١٣ مورد الآية ٢٠ من سورة

النساء).

( انظر كتاب سليم بن قيس: ٢٤٨، وفيه: أن عمر بن الخطاب بعث إلى واليه على البصرة أبى موسى الأشعري حبلاً طوله خمسة أشبار

وقال له: «أعرض من قبلك من أهل البصرة، فمن وجدته من الموالى ومن أسلم من الأعاجم قد بلغ خمسة أشبار، فقدّمه فاضرب عنقه»

ثم إن الأشعري راجع عمر وخوفه من تفرّق الناس عنه ... فكفّ عمر عن ذلك.

( بيت الأحزان: ٨٤ فى امتناع على سلام الله عليه ببيعة أبى بكر، والامامة والسياسة: ١ / ٣١ فى اباية على سلام الله عليه ببيعة أبى بكر.

( روى الهيثمى فى مجمع الزوائد: ٩ / ٢٠٣، والدولابى فى الذرية الطاهرة: ١١٩، والطبرانى فى معجمه الكبير: ١ / ١٠٨ ح ١٨٢، وابن

الأثير فى أسد الغابة: ٥ / ٥٢٢. وغيرهم فضلاً عن الخاصة ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله لبضعته الزهراء سلام الله

عليها: إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك.

( سورة النساء، الآية: ٤٩.

( الكافى: ٢ / ٢٨٨ ح ٣ باب استصغار الذنب.

( كشف الغطاء: ٢ / ٣٠٩. محاكاة لما روى عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فى حقّ الجار أنه قال: «ما زال جبرائيل يوصينى بالجار

حتى ظننت أنه سيورثه» (روضة الواعظين للنيسابورى: ٣٨٧).

( سورة الزمر، الآية: ٤٧.

( راجع الأربعين للقمى الشيرازى: ٤١٧.

( مناقب آل أبى طالب: ٣ / ٢٢٢.

( سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

( قد يقال إن طلب الإمام هذا من قبيل القضية الشرطية، التى تكون صادقة حتى مع عدم صدق الطرفين الشرط والمشروط وقد ورد

فى القرآن الكريم نماذج عديدة لذلك؛ قال سبحانه وتعالى?: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (?سورة الزخرف، الآية: ٨١)

والحال أنه لا ولد لله تعالى، ولا النبى بعابدٍ لذلك الولد. أو قوله تعالى?: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من

خشية الله (?سورة الحشر، الآية: ٢١) بينما لم يحتمل الله الجبل مسؤوليه وأمانته حمل القرآن، ولم يتصدّع الجبل. ولكن المهمّ فى الأمر

هو وجود قضية شرطية وهى قضية مجرّدة تسبح فى آفاق الذهن، ولا وجود لمصداق خارجى لها.

فمثل هذه العبارة إن صدرت عن معصوم فإنما تدلّ على نوع من التوجّه الاكثر إلى الله تعالى، الغرض منها طلب المزيد من القرب إليه سبحانه، لما يشعر به المعصوم من قصور لأداء الأعمال والعبادات اللاتقّة بالرّبّ العزيز.

ويمكن أن يقال أيضاً: إنّ الإمام لم يقيّد تعبيراته بالتقصير. يقول سلام الله عليه ضمن دعاء آخر: «خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد» (الصحيفة السجادية، ضمن دعائه في أسحار كلّ ليلة من شهر رمضان) وإن كان يمكن توجيه العبارة كالتالي: أي عجزنا عن أداء حقّ عبادتك، إليك صاعد، فما يصدر منك هو الخير، وما يصدر عنّا هو العجز، الذي يعبر عنه الإمام بكلمة الشرّ.

( تهذيب الأحكام: ٢٥١ / ٤، ح ٢١، باب ٦٠ من أسلم في شهر رمضان وحكم من بلغ الحلم فيه ومن مات وقد صام بعضه أو لم يصم منه شيئاً.

( نهج البلاغة: ٦٨ / ٤، رقم ٢٧٨.

( سورة العنكبوت، الآية: ٢.

( سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

( روى عن أبي عبد الله سلام الله عليه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله...: وسُمّي شهر رجب الأصبّ، لأنّ الرحمة تصبّ على أمّتي فيه صبّاً. (الحدائق الناضرة: ١٣ / ٤٥٣).

( سورة هود، الآية: ٦.

( الكافي: ٨٩ / ٢، ح ٦، باب الصبر.

( مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٥٤.

( انظر لسان العرب لابن منظور: ٨٥ / ١٤ (مادّة بلا).

( سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

( سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

( مستدرک الوسائل: ٤١٧ / ٥، ح ٣، باب كراهة العبث في الصلاة.

( سورة طه، الآية: ١١٤.

( سورة القلم، الآية: ٤.

( الكافي: ١٨٢ / ٢، ح ١٥، باب المصافحة.

( عوالي اللآلي: ٣٢٤ / ١، ح ٦١.

( سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

( سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

( سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

( سورة العنكبوت، الآية: ٢.

( نهج البلاغة: ٢٠ / ٤، رقم ٩٣.

( روى عن أبي حفص الصائغ أنّه سمع الامام الصادق سلام الله عليه يقول في قوله تعالى?: واعتصموا بحبل الله جميعاً؟ سورة آل عمران، الآية: ١٠٣، قال: نحن الحبل. عنه مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٢ / ٢٧٣.

( روى عن الامام الباقر سلام الله عليه في قوله تعالى?: وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله؟ قال: نحن السبيل فمن أبي فهذه السبل فقد كفر. تفسير القمّي: ٢٢١ / ١ تفسير الآية ١٥٣ من سورة الانعام.

( ولطالما عرفنا من يذهب نفسه بكاءً وتضرّعاً دون أن يتشرّف بلقاء الإمام سلام الله عليه، بينما سمعنا كثيراً عن أشخاص نالوا شرف

الرؤية، بل وزيارته لهم بشخصه الكريم والتحدث معهم طويلاً ولمرات عديدة، دون أن يخوضوا أعمالاً عبادته خاصة، ولم يكن يحدث ذلك لولا وجود السخية بين أنفسهم وبين شخص الإمام وطبيعته لقائه والتشرف برؤيته، واكتساب شحنات الإيمان من فيضه.

( انظر مصباح المتعبد: ١٥٢ رقم ٣٧ نافله الليل.

( البلد الأمين: ١٤٣، أديعة الساعات للأئمة الاثنى عشر سلام الله عليهم.

( نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه... فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً؛ فجاء وشد على رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: ربي وربك. فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه. فسقط على ظهره. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ السيف وجلس على صدره، وقال: من ينجيك مني يا غورث؟ فقال: جودك وكرمك يا محمد. فتركه، فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني واكرم. الكافي: ١٢٧/٨ ح ٩٧.

( راجع تاريخ الطبري: ٣/٥٤٣، وغيره من كتب السير والتواريخ.

( انظر فرحة الغري: ٨٢ زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

( من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٩٦، زيارة علي بن الحسين عليهما السلام المقتول بكربلاء.

( وسائل الشيعة: ٤/٢٨٦، ح ٧، باب ٦١ جواز التطوع بالنافلة أداءً وقضاءً لمن عليه فريضة، واستحباب الابتداء بالفريضة.

( وسائل الشيعة: ٢٧/٣٣، باب ٥، رقم ٣٣١٤٤. هذا الحديث متواتر يرويه العامة والخاصة.

( فضائل الأشهر الثلاثة: ٧٧، ح ٦١.

( المصدر السابق: ٧٧، ح ٦١.

( سورة مريم، الآية: ٧٦.

( سورة الكهف، الآية: ١٠٣-١٠٤.

( ينابيع المودة: ١/٨٩، رقم ٣٥.

( فإن أفعل التفضيل له ثلاث صيغ: الأولى الإضافة، والثانية مع (من) والثالثة مع (أل) وهي أفواها لأنها مطلقة فيما تكون في الحالتين الأخيرين مقيدة بمتعلق الإضافة أو (من).

( روى الطبراني بإسناده عن عمران بن الحصين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: لا يحييك الا- مؤمن، ولا يبغضك الا منافق. الاوسط: ٢/٣٣٧. وروى مسلم بسنده عن زر قال: قال علي عليه السلام: والذي فلق الحبة ويرأ النسمة إنه لعهد النبي الأسمى صلى الله عليه وآله إلي أن لا يحييني الا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق. صحيح مسلم: ١/٦١، الى غير ذلك من مصادر العامة والخاصة.

( سورة آل عمران، الآية: ٣١.

( سورة النجم، الآية: ٤٣.

( سورة النور، الآية: ٣٩.

( سورة الحج، الآية: ٣.

( سورة الصف، الآية: ٣٢.

( سورة فاطر، الآية: ٢٨.

( سورة آل عمران، الآية: ٧١.

( استعاره من قول النبي صلى الله عليه وآله: زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه. عدده الداعي: ٦٣.

- ( ) الكافي: ١ / ٤١ ح ١ باب بذل العلم.
- ( ) لم ترد مفردة صولة في النصوص الأدبية إلا قليلاً، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى قلّة حصول مصداقها، رغم كثرة الحروب وكثرة الدواوين التي تورّخ لها، فيما ورد التعبير بالجولة والسجال وغيرها كتعبير عن اشتداد نار الحرب.
- ( ) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ٣٤٦.
- أقول: مع علمه صلى الله عليه وآله بأنّ من كانوا قبله من الأنبياء والرسل، منهم من نُشر بالمناشير أو ألقى في النار، ومنهم من ألقى في غيابة الجبّ إلا أنّه صلوات الله عليه وعلى آله قد امتاز عليهم وعلى أوصيائهم جميعاً فيما تعرّض له هو وأهل بيته صلوات الله عليهم من بعده.
- ( ) راجع بحار الأنوار: ١٦ / ٤٠٢ باب ١٢ باب نادر في اللطائف في فضل نبينا صلى الله عليه وآله في الفضائل والمعجزات على الأنبياء عليهم السلام.
- ( ) الغدير: ٧ / ٣٥٩ رقم ١١ سيدنا أبو طالب وقريش.
- ( ) انظر مثير الأحزان لابن نما: ٥٤. من أخبار المقصد الثاني في وصف موقف النزال وما يقرب من تلك الحال.
- ( ) عوالم الإمام الحسن سلام الله عليه: ٢٨٩.
- ( ) الجواهر السنية: ٧٠.
- ( ) نصّ حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. انظر كتاب الدعوات.
- ( ) كما في قوله صلى الله عليه وآله: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون. راجع الصحيح من السيرة للسيد العامل: ٢٥١، آية النهي عن الاستغفار للمشرك.
- ( ) سورة الملك، الآية: ١.

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رحمه الله" - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقة كم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايت المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت

- عليهم السلام - يباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و اغناء اوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...  
- منها العداله الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.  
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفترق" و فائى/ "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظه هامه:

الميزانيه الحاليه لهذا المركز، شعبيه، تبرعيه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكننا لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً مترائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)  
[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)  
[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)  
[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩